الجمـــهورية الجـــزائرية الديمـــقراطية الشـــعبية

وزارة التعليم العالي والـــبحث العلمي

جـــامعة وهـــران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

أبو عبد الله التنسي وكتابه
نـــظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

في التـــــاريخ والحـــضـــارة الإســـــلامـــيــــــة

إشراف : الأستاذ الدكتور بن معـــمر محمد

إعداد الطالبة : بوعنيني سهام

أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور : عبد المجيد بن نعمية .... رئيسا

الأستاذ الدكتور : محمد بن معمر ....مقرار

الأستاذ الدكتور : الجيلالي سلطاني..............مناقشا

الدكتور : العربي قلايلية.......................مناقشا

السنة الجامعية : 2008 ـــ 2009

بســم الـــلـــه الــرحمن الرحــيــم

الإهـــــــــــــد ا ء

الحمد لله رب العالمين خالق الخلق أجمعين ، ونصلي ونسلم على سيد الخلق وأفضل البشر ، وإمام الأوائل والأواخر ، سيدنا محمد النبي الكريم نحمد الله تعالى أن وفقنا على إنجاز هذا العمل وما كنا نصل إليه لولا فضل الله علينا .

أولا وقبل كل شيئ أهدي هذا العمل المتواضع إلى من أوصانا الله بهما خيرا إلى والدى العزيز الذي سعى جاهدا في تعليمي وإرشادي محاولا بكل طاقته أن يوفر لي ما أحتاجه في دراستي وحياتي عموما ، إلى من سهرت على تربيتي و سقتني بحنانها وحبها وهونت عليا الصعاب وشجعتني بكلماتها ودعائها ، إلى والدتي إلى رفيق دربي الذي دعمني وصبر معي أحمد ، إلى روح أخي زهير رحمه الله إلى جميع إخوتي : مريم ، خليفة ، يونس ، حفصة إلى كل عائلة بوعنيني وعائلة الحاج أحمد خاصة الوالدين الكريمين : بلقاسم ودربيل زهرة و الأحباب والأصدقاء خاصة منهم : آل سيد الشيخ ضحى ، قادري رحمة ، بن عودة حسينة ، فردوس زهرة ، ياسمين ، أمال ، فاطمة ، نادية .

شكر وتقدير

أتوجه بخالص شكري وامتناني إلى الأستاذ الدكتور بن معمر محمد صاحب المشروع الذي أشرف على اعداد هذه المذكرة ، إذ لم يبخل عليّ بكتبه و بنصائحه وتوجيهاته القيمة وأرائه السديدة فكل التقدير والثناء الموفور لسيادته لما منحني من جهد ووقت وصبر رغم مشاغله الكثيرة ، أمدّ الله في عمره وزاده في علمه وأطال بقاءه .

كما اشكر أستاذي الدكتور بن نعمية عبد المجيد الذي يسّر لنا البحث من خلال مخبر المخطوطات ومكتبته ووسائله ، كما شجعنا و حفزنا بكلماته الطيبة الحنونة ومعاملته الراقية.

كما لايفوتني أن أوجه شكري إلى عمال مكتبة قسم الحضارة الإسلامية بوهران خاصة جناح الدوريات وقسم مصلحة المخطوطات مكتبة الحامة بالجزائر العاصمة ومدير متحف الأمير عبد القادر بمليانة وعماله ، ومدير مكتبة جامعة بشار وعماله وعاملاته، وإلى مديرة الإقامة الجامعية سوفاي خميس مليانة بن عامر كرفاح نسيمة ومديرة الإقامة الجامعية درقانة بالجزائر العاصمة ، على التسهيلات التي وفروها لي أثناء إعداد هذه المذكرة ، ومن أفادني بنصائحه السديدة وأشرف على التصحيح اللغوي للمذكرة والدي الأستاذ بوعنيني أحمد، كما لايفوتني أن أتقدم بخالص شكري إلى الدكتور أحمد الحمدي على مساعدته المعنوية ونصائحه وتشجيعه لنا أثناء مشوارنا الدراسي ، كما لم يبخل علينا بكتبه وأرائه ، وجزيل الشكر إلى زملائي في الدفعة ، وجميع أعضاء مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال أفريقيا بجامعة وهران ، وأخيرا أقدم خالص شكري وامتناني إلى كل من قدم لي يد المساعدة ولو بالكلمة الطيبة .

المقدمة

المقدمة :

إن العودة إلى التراث ومساءلة أعلامه ليست بالأمر السهل ، ذلك أن التراث لاينطق إلا لمن تسلح بمعارف وأدوات تمكنه من سبر أغواره ، ولهذا استعنت بالله أولا ثم بأستاذي المشرف على دراسة شخصية التنسي ودراسة كتابه المخطوط ، وقد كلفتني قراءة المخطوط وتلخيصه جهدا ووقتا كبيرين فهو يضم خمسمئة وستين صفحة بخط لا يكاد يبين .

والكتاب ذخر لم يستنطق بعد ، ولم يبح بكل أسراره، فصاحبه مكتبة متنقلة وهو شيخ الأشياخ ، ومفتي الدولة ، تخرج على يديه طلاب كثر ، كالشيخ أحمد البرنسي الشهير بالزروق ، والخطيب ابن مرزوق السبط ، ومحمد بن أحمد بن صعد الأنصاري كما شهد له كبار العلماء بالتفوق والعلم فكان من مظاهر ثقافته تصانيفه التي عكست تبحره في العلم وجرأته في الفتوى وقد كانت المصادر التي تطرقت لهذه الشخصية شحيحة في معلوماتها فما زال لم يلق العناية اللائقة به على الرغم من شهرته كما أن ترجمته قصيرة في المصادر القديمة التي أعجبت بغزارة علمه ومكانته المرموقة بين معاصريه كما حظي أحد أهم مصنفاته باهتمام بعض الباحثين والمتمثل في مخطوط " نظم الدر والعقيان " حيث يعد هذا الأخير من أهم المصادر المعتمدة في تاريخ الدولة الزيانية فأول مصادرها هو كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون "والثاني " كتاب العبر..." لعبد الرحمان ابن خلدون وقد كان الأستاذ محمود بوعياد حسب علمي أول من بادر بإلقاء الضوء على نظم الدر والعقيان من خلال بحثه معرفا بشخصية التنسي وأثارها ثم حقق أهم جزء منه وهوالباب السابع المتعلق بتاريخ الدولة الزيانية ، ثم تلاه الأستاذ عبد الحميد حجيات الذي حقق الفصل الثاني من الباب السادس الخاص بدولة الأدارسة وقد حقق الأستاذ بوطالب محي الدين القسم الرابع من المخطوط .

إن الهدف من هذا البحث يرمي الى تحقيق أمرين أحدهما : التعريف بشخصية التنسي، الأديب ، المؤرخ الفقيه والمحدث والكشف عن حياته الخاصة وابراز الثقافة السائدة في عصره من خلال مؤلفه هذا والتعريف بآثاره.

ثانيهما : التعريف بالمخطوط " نظم الدر والعقيان " والكشف عن مضمونه ومراميه ودراسة منهج تأليفه وتحليله ومقارنته بمصادر أخرى .

أما سبب اختيار هذا الموضوع فانه مرتبط بشخصية لها منزلة رفيعة بين علماء القرن التاسع الهجري ومؤلفاته التي رغم قلتها إلا أنها عكست تبحره في العلم وجرأته في الفتوى كما أن أهم مؤلف له والمتمثل في نظم الدر والعقيان لم يحظ بدراسة تناولت أقسامه كلها فقد استقلت الأبحاث بأجزاء مخصوصة من المخطوط والإشكالية المطروحة في هذا البحث هي : ما مدى تأثير التقلبات السياسية في الدولة التي نبغ فيها التنسي على العلماء في المنطقة ؟ وهل أثمر تحقيق المخطوطات في فك بعض الغموض في حياة التنسي ؟ وماهو المنهج الذي اتبعه في تأليفه؟ وهل من خصائص معينة ميزته ؟ وما مصادر معلوماته ؟ لم جمع علوما شتى في مصنفه هذا ؟ وما الفائدة من دراسة هذا المخطوط ؟ وهل من أثار لتشيع في كتابه هذا ؟ وما أسباب ذلك وأين تمثلت جرأته في الفتوى ؟ ولماذا ؟ وكيف صاغ كل ذلك ؟ هذه الأسئلة وغيرها ستحاول هذه المذكرة الإجابة عنها .

ولانجاز هذا البحث استعنت بمجموعة من المصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع أهمها :

مخطوط " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان " لأبي عبد الله التنسي وهو المخطوط المعتمد في البحث .

مخطوط " الطراز في شرح الخراز" وقد تضمن التعريف بعلمي الرسم والضبط والتمييز بينهما

ومن المصادر التي اعتمدت عليها في الفصل الأول كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " لمؤلفه أبي زكريا يحيى بن خلدون .

فيحي بن خلدون ألف كتابه للتأريخ للدولة الزيانية وملوكها ومدح وتمجيد السلطان أبي حمو الثاني شأنه شأن التنسي الذي ألف كتابه نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان " للسلطان أبي عبد الله المتوكل الزياني الذي دام ملكه من 866 هـ/1461م إلى 873 هـ / 1468م ، وقد كان كتاب البغية من أهم المصادر التي اعتمد عليها إذ استعنت بهذا المصدر في الفصل الأول كونه تحدث عن قبيلة بني عبد الواد ونشأة الدولة الزيانية وربط ملوكها بآل البيت وهذا أهم رابط مشترك بينه وبين التنسي .

إن أي باحث في تاريخ المغرب لايمكنه الاستغناء عن مصنفات ابن خلدون وبخاصة مؤلفه " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " . وقد احتوى الجزء السابع منه تاريخ الدولة الزيانية في عهودها الأولى والمضايقات التي تعرضت لها من طرف جيرانها المرينيين والحفصيين وذكر ملوكها إلا أنه شكك في نسب بني عبد الواد إلى الأدارسة وهو بهذا يخالف أخاه يحيى وعبد الله التنسي .

وقد كان كتاب روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين لمحمد ابن صعد الأنصاري ذا أهمية كبيرة فيما يخص حياة التنسي حيث كشف وظيفته عندما حدّث الحافظ تلميذه ابن صعد الأنصاري عن دعوة شيخه أبركان كما احتوى الكتاب على اشارات تخص بعض العلوم التي أتقنها التنسي وهذا بعض ما غاب عن البحوث السابقة.

وقد تضمن كتاب المعيار المعرب والجامع مع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب لأحمد الونشريسي أهم قضية في القرن التاسع الهجري أي عصر التنسي وهي قضية يهود توات حيث فصّل فيها ذاكرا كل الآراء المؤيدة والمعارضة لهذه المسألة أهمها فتوى التنسي التي أيدها السنوسي وانتظرها المغيلي بشغف كبير .

كما كان لكتب التراجم " نيل الإبتهاج لأحمد بابا التنبكتي ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله بن مريم محمد بن محمد المديوني ، تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي ، شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف " أثر في اثراء هذا البحث فيما يخص مولده وحياته وشيوخه وتلاميذه وبعض علومه بالرغم من اختصارها .

كتاب السيرة النبوية لابن اسحاق وكان من المصادر التي ذكرها التنسي في كتابه ، فقد تضمن ذكر العرب وقبيلة قريش نزولا إلى آل البيت حيث يسر لنا هذا المصدر مقارنة الروايات التي أتى بهاالتنسي والتأكد منها .

أما كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه فكان له أهمية كبيرة لإحتوائه على روايات وأحداث تشابهت إلى حد بعيد مع ما جاء به التنسي فقد كشف الحجاب على سند بعض الروايات وأصحاب كتب ، كان التنسي قد حجبها عنا .

وإلى جانب المصادر استعنت بمراجع أهمها :

تلمسان عبر العصور، دورها في حضارة الجزائر لمحمد بن عمرو الطمار وقد تطرق هذا الكتاب إلى أهم المراحل التارخية لتلمسان وحضارتها كما ألقى الضوء على الوضع السياسي، و النظام الإداري والحركة الثقافية ، والحالة الاقتصادية و أهم انجازات أمرائها.

نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية لبوزياني الدراجي وقد عالج هذا الكتاب الأوضاع السياسية للدولة الزيانية وأنظمتها الإدارية والإقتصادية .

تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي وقد تناول فيه صاحبه جل المجالات غير أن المعلومات التي قدمها كانت مختصرة ومع ذلك فإن تلك المعلومات والخلاصات مهمة لما تحتويه من معلومات مفيدة .

جوانب من الحياة في المغرب الأوسط لمحمود بوعياد وقد تضمن هذا الكتاب الجوانب الحضارية للدولة الزيانية أفاد البحث منه بشكل محدود لاختصاره .

تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله ، فقد كان الجزء الأول قد تطرق للأوضاع الثقافية للدولة الزيانية في القرن التاسع الهجري ، حيث صنف العلماء وذكر أشهرهم والمؤثرات الأساسية في بلورة الحياة الفكرية في تلك الحقبة .

الإمام بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التارخية لمقدم مبروك مقدم وقد احتوى هذا الكتاب تفصيلا وافيا لقضية يهود توات وتاريخهم في المنطقة .

أما فيما يخص المنهج المعتمد فقد سلكت في هذه المذكرة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ، إذ عالجت في الفصل الأول التنسي وعصره : فتحدثت عن الحياة السياسية والظروف التي نشأت فيها الدولة الزيانية ، والصراعات التي خاضتها مع جيرانها المرينيين والحفصيين والعقبات التي ساهمت في تقويض أركانها .

كما عرجت على الحياة الإجتماعية فألقيت الضوء على أسس المجتمع الزياني ، وكيف ساهمت العصبية القبلية في تأسيسه ، وأثر التركيبة السكانية والعادات والتقاليد السائدة أنذاك ، كما عالجت الأوضاع الإقتصادية والحصارالذي كان له الأثر السيئ على المجتمع الزياني وكيف ساهم ذلك في هجرة العلماء ، كما ألقيت الضوء على الحياة الثقافية ومساهمة علماء الأندلس الذين لجأوا إلى المغرب الإسلامي ، وإلى جانب هذه البيئة التي نشأ فيها التنسي كان لابد من إلقاء الضوء على حياة المؤلف فعالجت مولده ونسبه ونشأته ووظيفتة وشيوخه ومن عاصره من العلماء وبعض من تتلمذ عليه والعلوم التي برز فيها وآثاره التي تتمثل في:

- الطراز في شرح الخراز
- كتاب راح الأرواح
- نظم الدر والعقيان

كما حاولت مناقشة قضية يهود توات وابراز جل الأراء القائلة فيها ، ورأي مؤلف نظم الدر والعقيان الذي تزعم الفتوى رغم المخاطر التي كانت تحدق به كما حاولت ربط هذه القضية بطبيعة الشخصية اليهودية إذ استعنت بكتاب الشخصية الاسرائلية لحسن ظاظا وهو من المهتمين بالتاريخ العبري .

أما في الفصل الثاني فكان دراسة محتوى المخطوط الموجود بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2536 ، والذي يقع في 283 ورقة ومسطرته 31 سطرا في كل صفحة ، ومقاسه 267 × 200 فقد كانت الورقة الأولى فارغة منه وغير مرقمة ، وكتابتها غير واضحة أما الورقة الثانية عليها ختم قد يكون لمالك المخطوط وهو ابن أحمد بن عبد الرحمان أما الورقة الثالثة ذكر فيها أبياتا يبدو أنها لابن مرزوق حول المسافات ، على حاشيتها توضيح بالأرقام للميل والفرسخ أما الورقة الموالية فهي تحتوي على فقرات متفرقة المعاني بها أعلام من بينهم القرطبي وأراؤه في سورة الصافات والشيخ السنوسي .

ثم تأتي الورقة التي يبتدئ بها المؤلف المصنف حيث يبدأ المؤلف بالبسملة والصلاة على الرسول الكريم ثم يشرع بعد ذالك بالمقدمة التي أخبرنا فيها عن أسباب تأليف الكتاب وفصّل لنا خطة الكتاب وأقسامه .

والنسخة التي اعتمدتها في الدراسة ذات خط مغربي قليلة الأخطاء مكتوبة بحبر أسود على عكس العناوين التي خصص لها اللون الأحمر حيث كانت بخط أكبر بقليلا من خط المتن، كما كان يستعمل اللون نفسه اذا أراد الانتقال من معنى لآخر وكانت الكلمة الفاصلة أكبر أيضا وهذه النسخة سليمة من الخرم في كل أوراقها و بها تعليقات في الحواشي باللون الأزرق مخالف للون النسخة وتعليقات أخرى بلون مشابه للون النسخة وينهي مصنفه هذا بخاتمة تشتمل على الدعاء ورجاء المؤلف من أن يكون قد أدى بعض واجبه نحوى المتوكل ، ثم أعقب الخاتمة بما يقارب الصفحتين عن العرب العاربة والمستعربة ثم تلتها قصائد أبي حمو موسى الثاني ، و أنهى ذلك بفقرة للناسخ وهو أبو الوفا بن العربي بن محمد المطماطي الذي ذكر أنه أتم نسخ الكتاب في ضحى يوم الخميس 22 صفر سنة 1238هـ وأنه كتبه لشخص يدعى محمد الصقال وهذه النسخة منقسمة الى جزئين في مجلد واحد ذي لون بني داكن، وأشير إلى أنّ المخطوط مرقم بالورقة والصفحة إلى 130 ورقة ، أما باقي أوراقه فقد رقمت بالصفحات فقط

مما شكل صعوبة كبيرة في توثيق هامش عرض مادة المخطوط بالورقة مع العلم أنه لايمكن سحبه أو طبعه من القرص .

وقد تناولت في هذا الفصل أسباب التأليف وتحليل العنوان الذي يعد عتبة الكتاب ومدخله الذي يبين هدف المؤلف ثم أتبعت ذلك منهج تأليف التنسي ، و محاولة مناقشة المؤلف في ما ذهب اليه من ربط الزيانيين بآل البيت والأهداف التي كان يرمي إليها من وراء ذلك ، وخصائص تأليفه ، كما تحدثت عن المصادر التي اعتمدها التنسي في مصنفه و قارنتها بمصادر أخرى مبينة فيها إعتماده عليه و عدم التحري في الكثير من الروايات التي أوردها ، والأحاديث الموضوعة ، والقصص الخرافية ومقارنتها مع مجموعة من المصادر التي اعتمدها في مخطوطه.

كما حاولت اظهار بعض خصائص أسلوبه في الكتابة كما حاولت تحليل مقدمة المخطوط ثم عرضت مادة المخطوط محاولة بذلك تلخيصه لعل ذلك يغني القارئ المستعجل عن مطالعته برمته ، والمصنف يحتوي على خمسة أقسام .

المقدمة : من الورقة" 3 ظ "إلى الورقة " 4 و ".

القسم الأول : من الورقة " 4 و " إلى الورقة " 67 ظ " وقد تضمن هذا القسم التعريف بنسب المتوكل وذكر سلفه و بيان شرفه في الحديث والقديم ويشتمل على سبعة أبواب .

القسم الثاني : من الورقة " 68 و " إلى الورقة " 128 و " ويتضمن الخصال الضرورية لكمال الملك وحسن السيرة وجميل الخلال ويتكون من أربعة فصول .

القسم الثالث : من الورقة " 129 و " إلى الورقة " 209 و " ويتضمن مجموعة من النوادر والملح والوصايا النافعة ويتكون من ستة عشر بابا وهو أضخم جزء في الكتاب فقد شكل أكبر الأقسام حيث تضمن نوادر وملح وأخبار العرب التي كان يهدف من ورائها إلى تسلية السلطان ووعظه بطريقة غير مباشرة.

القسم الرابع : من الورقة "209 و " إلى الورقة "253 و " ويتضمن محاسن الكلام في النثر والنظم ، وعلوم اللغة والبلاغة حيث ظهر فيه التنسي حافظا قوي الذاكرة لما حملته ذاكرته من الشعر وقواعد البلاغة ويتكون من ثمانية أبواب .

القسم الخامس : من الورقة " 253 و " إلى الورقة " 273 ظ " ويتضمن المواعظ والأحاديث النبوية والشريفة والحكم المتنوعة .

الخاتمة : من الورقة " 273 ظ " الى الورقة " 274 و " وضح فيه المؤلف سبب إختصاره لبعض الروايات وذكر النوادر والملح وبعض المضحكات التي تروح عن النفس وتدرأ الملل .

وأخيرا لا يفوتني أن أنوه بمجهود أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد بن معمر الذي لم يأل جهدا في تتبع خطوات هذه المذكرة وتصويبها فلولاه لما خرجت إلى الوجود كما هي فالله أسأل أن يسدد خطاه في خدمة العلم وطلبته .

توطئة

توطئة :

إن بقاء الدول و استمرارها مرتبط بالقيم التي توفرها لأفرادها كي يبدعوا و يرتبطوا بها ارتباطا عصبيا قويا بحيث يصبح وجودهم بوجودها ،« فالدولة لها أعمار طبيعية كماالأشخاص » [1] وأول هذه القيم العدل ، فالدولة العادلة تدوم ولو كانت كافرة ولا تدوم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ، ودولة الموحدين لم تفلت من هذه القاعدة فكانت في طور شبابها قوية مترامية الأطراف ولكن مع توالي الأيام أخذ الضعف يدب في مفاصلها وذلك بضعف العصبية في صفوفها وتوزع قواتها على شتى الأقطار وانغماس قادتها ورؤسائها في أنواع الترف فكانت هزيمة وقعة العقاب بالأندلس سنة (609هـ/ 1212 م) وتلتها ثورة بني غانية ثم كانت وقعة بين الموحدين وبني مرين سنة (612هـ/ 1215 م) ثم كان تنافس الولاة والأمراء على الرئاسة مما أدى إلى تجزئتها و انقسامها إلى دويلات أهمها دولة بني مرين و بني حفص وبني عبد الواد [2].

ولعل هذا يقترب من نظرية هيبوليت تين[3] فيما يخص البيئة والعصر إذ الانسان لا يمكنه أن يتملص من العصر و البيئة التي يعيش فيها فهي المحيط الذي يمد الباحث بالمؤثرات المكونة للشخصية ، و من هنا كان من الضروري تناول عصر التنسي للوقوف على مصادر تراثه الفكري .

لقد عاش التنسي في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وتمثل هذه الفترة عهدا حاسما في تطور المغرب الأوسط في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية [4] .

---

[1] – محمد فاروق النبهان ، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة بيروت . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت . ط1 /1418هـ/1998م ، ص : 201 .

[2] – محمد ابن عمروالطمار تلمسان عبرالعصور دورها في حضارة الجزائر. المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر ط \ 1984ص : 79 .

[3] – تين مؤرخ وفيلسوف فرنسي ولد 1828م ، وتوفي سنة 1893م ، وقد صرح بان الجنس والبيئة والزمان هي العوامل الثلاثة التي تفسر الحوادث ويكشف أسبابها وهي المرجع الأساسي في تطورات التاريخ البشري . محمد بن عبد الكريم ، المقري وكتابه نفح الطيب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص : 16 .

[4] – محمد بن عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق عبد الحميد حاجيات المؤسسة الوطنية للكتاب ط / 1984م ، ص : 7 .

لقد عمرت دولة بني عبد الواد أكثر من ثلاثة قرون من 1236م إلى 1545م غير أن حياتها قد أنهكتها الصراعات مع خصومها فقد استمرت تدخلات الدولتين المجاورتين من مرنيين وحفصيين للحد من شوكة الدولة الزيانية لتنصيب من يرتضونه من أمرائها على العرش[1] والإطاحة بكل من علا شأنه و قوي نفوذه وأصبح خطرا على كيانهم .

لقد كانت هذه التدخلات تشكل الشغل الشاغل لملوك بني زيان، منذ عهد يغمراسن مؤسس دولتهم ، فكانوا يبذلون معظم الجهود لرد عادية جيرانهم والدفاع عن حوزة بلادهم والاستعانة بالقبائل المجاورة لهم أو المتمركزة في منطقتهم للحد من الاعتداءات المتكررة لجيرانهم[2] و لعل قلة الأنصار و ضعف الدولة ساهما في اختفائها من خريطة المغرب الإسلامي عدة مرات، غير أن عزيمة أنصارها على الرغم من قلتهم مكنتها من عودتها الى مسرح الأحداث[3]، فقد اشتهرت هذه الدولة في أول نشأتها باسم"دولة بني عبد الواد" الى ان كان الاستيلاء المريني على تلمسان سنة (737هـ \1337م) فعرفت عد ذلك في صرالانبعاث على عهد السلطان أبي حمو الثاني باسم "الدولة الزيانية" نسبة إلى ثابت والد يغمراسن أول ملوكها [4] .

---

[1] -بنو مرين من القبائل الزناتية التي لم تشأ الخضوع لنفوذ الموحدين ، ولهذا آثروا الهجرة إلى الصحراء جنوبا على الدخول في طاعتهم . وكانت حياة الصحراء توافقهم لأنهم من البدو الرحل ، وكانو يرحلون في فصل الربيع إلى شمال المغرب الأقصى لرعي إبلهم ومواشيهم ، فيقضون شهورا من السنة نازلين بين فجيج وملوية حتى إذا اقترب فصل الشتاء رجعوا إلى بلادهم من زاب إفريقية إلى سجلماسة . ومن أعظم ملوكهم يعقوب بن عبد الحق المريني . ينظر ابن أبي زرع علي الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ص : 297 ، 313 . ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . منشورات محمد علي بيضون . بيروت : دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 1992م، ج : 7 ، ص : 197 . الناصري أحمد بن خالد ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء : المغرب دار الكتاب ، ج : 3 ص : 5 .

[2] – محمد ج 2، ص : 145.بن عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، ص:7.

[3] – بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط/ 1993 ص :27

[4] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط /7، 1994م ج 2، ص : 145.

الفصـــــل الأول

– عصره :

الأوضاع السياسية :

1- أصل بني عبد الواد: يذكر المؤرخون العرب أن البربر ينقسمون إلى فرعين عظيمين هما : البرانس والبتر والى هذه الاخيرة تنتمي زناتة [1] وعنها تفرعت قبائل كثيرة ذكر ابن خلدون منها :(مغراوة ، وبني يفرن وجراوة ، وبني يرنيان وغمرة ، ووواسين وبني تيغرس ، وبني مرين ، وبني توجين ، وبني راشد ، و بني عبد الواد و بني برزال ، و بني ورنيد ، وبني زنداك ،. . .) [2] وقبيلة بني عبد الواد فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة الكبير، وأصل هذه التسمية تعود إلى"عابد الوادي رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيح ابن واسين بن يصليتن بن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الابتر بن بر ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"[3].

وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ، ذكر منها ابن خلدون ستة هي : " بنو ياتكين ، وبنو اولو وبنو ورهطف ، ونصوحه ، وبنو تومرت ، وبنو القاسم"[4] والفرع الأخير هو الذي كانت اليه الرئاسة خلال عهد الموحدين وهو الذي حاول بعض المؤرخين أن يرفع نسبه الى الادارسة العلويين .

وقد كان استقرار بني عبد الواد في الجهة الغربية للمغرب الأوسط زمنا طويلا إذ عاشوا حياة البدو الفقيرة فدخلوا في طاعة الموحدين وأخلصوا في خدمتهم فنالوا مقابل ذلك إقطاعات شملت وهران وما يليها غربا حتى تلمسان[5].

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 6 ، ص :176-177.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج 7 ، ص :57،58.

[3] – يحي ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية الجزائر ، 1400هـ – 1980 م ، ج : 1 ، ص : 186 . مصطفى أبو ضيف ، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين . الدار البيضاء : مطبعة دار النشر المغربي ، ط : 11982 م ص : 145 .

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر ، ، ج 7 ، ص :72.

[5] – ابن الأحمر الأنصاري ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تحقيق هانى سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط /1 (1421هـ – 2001 م) ، ص : 10.

أجمع بعض المؤرخين ، ومنهم أبو عبد الله التنسي وعبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحي على رواية واحدة وهي طريقة وصول بني عبد الواد الى السلطة ففي خضم الصراعات التي شهدتها دولة الموحدين وأضعفت كاهلها خرجت عليها قبائل زناتة لتجد بجانبها بني عبد الواد فقط في مساندتها[1].

"و نتيجة هذه المؤازرة ضد قبائل المنطقة المنشقة أقطعوهم كل بلاد بني ومانو" [2] وفي سنة 627هـ - 1229 . عقد لهم الخليفة أبو العلاء إدريس المأمون [3] على ولاية تلمسان فتولاها جابر بن يوسف فقام يدير شؤونها ، ويدخل تحت نفوذه جميع بطون بني عبد الواد وقصد أهل ندرومة ، فطلب منهم الطاعة ، فأبوا فحاصر المدينة فرماه من سورها يوسف الغفاري التلمساني بسهم فقتله ، فخلفه على تلمسان ولده الحسن لكنه تخلى عنها بعد ستة أشهر لعمه عثمان بن يوسف ، فعزل هذا بعد عام ونصف لاستبداده وسوء تدبيره فقام بعده بالأمرأبوعزة زيدان بن زيان مدة ثلاث سنين فأطاعه قومه فظاهرهم بنو راشد [4] ثم نكث عنهم بنو مطهر ، فشمر لمقاتلتهم لكنهم قتلوه سنة 633هـ- 1235م فلم تبق حينئذ تلمسان ولاية موحدية فقد استولى عليها يغمراسن بن زيان وكان زعيم آل زيان الذي تولى رئاسة القبيلة سنة 633 هـ[5]

2 - ظهور يغمراسن[6] وقيام دولة بني عبد الواد :

يعد الموقع الجغرافي لدولة بني عبد الواد بين دولتي بني مرين غربا والحفصيين شرقا مسرحا و ميدانا للمباراة بين هاتين الدولتين في المغرب الإسلامي

---

[1] - ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، ص : 10 .

[2] - بنو ومانو : من أوفر بطون زناتة ، كانت مواطنهم بالمغرب الأوسط إلى جهة المشرق عن وادي ميناس في منداس ومراث وما إليها من أسفل شلف . وكانت مغراوة وبني يفرن متقدمين عليهم في الكثرة والقوة ، وهم من أشياع الناصر بن علناس الحمادي ، ومن بطونهم بني يالدس . عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج : 6 ص : 66 .

[3] - ابو العلاء ادريس المأمون : هو إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف عبد المؤمن بن علي ، كنيته أبو العلاء ، لقبه المأمون بويع في يوم السبت الخامس والعشرين لربيع الأول من سنة سبع وعشرين وستمئة ، بعد صراع شرس مع أخيه يحيى على الحكم . علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب ، ص : 327 ، 328 .

[4] - بنوراشد : بطن من قبيلة زناته ومن أبناء عمومة بني عبد الواد وقد كانوا قاطنين بالصحراء ثم استوطنوا الجبال الموجودة شرقي تلمسان عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص :152 - 153 ، محمد العدواني تاريخ العدواني ، تح : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، ط/ 2 ، 2005 ، ص : 333 .

[5] - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص : 79 .

[6] - تولى يغمراسن بن زيان الحكم سنة 633هـ / 1236م الى سنة 681هـ / 1283م .

والاستيلاء على طرفيه فالكل يدعي لنفسه أحقية وراثة دولة الموحدين ، فكانت هذه الوقائع المتكررة بين دول المغرب درسا عمليا ليغمراسن وما بعده من حكام[1] ليجتهدوا في المحافظة على كيانهم إذ استفادوا من الأخطاء وقد كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد أول حاكم يتبوأ منصب القيادة و قد وصفه ابن خلدون أنه كان "من أشد الناس باسا وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيلته وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة "[2].

قد تمكن هذا القائد من ضم بني مطهر ، وبني راشد الخارجين من قبل عن أخيه فغدت تلمسان مركز الإمارة التي أخذ يوسع في رقعتها ، و يضم إليها مزيدا من الأراضي الموحدية الضعيفة إلى أن سقطت المدينة من يد دولة الموحدين ، إلا أنه بقي يدعو لخليفة مراكش ، فطار صيته [3] ، و لما استولى يغمراسن على مدينة تنس استقدم أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي إلى تلمسان و طلب منه أن يقيم فيها لتدريس العلوم الدينية .

لقد لقي يغمراسن الطريق محفوفا بالمصاعب في بناء دولته نظرا لتعقد الأوضاع في المغرب الإسلامي آنذاك ، ذلك أن دولة الموحدين دخلت في طور الانهيار وأصبح سقوطها مسألة وقت فقط ، وأدرك صعوبة الموقف الذي أصبح فيه لكون دولته أصغر دويلات الشمال الإفريقي وأقلها قوة [4].

إغارة الحفصيين على تلمسان :

إن من بين الدروس التي استفاد منها يغمراسن أن وثق عرى الصداقة ووطد أسباب الولاء بينه و بين سلطان الموحدين سنة 639 هـ ، فحصلت المؤازرة بينهما[5] " فخشي أبو زكرياء أمير الدولة الحفصية أن يعقد السلم بين يغمراسن و بني

---

[1] – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج:2 ، ص : 151.
[2] – عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر، ج : 7 ، ص79.
[3] – أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص :115 ، محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور، ص : 80 .
[4] – على محمد الصلابي صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، مصر ، دار الإيمان ، الأسكندرية ، 2003 م ،ج 2 ص : 751.
[5] – عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج :2 ، ص :148.

مرين ثم يقع التحالف بين هؤلاء وخليفة الموحدين على محاربته فقرر تأديب يغمراسن "[1] ونظرا لقوته خضع له ياغمراسن وأقام الدعوة له و تزامن ذلك بولاية السعيد علي بن المأمون إدريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان شهما حازما يقظا فعزم على تقويم المنشقين [2] فخرج المعتصم من مراكش عام 645هـ/ 1247م حاشدا الجموع الكثيرة فقصد مكناسه أولا وبلغ الى تازة في شهر محرم سنة 646هـ/ الموافق لإبريل 1248م فاطاعته مرين ثم تقدم الى تلمسان وحاصر ياغمراسن بقلعة تامزرودكت قبلة وجدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع قتله يوسف بن عبد المؤمن الشيطان وقد استولى بنو عبد الواد على كل اسلابه وذخائره ومن هذا التاريخ اصبح الخلاف شديدا بين بني مرين وبن زيان الذين يعتبرون تابعين للإمارة الحفصية ببجاية[3].

وقد ذكر ابن خلدون في هذا الصدد أن الدعوة الحفصية بأفريقية قد انقسمت بين أبناء زكريا بعد وفاته ليلة الجمعة 12 جمادى الثاني سنة 647هـ(22 أيلول 1249هـ) فخلفه ابنه محمد المستنصر ، فخرج عليه أخوه أبو اسحاق ، لكن المستنصر قضى على ثورته ، ففر الى تلمسان ثم الأندلس ، لكن عاود المجئ بعد وفاة أخيه مطالبا بالخلافة فسانده يغمراسن فتمكن من السيطرة على بجاية في ربيع الأول سنة 678هـ (12 يوليو 1279) [4]، و في هذا الوقت بسط يغمراسن حكمه وسلطانه لفترة زمنية دامت 48 سنة وكانت وفاته في أخر ذي القعدة سنة 681هـ (1281م) فخلفه ابنه عثمان الذي قام بعده بتحركات شرق المملكة لإخضاع القبائل الثائرة [5] ، واستمر بنو زيان تابعين للحفصيين إلى ان غزا السلطان المريني يوسف بن بن يعقوب تلمسان عام 1299 وفرض عليها ذلك الحصار الطويل المشهور ، وأسس

---

[1] – محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص : 80 .
[2] –عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر، ج7 ، ص : 82
[3] – يحي بوعزيز المقال السابق ، مجلة الأصالة عدد 26 ص :15.
[4] – عبد الرحمان ابن خلدون ، كتاب العبر، ، ج 7، ص : 90 .
[5] – يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج1 ، ص :208 – 209.

مدينة المنصورة معسكرا للجيش و لما طال الحصار[1] بتلمسان استنجد عثمان بصهره ابي زكرياء الحفصي صاحب بجاية لكن اعترضتها بنو مرين وقد إطمئن أمراء المملكة الحفصية الشرقية ، وكانت مناصرة بينهما على حصار بجاية وكان هذا سببا في تنكر سلطان بني زيان للأسرة الحفصية المالكة .[2]

دور الاستقلال عن الحفصيين والخضوع للمرينين :

وتتمثل أحداث هذه المرحلة في محاولة بني مرين إخضاع تلمسان لهم وسعي وحرص أمراء بني عبد الواد على المحافظة على استقلالهم ، وقد كان قطع الدعوة الحفصية على منابر تلمسان خطوة أخرى في سبيل إبراز كيان دولة بني عبد الواد [3] فبعد الحصار بخمس سنوات توفي عثمان يوم السبت غرة ذي القعدة سنة 703هـ (1304م) وخلفه ابنه السلطان أبو زيان محمد الحاكم لمدة ثلاث سنوات فقط ، حيث أصيب بمرض أودى بحياته أخريات شوال من سنة 707 هـ [4]، لما هلك الأمير أبو زيان قام بالأمر بعد أخوه أبو حمو " وكان صارما يقظا حازما داهية قوى الشكيمة صعب العريكة شرس الأخلاق مفرط الدهاء والحدة " [5]

أفتتح أبو حمو موسى عهده بإبرام الصلح ، وتحقيق السلم مع أمراء بني مرين تأمينا لظهره ، فأوفد كبراء وزرائه إلى السلطان أبي ثابت حيث أمضيا معا صلحا حسب ما كان يريد[6] وقد بذل جهدا في إصلاح تلمسان و أسوارها وحصنها ومد سلطانه سلطانه غربا حتى وادي الملوية ثم اتجه إلى الجانب الشرقي حتى وصل إلى بجاية وقسنطينة وكان ذلك على حساب الحفصيين[7] كما اخضع بني توجين و مغراوة .[8]

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص :54 – 95 ، روض القرطاس ، ص : 509 – 513 .
[2] – محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص : 100.
[3] – يحيى بوعزيز ، المقال السابق ، مجلة الاصالة ، عدد : 26 ، ص : 16.
[4] – بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ص : 32.
[5] – عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر، ج : 7 ، ص :97 .
[6] – يحيى بوعزيز ، المقال نفسه ، مجلة الاصالة ، عدد : 26 ، ص : 16 .
[7] – ابن الاحمر الأنصاري ، تاريخ الدولة الزيانية ، ص : 30 .
[8] – يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج : 1 ، ص :216.

وبسط سيطرته بعد ذلك على الجزائر كما سيطر على العديد من المناطق منها دلس و منطقة الزاب بالصحراء الشرقية وبهذا تقلص نفوذ الحفصيين على كثير من جهات الجزائر الشرقية في حين توسع نفوذ بني عبد الواد[1].وفي الوقت الذي كان أمراء بني عبد الواد يحاولون بسط نفوذهم ويوسعون سيطرتهم على هذه الجهات كان سلطان المغرب الأقصى أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يبيت الشر ويتأهب للعدوان ضد تلمسان [2] ، وفي سنة 714 هـ خرج سلطان المغرب هذا من مدينة فاس [3] لغزو لغزو تلمسان و ضواحيها [4] ولكنه فشل في اقتحامها واضطر إلى الانسحاب فاستغل أبو أبو حمو هذه الفرصة واخذ يصفي نفوذهم ويطارد أمراءهم إلى جهات كثيرة من حوض الشلف[5].

مصرع أبي حمو الأول :قرّب أبو حمو ابن عمه مسعود بن برهوم الذي عرف بالفطانة والنباهة و الدهاء فأخلص في خدمته مما جعله يؤثره على بنيه و يفوضه في مهماته وكان أبو حمو قد دفع اليه علوجا يقومون بخدمته فكان منهم هلال المعروف بالقطلاني و مسامح المسمى بالصغير وفرج بن عبد الله وغيرهم كثر فكانوا يحرضونه على أبيه لإيثاره ابن عمه فلقي هذا التحريض هوى في نفسه[6] هكذا هكذا تآمر عليه المقربون منه ، فقتلوه يوم الأربعاء 22 جمادى الأول سنة 718هـ وكان معه وقتئذ مسعود المذكور وبنو الملاح[7].

---

[1] – محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص :114.

[2] – يحيى بوعزيز ، المقال السابق ، مجلة الاصالة ، عدد26 ، ص:17.

[3] ـ فاس : مدينة مشهورة كبيرة ، على بر المغرب ، بها خيرات ، وصنائع غريبة ، وهي كثيرة العيون ، تسقى من نهرها الأتي من المرج الذي في شرقها ، ويصب في نهر سبو الذي يمر على شماليها ، ينساب يمينا وشمالا في مروج خضر، فإذا انتهى النهر الى المدينة ، افترق منه ثمانية أنهار تشق المدينة عليها نحو 600 رحى في داخلها كلها ولاتبطل ليلا ولا نهارا ، تدخل من تلك الأنهار في دار ساقية ماء ، وليس في بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إ لا غرناطة بالأندلس ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان . دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان . 1957 ، ج : 4 ، ص : 230.

[4] – ابن ابي زرع الفاسي ، روض القرطاس ، ص:527.

[5] – محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص : 117 ، يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التارخية لدولة بني عبد الواد الزيانية ، مجلة الاصالة عدد 26 ، ص :17.

[6] – ينظر عبد الرحمان ابن خلدون العبر ج 7 ص : 104-105.

[7] – بنو الملاح أسرة منها عدة موظفين سامين خدموا الدولة الزيانية ، أولهم عبد الرحمان ابن محمد بن الملاح الذي تولى منصب "صاحب الأشغال "للسلطان يغمراسن . قال يحي ابن خلدون (" البغية "،ج1 ، ص127) : "هم بيت سراوة من أهل قرطبة احترافهم السكاكة أولو أمانة فيها ودين ".

وخلفه ابنه أبو تاشفين حيث كان شؤما على بيت ال زيان فصغر سنه وتسرعه في اتخاذ القرارات الصعبة وطموحه الزائد ، هيأ له أن بامكانه السيطرة على أراضي [1] أكثر فبعد المعاهدة التي عقدها مع السلطان المريني استوحش الأمر بينهما ، فغزا أبو تاشفين تازة واكتسح مزارعها وحقولها ورد عليه السلطان المريني بغزو موانئ تلمسان الساحلية بأسطوله والسيطرة على عدد من المدن مثل ندرومة وهنين ووهران وجبال تسالة وتنس والجزائر الشرقية وما زاد الطين بلة تحالف أبي بكر خليفة فرع الحفصيين في بجابة بعد ما عسكر أبو تاشفين جنوب بجاية ، وتخلي يعقوب بن عامر وعرب السويد عنه.[2]

ومن الواضح أنه لم يستفد من حنكة أجداده مع التعامل مع مثل هذه الأوضاع كما فتح على نفسه بابين ، مشتتا بذلك قواته بين الجبهتين الشرقية والغربية ، فلم يجد سياسة المداهنة لتأمين إحدى الجبهتين ، فكان ثمن ذلك احتلال تلمسان وقتله فاأصبحت بذلك تابعة للمرنين ويعتبرهذا الاختفاء الأول الذي تليه إختفاءات عدة .

مرحلة البعث الثاني للدولة الزيانية والتدخل المريني ضدها :

تتمثل هذه المرحلة في إحياء دولة بني عبد الواد من جديد بعد اندثارها ، وفي تكرار التدخل المريني ضدها بقي المرينيون يسيطرون على تلمسان منذ أن احتلوها حتى" كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان"[3] على يد عرب بني هلال[4] وبني سليم سليم بعد أن تخلى عنه معظم جيشه الذي حاول به أن يغزو تونس فاغتنم بنو عبد الواد الفرصة وسعوا لإحياء دولتهم وبعثها من جديد ، فبايعوا أبا سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن ياغمراسن وتصالحوا مع المغراويين وبني توجين ، ثم أسرعوا إلى مدينة

---

[1] – اسماعيل بن يوسف الخزرجي ، تاريخ الدولة الزيانية ، ص : 30.

[2] – يحي بوعزيز المقال السابق ، عدد 26 ، ص : 18ـــ17.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر، ج7، ص : 115 .

[4] ـ نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان بن مضر من العدنانية أول موطنهم كانت جبل غزوان عند الطائف ثم انتقلو بعد ذلك بصحبة القرامطة إلى البحرين وعمان ، ثم كان نقلهم من طرف العزيز الفاطمي إلى الصعيد بالعدوة الشرقية للنيل مع بنو سليم ، ثم أجازو النيل بأمر من المستنصر الفاطمي الى أفريقيا فنزلوا ببرقة سنة 443 هـ /1051 م ، وتقدموا لسائر بلاد المغرب ، من بطونهم : ذياب وعوف ، وزغب والأثبج ن بنو قرة ، بنو حرب ، بنو رياح ، أبو الفوز البغدادي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، بيروت ك دار الكتب العلمية ، 1409 هـ / 1989 م ، ص : 160 . عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . بيروت : دار العلم للملايين 1388 هـ / 1968 م ،ج :3 ، ص : 1221 .

تلمسان واقتحموها وعين أبو سعيد عثمان أخاه أبي ثابت مسؤولا عن الشؤون العسكرية وأمور الحرب ، ثم نهض لمقاومة الخصوم والمنشقين وأعاد سيطرة بني عبد الواد على الكثير من المناطق لكن ما كادت الأوضاع تستقر حتى عاود المرينيون هجماتهم فكانت لهم الغلبة بعد معركة وادي القصب فقتلو أمير تلمسان أبا سعيد وقد عجز أبو ثابت على مواجهتهم فانسحب إلى الوراء شرقا وذهب متنكرا إلى مدينة الجزائر بصحبة عدد من أفراد بني عبد الواد على رأسهم ابن أخوه أبو زيان محمد بنو أبي سعيد وموسى بن يوسف ووزيرهم يحيى بن داوود ، [1] ومن الجزائر اتجهوا إلى بجاية فاعترضهم في الطريق بعض الناس وسلبوا ما عندهم من أمتعة وزاد ثم وقعوا في أيدي أنصار بني مرين الذين اقتادوهم إلى بجاية وسلموهم إلى الأمير المريني أبي عنان الذي كان يوجد هناك فاصطحبهم معه إلى تلمسان ونفذ القتل في أبي ثابت على غرار أخيه ، وبذلك اندثرت دولة بني عبد الواد للمرة الثانية وعادت إلى سلولة بن مرين مدة من الزمن حتى أعاد الكرة أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن وأحياها من جديد.

مرحلة البعث الثالث لدولة بني عبد الواد الزيانية :

استمرت سيطرة بني مرين على تلمسان سبع سنوات لكن ما لبثت هذه القبضة أن انفلتت فنجاة ابن أخ أبي ثابت أبو حمو موسى [2] يوسف ابن عبد الرحمن كانت بمثابة باب فتح ليبعث ظهور دولة بني عبد الواد من جديد ، فبعدما عصفت بهم رياح بني مرين وتغلب السلطان أبو عنان عليهم وبعد مقتل عمه أبي ثابت ، أغفلت عنه العيون فسار إلى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد تافراكين فأكرم نزله ، وأحله مكانا مرموقا في مجلس سلطانه.[3]

---

[1]– محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص ص : 140-141.

[2] - أبو حمو موسى : من ملوك بني زيان ، له مكانة خاصة في تاريخ في هذه الدولة تولى الحكم بعد الاحتلال المريني لتلمسان وتميّز عصره بالاضطراب والفتن فكانت نظريته السياسية معبرة عن شخصية وعن دولة هذا الملك العالم والأديب ، يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ج : 1 ، ص : 212 . محمد الأمين بلغيث ، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989 ، ص : 65 .

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج7 ، ص : 122 .

وكان بنو عامر من عرب زغبة خارجين على السلطان أبي عنان المريني منذ استيلائه على مدينة تلمسان وقد قامت بينهم وبين عرب سويد حلفاء بني مرين معارك حامية جنوبي تلمسان انتصر فيها بنو عامر وقتلوا زعيم عرب سويد **عثمان بن ونزمار** وراح رؤساؤهم إلى تونس واجتمعوا إلى الحاجب أبي محمد بن تافراكين واقترحوا عليه أن يحلق أبو حمو موسى بإقليم تلمسان ليجلب عليها ويسترجع ملك أجداده وسألوه أن يجهز عليه آلة السلطان ، وأنهم مستعدون لمؤازرته وإعانته على مهنته فاستحسن اقتراحهم وأصلح شأنه بما قدر عليه ن ودفعه إلى مصاحبته صغير بن عامر وقومه بنو عامر فارتحل معهم من الدواودة " عثمان بن سباع ، ومن أحلافهم سعيد دغار بن عيسى بن رحاب وقومه ، ونهضوا بجموعهم يريدون تلمسان ووصلهم وهم في طريقهم خبر مهلك لسلطان أبي عنان فقويت عزائمهم على انتزاع الملك الزياني من يد الغاصبين بني مرين .[1] واقتحموا تلمسان في يوم 7 فيفري 1359 م وأعاد أبو حمو تجديد دولة أجداده وأبائه للمرة الثالثة على أنقاض السلطة المرينية الراحلة ، وأطلق عليها اسم الدولة الزيانية بعد أن كانت تسمى بإمارة بني عبد الواد وحاول أن يعيد لها شبابها وحيويتها كما كانت في عهد ياغمراسن ويمتاز هو بحبه للعلم والعلماء ، وقول الشعر ، وتأليف الكتب ، مثل كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك.

اهتم أبو حمو بتدعيم سلطته وإمارته وبالقضاء على نفوذ بني مرين في كل أنحاء المغرب الأوسط فافتك وهران منهم عام 1361 ومدينة الجزائر في العام الموالي وبلاد القبائل في العام الذي تلاه.

بعدما انتصر بنو مرين على بني عبد الواد في وقعة واد القصب سنة 753 هـ /1352م كان في قبضتهم ابو زيان بنو سلطان أبي سعيد عثمان الزياني ولما حانت فرصة حاجتهم إليه فوسوسوا إلى نفسه منافسة أبي حمو، وأمده بالعتاد والسلاح فخاض هذا الأخير معارك عديدة لكنها باتت بالفشل بل و انقلب السحر على الساحر

---

[1]– محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 145.

حيث أغار أبو حمو على المغرب الأقصى فأوقع في أعدائه قتلى وأسرى حتى صالحه أهلها وانعقدت الهدنة بين الجانبين ثم كانت بعد ذلك حوادث وفتن أثارها ابو زيان على أبي حمو دون طائل[1] .

عصيان أبي تشفين واستشهاد أبي حمو الثاني : ولم تتوقف بنو مرين من تكرار اعتدائها ، فبعدما رفض أبو حمو ، طلب أبو فارس في رد عرب المعقل استنهض جنوده وتمكن من تلمسان ، أما أبو حمو موسى الثاني فاستنجد بالصحاري متفاديا بذلك مكوثه بين أسوار المدينة خشية حصاره ، أو نفاذ ، مؤنته حتى سنحت له الفرصة بالعودة بوفاة أبي فارس المريني في عام 22 ربيع الثاني عام 774هـ [2] فانفرجت عنه الشدة ورحل عائدا إلى عاصمته فدخلها بعد غيابه عنها الذي دام سنتين ذاق فيها المرارة والذل ما لم يذقه جل الأمراء والملوك من المشقة والعناء [3].

عصيان أبي تشفين ووفاة ابي حمو الثاني : لم تتوار بنو مرين عن زرع الشقاق في الأسرة الزيانية لإضعاف قوتها فقد دأبت على زعزعة أركانها [4] وبالفعل تمكنت من أن توعز صدر الإبن ضد أبيه فينقلب عليه ، وكان ذلك سنة 788هـ / 1386م ، اذ اغتال أمين سر أبيه ، وكانت هذه نكبة وبداية إعلان الحرب والعصيان ضد والده الذي استولى على عرشه وسجنه ، ونجا هذا الأخير مرة أخرى ، وحاول استرجاع ملكه المغدور إلا أن كل محاولته باءت بالفشل لإعانة بني مرين ابنه أبا تاشفين ، فقد أعانته بكل السبل حتى تتخلص من هذا الحاكم المحنك الشهم الذي رفض الخضوع لهم ، وهددهم في عقر دارهم ، وما تراجع هذا الرجل الشجاع حتى وافته المنية ، وكانت أزمة وفاته الأزمة التي تلتها أزمات أخرى متكررة من الجانبين الشرقي والغربي حيث أضحت الدولة الزيانية كالكرة في وسط الملعب تتقاذفها الأرجل بسبب من تملك زمام السلطة ، فلم تكن هممهم مثل همم أجدادهم في الذود عن حماهم بل دفعهم

---

[1] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 1 ، 183 .

[2] - عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى حياته وأثاره ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط : 2 1982، ص : 130.

[3] - يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج :2 ، ص : 270 - 274 ، عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر ، ج : 7 ص : 281 .

[4] - أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 180 .

طمعهم و لينهم وخضوعهم إلى أن يكونوا تابعين للغير محكومين لاحاكمين ، كما أن هذه المرحلة تعتبر بداية انهيار الدولة الزيانية ، فلم تقم لها قائمة قوية بعد أبي حمو الثاني فهجمات بني مرين وبني حفص زادت حدتها ، والصراع بين الأسرة الواحدة تكرر وأصبحت بذلك الدولة تعيش حالة من الفوضى والإنقسام بين مؤيد لطرف ومعارض لطرف أخر ، كما ترأس عرش هذه الدولة عدد من الأمراء جلهم ضعاف الهمة وقد كانت فترات حكمهم حروبا وانهزامات ونهشا لأطراف دولتهم .

وكان أبو تاشفين أولهم و كان قد تولى ولاية عهد المملكة في ذي الحجة 791هـ /21 نوفمبر 1389م[1] وكان مواليا في بداية حكمه لبني مرين إلى أن نازعه في ملكه أخو أبي زيان الذي أبوه على الجزائر في عهده ، وقد فشل في ذلك ، واستعان بالمرينيين إلا أن المنية فاجأت أبا تاشفين [2] ليصبح العرش من بعده محل صراع بين الإخوة فاعتلاه أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين ، ولم يمكث فيه سوى أربعين ليلة حيث اغتصبه عمه أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني وقتله في جمادى الأولى 796هـ وتم دفنه في القصر القديم إلا أن ولاية هذا الأخير لو تدم طويلا " عشرة أشهر " [3] لتعود سياسة بني مرين في إشعال الفتن بين أفراد الأسرة الواحدة فقد أعادت السلطان أبا زيان محمد الثاني بعد ما كان مسجونا في عهد أبي العباس أحمد المريني ، وبعد وفاته اعتلى العرش ابنه أبو فارس الذي سخر أبا زيان لنيل من أخيه يوسف المشهور بابن الزابية حيث اعتلى عرش تلمسان غرة ربيع الثاني 796هـ/3 فيفري 1394 [4] أما يوسف فخرج منهزما إلى قبيلة بني عامر واغتيل في ربيع الأول سنة 797هـ/ ديسمبر 1394م وما إن استتب الأمر لأبي زيان حتى تنكرت له بنو مرين وذلك بتأليب أخيه أبي محمد عبد الله بن أبي حمو ومساعدته على احتلال تلمسان غرة القرن التاسع الهجري 1398م[5] .

---

[1] - نفسه ص : 184 .

[2] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص : 188- 189 .

[3] - أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان تح : محمود بوعياد ، ص : 206.

[4] - قايد مولود ، البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي ، دار النشر ميموني هشام ، الجزائر ، 2007 ص : 206 .

[5] - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص : 210 ، 208.

أما أخوه فقد لقي حتفه على يد محمد بن مسعود الوعزاني في المدينة سنة 805هـ/1402م [1] فكانت ولاية أبي محمد عبد الله الأول قصيرة حيث نصبت بنو مرين أخاه أبا عبد الله محمد المعروف بابن خولة [2] الملقب بالواثق سنة 804هـ/1401م إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء 7 ذي القعدة سنة 813هـ / مارس 1411م وخلفه ولده عبد الرحمان الثالث في التاريخ نفسه إلى أن حاصره عمه السعيد بن ابي حموو ألزمه بالتنازل عن عرشه وكان ذلك في أواخر محرم سنة 814هـ/ ماي 1411م [3] .

إلا أنه لم يهنأ بما حصل عليه لتعاود بنو مرين كرتها في تنصيب من يرتضونه ، فكلما سئمت من حاكم ورأت فيه تهديدا لمصالحها أزاحته وجعلته محل منافسة مع أحد أفراد أسرته ، ولم تتوار هذه المرة في نزع السعيد أبي حمو وتنصيب أخيه أبي مالك عبد الواحد الذي عزم على استرجاع ماغتصبه الحفصيون من أراضي ولم يكتف بهذا وإنما توسع من الناحية الغربية إلى عاصمة بني مرين حيث سيطر على فاس وولى عليها أميرا من قبله وبهذه الانتصارات زادت مخاوف السلطان الحفصي أبي فارس حيث جهز الجيوش واستولى على الدولة الزيانية ونصب عليهاالأمير محمد بن الحمرة ابن السلطان تاشفين ثم توجه بعدها إلى فاس حيث خضعت له بنو مرين الأندلس أيضا فكان المغرب الإسلامي عهدئذ بتمامه تحت رعاية السلطان أبي فارس الحفصي أما السلطان محمد الرابع فقد استغل فرصة تثبيته على العرش ورفض دعوة ابن حفص إلا أنهم دعموا أبا مالك عبد الواحد " السلطان المخلوع " الذي باءت محاولته بالفشل في استرجاع ملكه حتى استنجد بأعداء الأمس " الحفصيين " ، ومكنوه من ذلك إلا أن ابن الحمرة لم يستسلم ، فقد جال في أصقاع البلاد وجمع من الأنصار ما استطاع به أن يزحف إلى تلمسان يوم الخميس رابع ذي الحجة 833هـ / 24 أوت 1440م وقتل عمه أبا مالك ودفنه في القصر القديم إلا أنه لم يهنأ بملكه سوى ثمانية وأربعين يوما

---

[1] - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص : 210 - 208.

[2] - أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 230231 .

[3] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص : 194 .

حيث فاجأه السلطان الحفصي ، فأسره ونصب مكانه عمه أبا العباس أحمد العاقل سنة 834هـ/15 مارس 1431م [1] لكنه تمرد على مسانديه وعندما رفض عهدهم سنة 837هـ/1433م وكنتيجة بديهية رد عليه السلطان الحفصي بهجوم شرد به عن تلمسان حتى وافته المنية وظل العرش الزياني بين أخذ ورد بين الإخوة الأعداء ، حيث تنافس عليه مرة أخرى ابو يحيى وهو أحد أمراء البيت الزياني " أخ السلطان العاقل " والمستعين بالله وهو من عائلة الأسرة الزيانية إلى أن استقر في العرش أبو ثابت محمد ، وهو السلطان أبو ثابت أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بن أبي زيان محمد المستعين بالله بن يوسف جمادى الأولى سنة 866هـ/ فيفيري 1462م بعد ثورة خاضها إثر الإضطراب وكثرة المشاكل السياسية والإنقلابات وإعلانه الصريح على تمرده على الحاكم فقد استولى على مستغانم و وهران وتنس إلى أن تمكن من تلمسان عاصمة الدولة ، حيث عزل عم أبيه السلطا نأبي العباس مثيرا بهذا الإنجاز سخط الأمير الحفصي الذي ما لبث حتى خرج متوجها إلى العاصمة الزيانية إذ حصل في طريقه على مناصرة العديد من الوفود العربية " عرب السويد ، وبني يعقوب ، وبني عامر ، والدواودة " ولما رأى المتوكل أنه ما من سبيل سوى المصالحة لتثبيت مكانه وعرشه أرسل وفدا من ثلاثة أعضاء : ابي عبد الله محمد بن الشيخ أبي القاسم العقباني والشيخ أحمد بن الحسن ويرأسهما خال السلطان أبي الحسن علي بن حمود بن أبي تاشفين فوافق السلطان الحفصي على ذلك ووزع رجال قادة على العديد من مدن الدولة أما المتوكل فعمد جاهدا لاخضاع المنشقين عنه وتوحيد كلمة شعبه ، وتقوية جيشه وكان من قبل قد سيطر في أثناء ثورته في شهر ربيع الأول سنة 866هـ/ ديسمبر 1461م على مدينة الجزائر ومليانة ووهران ومستغانم وتنس [2] .

ومن الواضح أن جل المدن المجاورة للعاصمة الزيانية تلمسان لم تنعم بالسلم والاستقرار فتارة بين جند بني مرين وتارة أخرى بين جند بني حفص وأخيرا أصبحت محل صراع بين الإخوة الأعداد بين أفراد الأسرة الحاكمة فغياب الأمن والإستقرار

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 246 247 .

[2] ـ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص : 198 .

والتبعية للسلطات المختلفة جعلها مناطق متوترة ففي ظل هذه الأجواء المتوترة نبغ التنسي وهي فترة المتوكل التي عرفت استقرار نسبيا فقد سار هذا السلطان على منهج أسلافه في مسالمة العدو حتى تستقر الدولة وتثبت أركانها ، ثم يعلن استقلال المنطقة على الجانب المسيطر عليه لكن ما تكاد هذه الإستقلالية أن تستقر حتى تزول لقوة العدو وتذبدب القوة السياسية والعسكرية ، فبعد إعلانه انفصاله والتحكم في دولته فاجأته القوة الحفصية ، وكررت عليه الحصار، وطال أمده حتى استسلم وعادت الدعوة لهم على منابر تلمسان ، وعاد الملك الحفصي إلى حاضرته ، وبقي أبو ثابت على عرشه إلى أن وافته المنية بتلمسان سنة 890 هــ/1485م فخلفه بعده حكام أقل ما يقال عنهم أنهم لم يتحكموا في زمام الأمور، ولم تكن لهم حنكة سياسية تؤهلهم لحماية دولتهم بل نشب الصراع و التطاحن بينهم مما أثر على الحياة الاقتصادية و الثقافية وما زاد الطين بلة تحرك عامل التعصب الديني باسم المسيح حيث غزت إسبانية أجزاء من سواحل الجزائر حيث كانت خطة البابا الكسندر أن تسيطر كل من البرتغال وإسبانيا على كامل المغرب [1] وبدأت الهجمات المتوالية حتى كادت تسقط الدولة تحت سيطرتهم لولا التدخل العثماني الذي مثله عروج وخير الدين بربروسة الذي أنقد الموقف وحتى هذا الأخير لم يسلم في بداية تدخله من بعض الهجمات والمناوشات التي تلقاها من طرف بعض الحكام الزيانيين الذين ظلوا متشبثين بملك تلمسان إلى أن أفتى بعض علماء المدينة بخلع آخرهم وهو الحسن بن عبد الله سنة962 هــ /1555م فالتجأ إلى اسبانيا وانقطع خبره وحينها أعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان تلمسان الايالة الجزائرية وتسببت هذه الفتوى بهجرة كبيرة للعلماء من تلمسان [2] .

[1] ـ عبد العزيز سالم ، تارخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ج : 2 ، ص : 873 .
[2] ـ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص : 199 .

الأوضاع الاجتماعية :

إن البحث في الحياة الاجتماعية لأي شعب من الشعوب يفرض على الباحث أن يسائل عاداته وتقاليده والعلاقات التي تنتظم حياتهم فهذه العلاقات هي الإفراز الطبيعي للثقافة السائدة في ذلك المجتمع، والمتأثر بالصراعات السياسية فالمجتمع الزياني لم يعرف الاستقرار والأمن وهذا ما دفع كثيرا من العلماء إلى الهجرة طلبا للأمن لأن المجتمع لا يتطور إلا في ظل الاستقرار والإنسان لا يبدع إلا في ظل الحرية ، غير أن هذا لا يمنع من بروز شخصيات تتغلب على الظروف القاسية ، فتبدع وتترك بصماتها العلمية في التاريخ وهذا ما نجده في كتاب "نظم الدر والعقيان" للعلامة أبي عبد الله التنسي، كما تحقق ذلك في عبد الرحمن بن خلدون الذي عاش في عصر الانحطاط وابتكر علم الاجتماع كما شهد بذلك القاصي والداني من العلماء.

لقد تأسس المجتمع الزياني على العصبية القبلية[1] التي كانت من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدولة حيث تمكنت قبيلة بني عبد الواد من إنشاء دولتها بعد صعاب متعددة ومراحل طويلة قطعتها حيث تدرجت القبيلة المذكورة نحو الملك والسلطان من طورها الأول وذلك باتحاد عدة أسر في إطار وحدة سياسية أولية تدعى القبيلة ، وبواسطة القوة وفرض السيطرة يتم اتحادها، فالأسرة ذات العصبية الأقوى هي التي تضم الأسر الأخرى وهذا ما حدث عند اتحاد القبائل في سبيل تشييد دولة ما[2] ومن البديهي أن تتطلع تلك الأسر والعشائر[3] إلى الأمن الذي يوفر لها الاتحاد ، وبالتالي القوة حيث تتمكن من توحيد صفوفها وصولا إلى تشكيل وحدة اجتماعية أكثر فعالية، وكغيرها من القبائل الأخرى سلمت قبيلة بني عبد الواد زمام أمرها حسب ما تقتضيه الضرورة الاجتماعية إلى شيخ زعيم ذي اسطوة بين أفراد

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون ،ال مقدمة ، دار الفكر لطباعة والنشر بيروت ، 2007 م ، ص : 152 .

[2]- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ص : 28.

[3]- ذكر عبد الرحمن ابن خلدون عشرة شيوخ من مشايخ قبيلة بني عبد الواد: الأول هو عبد الحق بن منقاد (وهو الذي استخلص غنائم الخليفة عبد المؤمن بن علي) والثاني هو حمامة بن مطهر والثالث جابر بن يوسف الذي خطى بقبيلة بني عبد الواد خطواتها الأولى نحو السلطان والرابع يوسف بن تكفا والخامس أعدوى بن يكتمين والسادس يصلين والسابع - زيان ابن ثابت والثامن الحسن بن جابر والتاسع عثمان بن يوسف والعاشر زيدان ابن زيان عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج : 6 ، ص : 478 - ج : 7 ، ص : 72- 74.

القبيلة وأسرها وبتلاحم مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية تمكنت هذه القبيلة من الوصول إلى السلطة [1].

وبما أن تلمسان كانت هي المقر المركزي للدولة فإن ذلك يفرض على قادتها أن يوفروا الأمن للرعية ، فالقوة تتمركز فيها ،فهي القلب النابض للدولة وقد ساعد ذلك على الامتزاج السكاني إذ تمتعت المنطقة بتشكيلة سكانية متنوعة توزعت بين سكان الحواضر والأرياف.

سكان الحواضر : كان المجتمع الزياني يتألف من البربر[2] ، ومما نزل بها من العرب الفاتحين وممن استقروا بها من القادمين إليها بعد كل فتح من الفتوحات التي قامت بها الدول التي توالت على هذا القطر من عهد الأدارسة إلى عهد بني عبد الواد[3] ، وقد ازدهرت تلمسان وضواحيها حينذاك بالوافدين عليها من مهاجري الأندلس ، ومعظمهم من مهرة الصناع والزارعين ، والعلماء ، فأخذ كل واحد من هؤلاء يمارس صنعته في وطنه الجديد[4] ، وإلى جانب هذه الفئات كان يسكن المغرب الأوسط وبعض مدنه أقليات يهودية يرجع أصلها إلى ما قبل الفتح الإسلامي ، وقد ازداد عدد أفرادها في العهد الزياني بنزوح اليهود اللاجئين الفارين من الاضطهاد المسيحي ، وباقي أوربا أما المسيحية فاقتصرت على الجند المرتزقة التي كانت تابعة للجيش الزياني ، وقد تم تصفيتهم في عهد يغمراسن لتورطهم في محاولة اغتياله ، وبقي بعض التجار المسيحيين الذين جلبتهم تلمسان بنشاطها التجاري الكبير وقد أقاموا بحي بقيت أثاره خالدة إلى يومنا هذا وهو حي القيصرية [5] ، وعلى الرغم من هذا الاختلاط إلا أن كثيرا من الأسر بقيت مغلقة لا تتعامل إلا مع بعضها البعض ولعل أثار هذا ما زالت

---

[1] - بو زياني الدراجي ، نظم الحكم في الدولة بني عبد الواد الزيانية ، ص : 29.

[2] - البربر : اعتبر البربر السكان الأصليون لبلاد المغرب ، وهم ينقسمون إلى بتر وبرانس ، فأما البتر فهم سلالة مادغيس الأبتر يعيشون وفق أنماط الحياة البدوية ، وسكن الخيام وكسب الأنعام ، والميل إلى قطع السابلة والإغارة على مراكز العمران ، والاعتصام بالأماكن المنعزلة والبعيدة عن متناول السلطة ، ومن أشهر قبائل البتر : زناتة ولواتة ونفزاوة . والبرانس هم سكان الهضاب والسهول والمدن ، يرتبون معيشتهم على الزراعة في الهضاب والسهول ،والصناعة في المدن . ومن أشهر قبائل البرانس : صنهاجة وأوربة ومصمودة . ينظر : ابن خلدون ، ج : 6 : ص : 8

[3] - محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، المكتبة الوطنية لنشر والتوزيع 1982، ص : 40 .

[4] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 1 ، ص : 131.

[5] - محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ص : 93 .

باقية إلى اليوم يلمحها كل من يدخل تلمسان والمدينة يطبعها الاحترام المتبادل بين السكان .

سكان الأرياف :

وكان جل من سكن هذه المناطق قبائل بربرية ، ومعظمهم من قبيلة زناتة حيث اشتهر المغرب الأوسط منذ القديم بسكانه الزناتيين ، و من بينهم بنو عبد الواد وبنو مرين وبنو راشد بن توجين ومغراوة وبنو يفرن حيث مارسوا أنشطة معيشية مختلفة ومتنوعة مثل الرعي والزراعة[1].

الأوضاع الاقتصادية :

لقد كان الاقتصاد في عهد الدولة الزيانية يتمتع نسبيا بالحرية تماشيا مع الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عرفتها القبائل والعشائر التي كانت تقطن في تلك المناطق فقد كان إقتصاد هذه الدولة (**646** هـ ،**1248**م / **952** هـ ، **1545** م) يعتمد على ثلاثة دعائم أساسية هي الفلاحة ، التجارة ، الصناعة ، وقد كانت الفلاحة توفر أكبر المداخيل لدّولة ولغالبية سكانها و تعتبر المصدر الوحيد لدخلهم ، تليها التجارة التي كان ازدهارها مرتبطا بالاستقرار السياسي ، أما التصنيع فلم ترق الدولة الزيانية إلى مستوى تصنيع العتاد الحربي ، فكان التصنيع عندها مقتصرا على النشاطات الحرفية والصناعات النقدية .

1 – النشاط الفلاحي :

لقد عنى أهل الأرياف في المغرب الأوسط بالزراعة وتربية المواشي[2] ، وقد كانت معظم الأراضي الزراعية والرعوية بالهضاب العليا وبالسهول الوسطى والساحلية تشكل إقطاعات للقبائل العربية والأمازيغية[3]، وقد استقطب هذا النشاط أعدادا معتبرة من اليد العاملة التي كانت تزاول هذا النشاط لسد حاجياتها الغذائية الذاتية ، أما فائض إنتاجها فكانت توجهه نحوى الأسواق ليتم بيعه أو مقايضته بمنتوجات أخرى .

---

[1] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي تاريخ الجزائر العام ، ج :1 ، ص : 131

[2] - محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ص : 32.

[3] - بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ص : 208.

ومن الواضح أن المغرب الأوسط قد تمتع بموارد اقتصادية كبيرة ومتنوعة فقد وصف الإدريسي عاصمة بني عبد الواد ب: " أن لها نها يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين وأن هذا الوادي يمر في شرقي المدينة وعليه أرجاء كثيرة وما جاورها من المزارع كلها سقي وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة ولحومها شحمية سمينة" كما يضيف يحيى بن خلدون عن الأراضي التي توسطتها تلمسان ، " أنها منجبة للحيوان والنبات كريمة الفلاحة زاكية الإصابة"[1] ، كما كان مخزن هذه الدولة يحوز على ملكيات فلاحية ، وغالب ماينتجه يوجه ، إما نحو تصدير أو تموين الأسواق الداخلية [2] أوالتخزين وقد ذكر في هذا الصدد القلقشندي : " أن مخزونات هذه الدولة يطول مكثها حتى أنه ربما مكث القمح والشعير في مخازنها ست سنين ثم يخرج بعد ذلك فيزرع فينبت " [3]

أما بعض القبائل الأخرى كتوجين ومغرواة [4] فقد اهتمت بتربية لمواشي لأنها كانت تقطن المناطق الجبلية التي لا تسمح بالزراعة ، أما القبائل الناجحة فكانت أغلب حيواناتها الإبل أما الخيل والبغال فقد اعتنى بها سكان الهضاب والسهول[5] .

من الواضح من تركيبة السكان أن أهل الحضر يهتمون بالزراعة الدائمة وهم أكثر كفاءة وانتاجا من أهل البدو الذين لا يستقر لهم قرار ، إذ يعتمدون على الزراعة الفصلية فشغلهم الشاغل ماشيتهم ، اما السهول التي كان يفلحها بنو عبد الواد فهي :" سهل تاسالة سهل وادي الشلف ، سهل تيارت ،سهل متيجة ، سهل تنس ووهران وهنين والأراضي المحيطة بتلمسان "[6] .

ومن الأوصاف التي أوردها الإدريسي لضاحية من ضواحي تلمسان وهي قرية العلويين: " أنها قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر يأتيها من القبلة وفواكهها فاضلة

---

[1] - يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج1، ص : 19 .

[2] - Attallhah Dhina - Le Royaume Abdlouadide a l'epoque d'abou hammou moussa 1er et d'abou tachfin 1er .office des publications universitaires , alger.PP : 165-166.

[3] - القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . المؤسسة المصرية العامة . ج : 5 ص : 150 .

[4] - يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج :1 ، ص : 134 - 158.

[5] - بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في الدولة بني عبد الواد ، ص : 213.

[6] - المرجع المرجع نفسه ، ص : 211 .

وخيراتها شاملة[1] ، وهذا دليل على تنوع المنتوجات الزراعية لتوفر مقوماتها من مياه وعناية وخبرة ويد عاملة ترعاها وقد أشار يحي بن خلدون إلى بعض المنتوجات الزراعية التي تثمرها أرض تلمسان كالرمان والزيتون والتين ..."[2]

ولقد بلغت مداخيل هذه المدينة على عهد يغمراسن بن زيان مائة ألف دينار سنويا[3] ، وهذا بفضل ما عرفت به في عهد هذا الأخير من رواج اقتصادي كبير ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الأمن الذي ساد المدينة وضواحيها في عهده[4] ، وهذا مشجع على الإبداع و التأليف.

3- التجارة:

لقد كان جل جهد الدولة الزيانية هو المحافظة على وجود كيانها خاصة وأنها وسط عدوين يطمع كل واحد منهما في الاستيلاء عليها ، فقد كانت بلدا زاهرا بمتاجره نظرا لموقعها الجغرافي المتميز[5] ، لقد كان امتداد الفيافي والقفار إلى أقصى الشمال في منطقة تلمسان من ناحية ، وقرب المدينة من شاطئ البحر من ناحية أخرى عاملا أساسيا لغنى سكانها[6] ، و كان أغلب تجارها مسلمين إضافة إلى الذميين من يهود ونصارى ويبدو أن التجار المسلمين كانوا هم الرواد في تسيير تجارة القوافل نحو إفريقيا السوداء أما أسواق أوروبا فقد كانت من نصيب اليهود والمسيحين [7] وقد " كانت كانت تلمسان خلال القرن السابع الهجري من أكبر أسواق السلاح الوارد من أوروبا عن طريق ممالك إسبانيا النصرانية بخاصة وقطلونية ثم من الجمهوريات الإيطالية

---

[1] - الإد ريسي أبو عبد الله بن محمد الحسيني (ت 560 هـ / 1166م) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، 2001 م ، مج : 1 ، ص : 128 .

[2] - يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج :1، ص : 10.

[3] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص : 133.

[4] - محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص : 94.

[5] - ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، ص : 16 .

[6] - محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ص : 34.

[7] - بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد ، ص : 214.

وموانئ فرنسا الجنوبية ، وكان هذا السلاح يرد إليها[1] حيث يبادله تجارها بالعاج والأبنوس وتبر إفريقية التي كان الناس يقبلون عليها وبخاصة قيصاريتها"[2]

ولعل هذا الازدهار التجاري يعود إلى الأمن الذي حققه يغمراسن بن زيان فقد عرفت مدينة تلمسان نشاطا تجاريا كبيرا حيث قضى على عناصر الفساد والفوضى وأرغم خصومه من توجين ومغراوة على الطاعة والخضوع ، وأصبحت المدينة هادئة عامرة يمارس الصناع أعمالهم في امن ، فالكل يجتهد في عمله ويبدع ، فالتجار يجوبون أنحاء البلاد بلا خوف ، قوافلهم لا تتوقف ، وأسواق التجارة رائحة والتبادل قائم بين تلمسان والمغرب وتونس والسودان والأندلس وقد وفر للشعب الرخاء والرفاهية ودر على الدولة الأموال الكثيرة التي ساهمت في القيام بمشاريع إعمارية[3].

لكن هذه الحياة الهادئة ما فتئت أن نغصت بأطماع المرينيين والحفصيين مما أدى إلى فرار السكان وأصحاب المزارع ، ونفاذ أموال الخزينة في الحروب المتكررة وأشد محنة اقتصادية عرفتها المدينة هي حصارها الطويل من طرف يوسف المريني إذ دام حصارها ثماني سنين وثلاثة أشهر ذاق فيها التلمسانيون مرارة العيش فقد اضطرتهم الظروف إلى أكل الجيف والقطط والفئران وتحطيم سقوف بيوتهم للوقود ، وارتفعت أسعار البضائع بشكل لا يكاد يصدق[4].

وبهذه الوتيرة استمرت رحى الحرب بين مد وجزر فتارة يعم السلم ويعود الأمن وتنشط التجارة ويعم الرخاء ويزدهر الاقتصاد وتارة أخرى يثب جند بني مرين أو جند بني حفص ، فيوقعون في المدينة خرابا ودمارا حتى أن المتتبع لهذه الأحداث يكاد يجزم أنه لا تقوم لقائمة لهذه الدولة إلا أن هذه النكبات السياسية التي جرت البلاد إلـــــى هذا النكوص الاقتصادي لم تمنع من نهوضه ثانية عبر تداول الحكم لدى ملوك بني عبد الواد.

---

[1] - ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية ، ص : 16 .

[2] - Charles Emmanuel Dufourq – L' Espagne Catalane et le Maghreb Aux XIII – XIV siécles . presses universitaire de France .parais 1966. p : 135 .

[3] - محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص : 94 .

[4] - علي ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب لروض القرطاس ، ص : 406.

فقد استطاع أبو تاشفين أن يعيد للمدينة مجدها المندثر عبر استدعـــــاء الصناع المهرة من الأندلس ، وقد بعث إليه أبو الوليد بن الأحمر مهرة البنائين ، كما استفاد من خبـــرة الأسرى الأوروبيين ، إذ كان من بينهم النجارون والزلاجـــون والزواقون وغيرهم[1] فامتزجت الخبرة الأوروبية بالخبرة العربية الإسلامية وأنتجت أحسن النتائج .

أما المهن والحرف اليدوية فقد ازدهرت الدباغة، وخسف النعال ، والأحذية والصياغة والعدانة والخزافة والنجارة الحدادة وفن البناء التشييد ، وكان مما امتازت به تلمسان واختصت ما بين البلاد الإتقان في النسج والقزازة فإن لملابسها ومنسوجاتها المصنوعة من الحرير والصوف قيمة غالية فالإحكام في الصناعة والنسج وجودة النوع والشكل مع الدقة واللطافة والخفة رفعها إلى مستوى راق[2] .

الأوضاع الثقافية :

إن الدارس لتاريخ الدولة الزيانية يقف على بلوغ هذه البلاد شأنا عظيما في الثقافة و دليل ذلك هذا التراث الهائل من الكتب التي حقق بعضها ، و مازال بعضها ، الآخر ينتظر التحقيق ، و هذا يدل على اهتمام ملوكها بالعلم و العلماء ، وكان من ثمار هذا " قوة الملك ونظام الدولة والنهضة الاقتصادية والنبوغ العلمي والتقدم الأدبي فأصبح الزيانيون أمة متحضرة ساهمت بقسط وافر في بناء صرح التمدن الإسلامي وليس من السهل أن نحدد مداه أو أن نميز المادة الخام التي اختصت بها وقدمتها كنتيجة لمجهودها الجبار"[3] .

وتلمسان من المدن التي تغذت بالثقافة الإسلامية منذ الفتح الإسلامي فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الإسلامي بطابعها[4] وكان من حظ تلمسان أنها ورثت مجموعة لابأس بها من المدارس ذات المستوى العلمي الكبير ، إذ شيد الزيانيون أغلبها خلال فترات متعاقبة ، وقد أشار يحيى بن خلدون إلى هذه المدارس بقوله : " والمعاهد الكريمة " ، ووصفها الحسن الوزان بأنها " حسنة ، جيدة

---

[1] - ينظر محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص : 129.

[2] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص : 141 .

[3] – مفدي زكرياء، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين، مجلة الأصالة ، العدد 26 ص : 163.

[4] – عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26 ، ص : 136.

البناء ، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية ، شيّد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس [1] وقد كان لهجرة الأندلسيين أثر كبير على المجتمع الزياني في القرن التاسع من جميع النواحي فالتأثير الثقافي بدا واضحا حيث احتكر هؤلاء ميدان التعليم في المغرب الإسلامي ولاسيما الحواضر فقد استعملوا أساليبهم الخاصة بهم، فإلى جانب تعليم حفظ القرآن أضافوا القواعد العامة بمختلف العلوم ، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءاته ، و نشروا خطهم حتى ساد في المغرب الإسلامي.[2] إذ انتشر التعليم في شتى مدنها ومعظم قراها، وكان ينقسم إلى قسمين: قسم يزاول بالمساجد، وقسم بالمدارس ، وكانت كل المساجد في القرى والمداشر والمدن حيث كان حفظ القرآن والحديث مادة أولى أساسية ، ثم يدرس النحو واللغة والفقه والأدب أما المساجد الجامعة فإنها شبه كليات تدرس بها العلوم الإسلامية كالفقه وأصوله والحديث ومصطلحه والقرآن وتفسيره ، واللغة والنحو والأدب على غرار ما كان يجري به العمل بجامع القرويين بحاضرة فاس أما المدارس فإنها تقترب من الجوامع في المنحى والأسلوب وتزيد عليها بتدريس العلوم العقلية [3] .

إن من الدلائل القاطعة على اهتمام الزيانيين بالعلم هو تأسيسهم المدارس التالية:

مدرسة ابني الإمام :

هي المدرسة الشهيرة الصيت بالمغرب [4] التي أمر ببنائها أبو حمو موسى الأول بتلمسان في أول عهده تقديرا للشيخين الفقيهين العالمين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابني الفقيه الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن الإمام من أهل برشك أخذا العلم بتونس ثم ذهبا إلى المشرق فزارا الشام والحجاز ومصر وأخذ العلم عن اقطابها.

---

[1] ـ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج : 1 ، ص : 86 ، الحسن بن محمد الوزان (ت : 944هـ / 1537م) ، وصف إفرقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط : 2 ، 1983 م ، ج : 2 ، ص : 19

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1998 ، ج1، ص : 47.

[3] – مفدي زكريا، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين ، مجلة الأصالة ، عدد 26 ص : 165.

[4] ـ أبو العباس أحمد المقري ، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق ، تح : محمد بن معمر ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1425 هـ / 2004 م ، ص : 140 .

ثم رجعا إلى تلمسان فأكرم السلطان أبو حمو مثواهما وشيد لهما المدرسة المسماة بهما[1] وكان ذلك سنة 710 هـ [2]

المدرسة التاشفينية:

إن المدرسة التي بناها أبو حمو لابني الإمام صارت غير كافية لتزايد عدد الطلاب وتهافتهم على طلب العلم والأدب. فدفع هذا أبا تاشفين أن يبني مدرسة أخرى ، فأحضر الصناع المهرة ، وشيدوا معهدا لم ير مثله من قبل ، إزاء المسجد الجامع ، قال عنه المقري: " رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبو تاشفين الزياني وهي من بدائع الدنيا "[3] وقد عين بها مدرسين من كبار العلماء من أمثال عمران بن موسى المشدالي [4] ، وكانت هذه المدرسة تحفة فنية رائعة [5]

المدرسة اليعقوبية:

وقد بناها أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده يعقوب وعميه أبي سعيد عثمان وأبي ثابت، وعهد فيها التعليم إلى أشهر علماء تلمسان أنذاك أبي عبد الله الشريف.[6] وقد تأنق في تزيينها وبهجتها وانتهى من بنائها يوم 5 صفر765هـ وحضر الخليفة أبو حمو موسى الثاني حلقة الدرس الافتتاحي الذي ألقاه الشريف أبو عبد الله.[7] وهي المدرسة ذاتها التي ترأس التنسي فيها مجلس الأشياخ .

---

[1]– أبو زكريا يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج1، ص : 130.

[2]- نفس المصدر ، ج : 1 ، ص : 130 ، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، ج : 2 ، ص : 249 .

[3]– أبو العباس أحمد المقري ، نفح الطيب ، ج : 6 ، ص : 47 .

[4] ـ عمران المشدالي : هو عمران بن موسى المشدالي نسبا ، البجائي تربية ، التلمساني منزلا ، ولد 670 هـ المتوفي سنة 745 هـ ، درس على صهره ناصر الدين المشدالي ، وأخذ عنه وعن غيره من علماء بجاية ، ونبغ في الحديث والفقه والنحو والمنطق والفرائض وعلم الجدل ، وكان واسع الإطلاع في الفقه والجدل ، ارتحل الى إلى تلمسان واستقبله ابن تاشفين الزياني أحسن استقبال ، وقد أسند إليه هذا الأخير مهمة التدريس في المدرسة التاشفنية التي أسسها ابن تاشفين ، الدلالة في تاريخ علماء امشدالة ، ابرهيم مقلاتي ، ط : 1 ، 2005 ، ص : 11 .

[5] ـ عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره ، ص : 61 ، 62 . محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ص : 128 .

[6] – عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ، ص : 160.

[7] – أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت : 891 هـ) رحلة القلصادي تحقيق محمد أبو الأجفان ، مصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع ، ط : 2 ، 1985 ، ص : 104 . مفدي زكريا ، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين ، مجلة الأصالة ص : 165.

أما المدارس التي أسسها بنو مرين فهي :

مدرسة العباد: قد أسس هذه المدرسة أبو الحسن المريني سنة 748 هـ و اسمها مشتق من العباد و هم الذين ينقطعون للعبادة و الجهاد في سبيل الله [1]، و هي قرية عتيقة تقع على بعد 2 كلم من تلمسان بها دفن الشيخ أبو مدين شعيب وعلماء صالحون [2] .

مدرسة الجزائر:

أسسها أبو الحسن المريني بمدينة الجزائر وكان هذا النوع من التأسيس حديث العهد بالمغرب.[3]

طريقة التدريس :

أما طريقة التعليم في هذه المدارس [4] فكانت بالحوار والمناقشة والتعمق في طرح المسائل والتعليل في أصول الدين ، والفقه واستغلال الجدل في البحث والمناظرة وكان المدرس يلقي ما في جعبته من علم ويطرح مسائل يتركها لتكون محل نقاش بين الطلبة كما كان يعهد لأحد الطلبة بقراءة نص من كتاب مشهور في المادة المدروسة ويتولى الشيخ شرح فقرة بعد فقرة حسب ما يتيسر له من غزارة حفظه وسعة اطلاعه وسداد رأيه والطلبة يقيدون في كراساتهم ما يثير انتباههم من المعلومات [5] وكانت حلق الدروس حول ، كل شيخ مشهور سواء في المدرسة أم في الجامع أم في في الزاوية هي المنبع الذي ينهل منه تلاميذ وطلاب القرن التاسع ، وهو نفسه المنبع الذي ظل يغذي أجيال المتعلمين المسلمين بثقافة تقليدية ، وزوال الفلسفة الموحدية قد

---

[1] ـ أحمد ابن مرزق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن ، تحقيق ، ماريا خيموس بيغيرا الشركة الجزائرية لنشر والتوزيع سنة الطبع : 1408 هـ / 1981 م ، ص : 406 .

[2] ـ الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج : 2 ، ص : 24 ، أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، تحقيق : محمود بوعياد ، ص : 286 .

[3] – مفدي زكريا ، النشاط العقلي ولتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين مجلة الأصالة، عدد : 26 ص : 166.

[4] – والمدرسة عبارة عن مسكن للطلبة يتخذونه بمثابة مسكن يأكلون فيه ويشربون وهناك يتعلمون عن الأساتذة مختلف الفنون وما من شك في أن لهذه المساجد والجوامع أثرا عميقا في الازدهار العقلي والتطور الفكري الذي شاع بالمغرب الأوسط ما بين القرن الثامن والعاشر، عن مجلة الأصالة عدد : 26 ص : 163.

[5] – عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى حياته آثاره ، ص : 37.

أفسح المجال أمام الفقهاء المالكية الذين عادوا إلى الاعتناء بالفروع الفقهية ، وقد كان الناس يقبلون عليها إقبالا كبيرا .[1]

واضح من هذه المدارس أن الزيانيين و المرينيين كان لهم اهتمام كبير بالعلم و العلماء ، على الرغم من الاضطراب الذي كان يعصف بالمغرب الإسلامي وقد تركت هذه المدارس بصماتها في تطور الحياة الفكرية و قد ساعد على ذلك " ذيوع كتب الغزالي في سائر أقطار المغرب ، و كتب غيره من الأشاعرة كالباقلاني و الجويني و قد ساهمت هذه الكتب في إخراج المنطقة من منابذة العقل و الرأي إلى طور الاعتدال و التوازن "[2].

أما أهم العلوم التي سادت في القرن التاسع الهجري فيمكن إيجازها فيما يلي :

القراءات :

يعد الإنتاج في هذا المجال قليلا نسبيا ، و التنسي من هؤلاء الذين كانت لهم بصمات واضحة في هذا الموضوع بتأليفه الطراز في شرح الخراز ، كما وضع محمد بن أحمد المصمودي أرجوزة في القراءات أسماها(المنحة المحكية لمبتدئ القراءة المكية) تناول فيها أوجه الخلاف بين قراءة عبد الله المكي و قراءة الإمام نافع .[3]

التفسير :

أما التفسير فلم يعن به العلماء كثيرا إذ كانوا يتدارسونه في مجالسهم و منتدياتهم و قد احتفظ لنا التاريخ بأسماء تفاسير، و لكنها لم تصلنا ، أو مازالت في طي الكتمان تنتظر التحقيق ما عدا تفسير عبد الرحمن الثعالبي [4] المعروف (بالجواهر الحسان) و

---

[1] ـ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج : 1 ، ص : 46 .

[2] ـ عبد الحميد حجيات ، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره ، ص : 37.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص : 120 .

[4] ـ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، ولد عام ستة أوسبعة وثمانين وسبعمئة وتوفي ، كما ذكر الشيخ زروق سنة خمس وسبعين وثمانمائة فعمره نحو تسعين سنة ، كما ذكره السخاوي ، ومن شيوخه الشيخ المحدث عبد الواحد الغرياني وحافظ المغرب أبو القاسم العبدوسي وابن قرشية ، وأما تآليفه فكثيرة : الجواهر الحسان ، وكتاب الأنوار في معجزات النبي المختار صلى الله عليه وسلم وكتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات ، وأخذ عنه جماعة كالعالم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف والإمام السنوسي ، والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي .أحمد بابا التنبكتي نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج : 1 ، ص : 282 – 285 .

من التفاسير التي لم تصلنا تفسير المغيلي : (البدر المنير في علم التفسير) و تفسير آخر لأبي جميل إبراهيم بن فائد الزواوي و غيرهما كثير .[1].

الفقه : من الذين اشتهروا في الفقه شرحا و تقييدا ابن القنفذ و المغيلي و السنوسي ومن الكتب التي سارت في ركب الفروع الفقهية كتب النوازل ،وقد اشتهر في القرن التاسع مؤلفان في هذا الباب أحدهما يحيى المازوني والثاني أحمد الونشريسي مؤلف كتاب " المعيار " و يعتقد أبو القاسم سعد الله أن كتابات أحمد الونشريسي تعد الجسر الذي وصلت منه الدراسات الفقهية إلى العهد العثماني .

و قد أشار أبو القاسم سعد الله أيضا إلى أن الاهتمام بالفروع قد تسبب في ضعف الدراسات العقلية و العناية بالكليات و الدخول في حظيرة التصوف و الزهد [2]

وأهم المؤلفات التي كانت تدرس أنذاك بالمغرب الأوسط في العلوم الدينية و قد أوجزها عبد الحميد حاجيات فيما يلي :

في التفسير:

لامية الشاطبي وتفسير ابن عطية وأنوار التنزيل للبيضاوي والكشاف للزمخشري والتهذيب للبيهقي والاستذكار للدارمي.[3]

في الحديث: الصحاح الستة وعمدة سيرة النبي لمحمد بن الحاوي والروضة للكباري وأر جوزة الحديقة.[4] و **في الأصول:**المستصفى للغزالي ومختصر ابن الحاجب في الأصول و**في الفقه المالكي:** الموطأ والمدونة و **في الكلام** : الإرشاد للجويني ومؤلفات الباقلاني.

العلوم اللسانية :

لقد برز في القرن التاسع شاعران كبيران أحدهما في تلمسان وهو محمد بن عبد الرحمن الحوضي [5] وقد حفظت بعض أشعاره وأراجيزه في مختلف الأغراض

---

[1]– أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج :1، ص : 121 .

[2]– أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص : 123 .

[3] – عبد الحميد حاجيات أبو موسى الزياني حياته وآثاره ، ص : 39.

[4] – عبد الحميد حاجيات ، المرجع نفسه ، ص : 39.

[5] ـ محمد بن عبد الرحمان الحوضي الفقيه التلمساني قال نه ابن مريم في البستان " العالم الاصولي الشاعر له نظم في العقائد شرحه شرحه الامام السنوسي وله غيره ووقع اسمه في المعيار قال الونشرسي في وفياته توفي في ذي القعدة

منها في الغزل "الطنانة" وفي الرثاء قصيدته في رثاء شيخه محمد بن يوسف السنوسي والثاني في تونس وهو أحمد بن محمد الخلوف وكلاهما اشتهر بشعر المدح والشعر الديني وبالرغم من وفرة الشعر في الدولة الزيانية إلا أنه طغت عليه سمة التصوف و منه قصيدة إبراهيم التازي المعروفة " بالمرادية " بالإضافة إلى هذا الموضوع كانت هناك جوانب أخرى، مثل الرثاء و الشكوى و الغزل والصيد.[1]

أما النثر فتمثل في المقدمات السجعية والإجازات والرسائل الإخوانية كما أن الإنتاج اللغوي بدأ يدب فيه الضعف بحلول القرن التاسع ، فالدراسات النحوية والقاموسية اقتصرت على التعاليق[2] .و من الكتب التي كانت تعتمد :

الكتاب لسيبويه ، والإيضاح لأبي علي الفارسي ، والجمل للزجاجي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والأمالي لأبي علي القالي ، وديوان الحماسة لأبي تمام ، والمعلقات السبع للزوزني ، والأغاني للأصبهاني ، وزهر الآداب للحصري ، والعمدة لابن رشيق ومقامات الحريري ، وديوان المتنبي ، وتآليف المعري، والجغرافيا للزهري وكتاب المسالك والممالك للبكري وغيرها.[3]

العلوم العقلية:

وقد عرفت بعض هذه العلوم ازدهارا كبيرا بتلمسان في هذه الفترة، ولاشك أن أهم عوامل هذا الازدهار ما حققته الدولة الزيانية من تقدم في الميدان الاقتصادي، وما حدث من وفود كثيرة من العلماء والصناع الأندلسيين إلى تلمسان واستقرارهم بها وما كان قائما بين أقطار المغرب الإسلامي من صلات وثيقة ، مما شجع حركة الرحلات العلمية في سائر أنحائه ومن أشهر التآليف المستعملة في الرياضيات أنذاك " تلخيص أعمال الحساب لابن البناء المراكشي "، وفي الطب كتاب " القانون لابن سينا " وفي التنجيم "قصيدة الحباك وأرجوزة أبي اسحاق" وممن اشتهر في العلوم العقلية:أبو عبد

عام 910 بتلمسان " ص : 252 . وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أنه توفي سنة 900هـ . أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج : 1 ص : 79 .

[1] ـ أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج : 1 ص : 79 .

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، ص: 82 – 88. محمود بوعياد جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ص : 66.

[3] – عبد الحميد حاجيات ، أبو موسى الزياني حياته وآثاره ص : 49– 50.

الله محمد بن علي بن النجار التلمساني و أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني .

أما الطب فلم يكن فيه تخصص، كما كان في الفقه، والتصوف ،وغيره وقد ألف في هذا النطاق إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني معجما صغيرا في الطب ، رتبه على حروف المعجم ، وقد جاء ذكره في كتاب البستان أنه درس على يد أبي عبد الله الشريف التلمساني المتوفي سنة 771هـ حيث رجح أبو القاسم سعد الله أن وفاة الثغري قد تكون في أوائل القرن التاسع الهجري، ومعجم الثغري عبارة عن قائمة بأسماء الأعشاب ونحوها مما كان يتداوى به العرب ، إلا أنه قلما نجد من ينسب نفسه أو ينسب إلى الطب وقد يعود هذا إلى احتقار هذه المهنة ، وفي منتصف القرن التاسع الهجري اشتهر أبو الفضل محمد المشدالي بالتطبب ، حيث أخذ عن محمد بن علي فشوش الطب في تلمسان إلا أنه كان يكره أن يشتهر بالطب ومع ذلك فقد أصبح " واحد عصره وفريد دهره " وكان الناس يلجأون إليه طلبا للدواء ، على عكس محمد بن يوسف السنوسي الذي ربط بين الطب والدين خاصة في مجال الأحاديث النبوية، لم يكن يكره أن يشتهر بالطب فقد بين رفعته بمدحه علم الطب معتمدا في ذلك على الحديث الشريف " العلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان " [1] .

وبالإضافة إلى الطب هناك علوم أخرى كالحساب ومن بين الذين اشتهروا من القرن التاسع في هذا المجال ابن قنفد الذي ألف كتابا في الحساب ، سماه (حط النقاب) ثم اختصره وسماه (التخليص في شرح التلخيص) ويعني بالكلمة الأخيرة كتاب (تلخيص أعمال الحساب) لابن البنا[2] وقد ألف ابن قنفد أيضا في علم الفلك [3] والتنجيم شرحا على أرجوزة ابن أبي الرجال في الفلك والتنجيم [4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص ص : 111 – 114 .

[2] - المرجع نفسه ، ص : 114 " وقد توفي ابن البنا سنة 721 هـ".

[3] - من أعظم انتاج الهند العلمي في الفلك كتاب السند هند وهو كتاب كبير يتكلم عن البروج والتقاويم وحركات النجوم والكسوف والخسوف ومنه اخذ المسامون طريقة عمل الأزياج وهو كتاب مجهول المؤلف حيث ألف في القرن الخامس وترجمه المسلمون ترجمات كثيرة وأول من أمر بترجمته الخليفة أبو جعفر المنصور واختصره الخوارزمي . عباس عباس ، موسوعة الحضارات ، دار اليوسف للطباعة والنشر بيروت ، ط / 1 ، 205 – 2006 م ، ص : 170 .

[4] - توفي ابن أبي الرجال سنة 432 هـ وتوجد نسخة من شرح ابن قنفد في مكتبة جامعة برنستون الأمريكية (قسم يهودا) رقم 4629 ، عن أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص ص : 114 – 115 .

أما علم الإسطرلاب [1] والهندسة فكان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى المشهور بالحباك من الرائدين والمؤلفين فيه فله منظومة في الإسطرلاب أصبحت في نظر المتأخرين هي ألفية هذا العلم التي عليها يعتمدون واسم هذه المنظومة (بغية الطلاب في علم الإسطرلاب وقد بدأها بقوله :

بحمدك أن تجزلن ثوابي مصليا على الرسول أحمد

وأرتجي أن تجزلن ثوابي على نظام (بغية الطلاب)

وبالإضافة إلى ذلك شرح الحباك رجز الجادري المسمى (روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار) في الفلك ، وسمى شرحه (تفجير الأنهار خلل روضة الأزهار) وبهذا يثبت مشاركته في العلوم العقلية في عصر اتجهت فيه الأنظار إلى العلوم النقلية[2].

---

[1] - الإسطرلاب : أصل الكلمة يونانية من " أسترلابوس " أطلقت على عدة ألات فلكية تنحصر في ثلاث أنواع رئيسية فأول إسطرلاب صنع هو الإسطرلاب السطحي أو المسطح ويسمى بالعربية " ذات الصفائح " يتألف من الأجزاء التالية : الأم ، الأقراص المستديرة – العنكبوت أو الشبكة ، المسطرة ، المحور وغيرها وأنواع أخرى منها : التام ، المسطح ، والطومري ، والهلالي ، والزورقي ، العقربي ، الآسي ، القوسي ، الجنوبي ، الشمالي المبطح ، المسرطق ، حق القمر ، المغني ، الجامعة ، عصا موسى والإسطرلاب أهم ما يرصد به هو النجوم وقد مهد إلى حل جميع مسائل علم الفلك الكبرى دون الإلتجاء إلى العمليات الحسابية . جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1967 م ، مج : 2 ، ج : 3 ، ص : 211 .

[2] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ص : 118 .

2 ــ نشأته وأثاره :

2 ــ 1 مولده و نسبه:

لقد تعددت التراجم المختصرة لصاحب كتاب " نظم الدر والعقيان"، إذ تداول اسمه قديما و حديثا في كتب متنوعة خاصة كتب التراجم مثل البستان لابن مريم ونيل الابتهاج لأحمد بابا ، وشجرة النورالزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف وتعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي ، وأغلب هذه المصادر تتفق بأنه محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي المشهور بالحافظ التنسي[1] باستثناء محمد حجي الذي ذكر أن محمد التنسي قد أسقط منه اسم محمد الثانية في تحقيقه في كتاب : " صلة الخلف بموصول السلف "[2] والراجح أنه أخطأ في ذلك حيث كتب التنسي اسمه وكنيته وشهرته في خاتمة مخطوط " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان " المعتمد في الدراسة[3] وأيضا في نهاية السفر الثامن من كتاب " فتح الباري في شرح صحيح البخاري" وهذا دليل قاطع على صحة اسمه دون سقوط أي كلمة منه ، أما حياته فتكاد تكون مجهولة و بخاصة مكان ولادته و نسبه ونشأته.[4]

---

[1]– أبو عبد الله بن مريم محمد بن محمد المديوني (ت 1020هـ/1611م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان مراجعة محمد أبي شنب، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1986، ص248. رحلة أبي سالم العياشي عبد الله (ت1090هـ/1679م) ، ماء الموائد أو "الرحلة العياشية"، وضع فهارسه محمد حجي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، (سلسلة الرحلات) ج2، ص194. الزركلي خير الدين بن محمود الدمشقي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين، ط5: 1980، م ج 4 ، ج 7 :ص : 116. أبي العباس أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ط جديدة : 1997، ج2 ص 574. ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ط : 1 ، 1999 م ، ص 258 .

[2]– محمد بن سليمان الروداني ، صلة الخلف بموصول السلف ، تحقيق محمد حجي، بيروت ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي، ط1408:1هـ/1988م ، ص : 22.

[3] - أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2536 ورقة : 273 وجه .

[4]– أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد الجزائر، المكتبة الوطنية ط1 ، ت : 1985م ، ص : 9.

لقد رجّح معظم المؤرخين أن تنس[1] هي المكان الذي ولد فيه مع انعدام الأدلة التي تثبت ذلك، وقد حاول محمود بوعياد أن يقرب هذه الفكرة باعتماده على نصوص من كتاب " نفح الطيب" للمقري ولإثبات مكان الولادة اعتمد على اسمه أولا إذ قارن بينه وبين أفراد أسرة المقري على سبيل المثال الذين لازمهم لقب " المقري" من أحد أجدادهم نسبة إلى مقرة بعد هجرته إلى تلمسان واستقراره بها واستمر أبناؤه وأحفاده من بعده ينسبون إلى قرية مقرة.

وعلى هذا الأساس بنى محمود بوعياد ترجيحه الأول، أما الترجيح الثاني لمكان ولادة الحافظ التنسي هو نصان لأحمد المقري قال في الأول منهما:" حافظ عصره سيد محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني"[2]

أما النص الثاني فيتجلى أن التنسي ليس من أهل تلمسان وإنما هو من الوافدين عليها حيث قال:" الإمام الحافظ التنسي نزيل تلمسان"[3] وهذا يدل على أن التنسي لم يولد في تلمسان التي قضى بها شطرا كبيرا من حياته وسمي بالتلمساني.

وما دام الأمر مرتبطا بنسب المؤلف فيحسن التنبيه إلى أنه ذكر في كتاب " وفيات الونشريسي" ترجمة للمؤلف و وفاته حيث يقول أحمد الونشريسي عنه:" محمد بن محمد التنسي المزالي فقيه وأديب ومؤرخ حافظ"[4] فمن خلال هذه الترجمة القصيرة نجد إشارة إلى القبيلة التي ينتمي إليها التنسي وهي مزالة.

وفي إشارة أخرى منفردة أيضا أشار المقري صاحب الكتاب المذكور نسبة متميزة لم يتقدم بها غيره من المؤرخين وأصحاب كتب التراجم إذ ذكر أن محمد التنسي أموي ومما يؤكد هذا الكلام نص مكتوب بخط المؤلف حيث أشار إلى كامل

---

[1]– تنس : هي مدينة بساحل البحر الجزائري أسسها أمير يفرن سنة ثلاثين ومائة ، أبو القاسم الزياني(ت1249هـ/1833م) ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، حققه عبد الكريم فيلالي، الرباط دار النشر والمعرفة للنشر والتوزيع، 1991.

[2]– المقري، نفح الطيب ، ج : 2 ، ص : 574. وقد ورد اسم التنسي على هذا النحو في الكتاب نفسه مرة في ج : 3 ص : 143 . ومرة في ج : 6 ، ص : 513.

[3]– المقري، نفح الطيب ، ج : 6 ، ص : 195. وينبه محمود بوعياد أن المقري لم يوضح المقصود بعبد الله التنسي هل قصد الإبن أم الأب مع الإشارة أن ابنه كان من المحدثين أما الأب فقد قرن اسمه بالحافظ ومن خلال هذا اللقب نستنتج أن المقصود هو الأب لأنه انفرد وتميز بهذه الصفة عن ابنه.

[4]– أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، تحقيق محمد حجي الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ط : 1396هـ–1976م ص : 153.

اسمه وذلك في نهاية السفر الثامن من كتاب" فتح الباري في شرح صحيح البخاري" تصنيف ابن حجر العسقلاني ففي آخر هذا السفر يقول التنسي:" ... نسخ جميع الديوان المذكور بنفسه بخط العبد الفقير إلى ربه تعالى محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الأموي ثم التنسي نفعه الله به..."[1]

وهذا دليل قاطع على هذا اللقب إلا أنه يثير تساؤلا آخر بسبب وجود كلمة "ثم" التي فصلت بين الأموي والتنسي، فقد تعود نسبة " الأموي " إلى تعلقه بالأمويين انتسابا عرقيا و بهذا يرفع نفسه إلى العرب الأوائل ، أما التنسي فهي نسبة إلى مكان " تنس " و هذا لا يرفعه كالنسب الأول .

مولده :

إن تاريخ ولادة التنسي تكاد تكون مجهولة إذ يلفها الغموض من كل الجهات فعدم العثور على نص قطعي يبين تاريخ ولادته بدقة يدعو إلى حل اقترحه بعض الباحثين و هو مبني على الاستنتاج لا غير [2].

والانطلاقة تكون من سنة وفاته في 899هـ/ 1404م وقد صرح بذلك أحمد بابا إذ ذكر في "الوفيات للونشريسي" : " توفي الفقيه الحافظ الأديب الشاعر أبو عبد الله التنسي في جمادى الأولى سنة تسعة وتسعين وثمانمائة"[3] علما أن التنسي قد أخذ عن بعض الشيوخ من بينهم ابن مرزوق الحفيد المتوفي سنة 842هـ/1439/1438م[4] وكذا محمد بن النجار التلمساني المتوفي 846هـ/1443/1442م[5] أي ما يوافق العقد الخامس من القرن التاسع وبما أن التنسي تتلمذ على يد هؤلاء الشيوخ، وكان عادة الطلبة في تلك الحقبة لا يقدمون على الأخذ عن العلماء الأفذاذ، إلا بعد حفظ القرآن وإتقان بعض المتون ودراسة بعض العلوم الأساسية استنتج محمود بوعياد سنه عندما

---

[1]- يذكر محمود بوعياد أن هذه النسخة الخطية من كتاب – فتح الباري – محفوظة بمكتبة جامعة القرويين بفاس غير أن خير الدين الزركلي قد نقل هذه الصورة في المستدرك الثاني لكتاب الأعلام صورة رقم1647. مدرجة مع صورة أخرى في ما بين ص : 208- 209 .

[2]- أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان ، تحقيق محمود بوعياد ، ص :11.

[3]- أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: علي عمر، مصر: مكتبة الثقافة الدينية:ط1423:1ه/2004م، ج2 ص:261.

[4]- ابن مريم، البستان، ص: 208.

[5]- المصدر نفسه، ص:222.

كان تلميذا لهما ولأمثالهما ما بين 15و 20 سنة أي ما يوافق العقد الرابع من القرن التاسع فإن ولادته تقارب سنة 820هـ 1417م ويؤكد استدلاله[1] بكلام السخاوي في ترجمته للتنسي حيث قال:" بلغني في سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة بأنه حي مقيم بتلمسان جاز الستين"[2] في حين يستند عبد الحميد حاجيات بكلام السخاوي أيضا لكن قدر ولادته بحوالي سنة 830هـ ، إذ عد التنسي تلميذ بن مرزوق الحفيد لا يقل سنه عن 12 سنة[3]

أما نشأته وأسرته [4] فلا نكاد نحصل فيها على شيء ذي بال إلا بعض الإشارات التي ذكرها عبد الرحمن بن زيدان في كتابه :

" أتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس" من خلال ترجمته لمحمد بن أحمد ابن محمد التلمساني أبي محمد المعروف بالوقاد[5] حيث ذكر هذا الأخير مشيخته و من بينهم ابن صاحب " نظم الدر والعقيان" قال:" أخذ عن الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي خطيب جامع تلمسان"[6] فهذه إشارة تضاف إلى ما ذكر المقري في كتابه " نفح الطيب" على أن له ابن إمام وعالم بالحديث ،إلا أنه لم يصل إلى درجة لقب والده " الحافظ " كما أن هناك إشارة إلى وظيفة ابنه،وهي اشتغاله بالخطابة في جامع تلمسان كما يشير هذا النص إلى استقرار حافظ التنسي فيها حيث بقيت ذريته التي لا نعرف عنها سوى ابنه هذا ، والذي حذا حذو أبيه في العلم، و لكنه لم يبرّز كما برّز والده .

---

[1] – أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، تحقيق محمود بوعياد ، ص:11-12.

[2] – شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، دون سنة الطبع، ج8، ص:120.

[3] – أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ص : 15.

[4] – أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، تحقيق: محمود بوعياد، ص:12.

[5] – أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد (ت 1001هـ/1592 .رحل من تلمسان واستقر بالمغرب تولى القضاء والخطابة وكانت له وجاهة عند ملوك المغرب ، اليفرني " الصفوة " ورقة 72 و ورقة 72 ظ عن مذكرة لزغم فوزية ، الإجازات العلمية في العهد العثماني، وهران : كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية ، 2000 ، 2006 .

[6] – ابن زيدان عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تقديم عبد الهادي التازي، المغرب، ط:2 1410هـ/1990م، ج:4، ص:37.

2 ــ 2 شيوخه:

ذكرت العديد من المصادر بعض العلماء الذين أخذ عنهم التنسي مثل " نيل الابتهاج" لأحمد بابا و" البستان" لابن مريم و" شجرة النور الزكية" للشيخ محمّد بن محمّد مخلوف حيث ذكرت هذه المصادر شيوخه وهم: أبو الفضل ابن مرزوق ،وقاسم العقباني وأبو الفضل محمد بن الإمام، والإمام الأصولي محمد النجار، وإبراهيم التازي ،والإمام ابن العباس ، و من ثقافة الشيوخ تظهر ثقافة التلميذ و بخاصة إذا تبوأ مكانة فاق فيها بعض أشياخه .

1- **محمد بن مرزوق الحفيد:**

وقد ذكر التنسي في كتابه نظم الدر والعقيان اشارة عنه، وهو إثبات قاطع أنه أخذ عنه حيث قال عن خصلة العلم " ولم نر فيمن أدركناه من شيوخنا من تمرن على هذه الخصلة الشريفة ويكثر استعمالها غير شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق " [1] وبالفعل اشتهر هذا العالم بتبحره في العلوم فهو: " فقيه أصولي مفسر محدث لغوي وعروضي بلغ المكانة القصوى في علوم الشريعة كما كان متصوفا ومن جملة العلوم أو الكتب التي قال تلميذه أبو الفرج بن يحي الشريف التلمساني أنه قرأها عليه: التفسير، صحيح البخاري، صحيح مسلم سنن الترمذي وأبي داوود والموطأ سماعا وتفقها، والعمدة من الحديث"[2] وكتاب سبويه وألفية ابن مالك و المغني لابن هشام ،أما في الفقه فقد ذكر أنه قرأ عليه كتب الفقهاء المالكية المتداولة حينذاك في المغرب ، كمؤلفات ابن الحاجب والجلاب و ابن أبي زيد القيرواني وابن رشد وخليل بن إسحاق وبعض الكتب الشافعية كالشيرازي الغزالي، وبعض كتب الحنفية و الحنابلة ، كما قرأ عليه قصيدة الشاطبي في القراءات ، و تلخيص المفتاح للقزويني في البلاغة ، و كتاب الإحياء للغزالي وقد أجازه جدّه كما أخذ عن أعلام من المغرب والمشرق كما ، ألف العديد من الأعمال من بينها: ثلاثة

---

[1] - أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 273 ظ .

[2] – ابن مريم، البستان، ص : 205 .

شروح للبردة ، روضة الأعلام وأرجوزة في الحديث ، نهاية الأمل في شرح الجمل وغيرها.[1]

2- أحمد بن زاغو التلمساني:

هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن زاغو التلمساني وصفه القلصادي " بأعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم ، فاق نظراءه وأقرانه في الحديث والأصول والمنطق ، له قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم ، والفهم المستقيم [2] ، درس القلصادي على ابن زاغو ، كما أخذ عنه أيضا يحيى المازوني [3] و الحافظ التنسي وابن زكري [4] فقال العالم الرياضي عن فترة حياته " لزمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية [5] للتفسير والحديث والفقه شتاءً والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفا ، وفي الخميس والجمعة : التصوف وتصحيح تآليفه"[6] وقد خلّف ابن زاغو عددا من التآليف في الفقه والفرائض وكذلك في التفسير منها " مقدمة في التفسير" وتفسير الفاتحة الذي قال عنه أحمد بابا: "هو في غاية الحسن كثير الفوائد"[7] و" شرح التلمسانية" في الفرائض، وله فتاوى عدة في قضايا متنوعة ، أثبت جملة منها .في " المازونية " ، و" المعيار" ، توفي يوم الخميس عصرا في الرابع عشر ربيع الأول عام 845هـ إثر وباء انتشر في المدينة وصلى عليه بعد الجمعة، وشهد جنازته العام والخاص وأسف الناس على فقده ، وخلص الحفناوي إلى أن مولده كان في حدود 788.[8]

أما صاحب البستان فيرجح سنة 782هـ لمولده [9].

---

[1]-محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن، تح: ماريا خيموس بغيرا، تقديم محمود بوعياد ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1981م، ص55.

[2]- ابن مريم، البستان، ص42.

[3]- يحي المازوني المتوفي سنة 883هـ/1478م ، تراجع ترجمته في نيل الابتهاج ، ص340.

[4]- ابن زكري المتوفي سنة 900ه/1494م، ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ص267.

[5]- المدرسة التي شيدها سنة 763هـ/1362م، أبو حمو موسى الثاني بتلمسان ودفن فيها والده أبو يعقوب.

[6]- ابن مريم ،" البستان" ، ص : 43 .

[7]- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص : 63 .

[8]- أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1، ص:151.

[9] - ابن مريم ، البستان ، ص :43

3- محمد بن إبراهيم بن الإمام:

" هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني اشتهر بابن الإمام[1] وقد وصفه صاحب البستان بأنه من أقران ابن مرزوق الحفيد وقد قال عنه الحافظ التنسي: " هو شيخنا صدر البلغاء وتاج العارفين وأعجوبة الزمان من بيت علم وشهرة وجلالة"[2]، وقد وصفه الونشريسي بأن له قدما راسخة في البيان والتصوف والأدبيات والشعر والطب[3]، وقد أخذ الحافظ التنسي والقلصادي وابن مرزوق الكفيف وغيرهم من أهل المشرق والمغرب ، وقد ذكره أبو الحسن القلصادي في رحلته وأثنى عليه وحضر مجلسه ، أقر بفهمه وعلمه ، كما نقل له الونشريسي مجموعة من الفتاوي في كتاب " المعيار المعرّب" وكانت له مع الإمام المقري مسائل تفسيرية [4]

4- محمد ابن النجار التلمساني:

هو أبو محمد بن أحمد النجار التلمساني فقيه أصولي، أخذ عنه العالم الرياضي القلصادي " كانت له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية [5] وذكر علوما كثيرة ومتنوعة قرأها ،عليه كالتفسير والأصول والمنطق والبيان [6] " ، حضر تفسيره للقرآن وبعض إرشاد إمام الحرمين، ومنهاج البيضاوي، وجمل الخونجي وتلخيص المفتاح وقواعد القرافي و المدونة" توفي عام 846هـ.[7]

5- الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان:

هو الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد بن سعيد المزيلي الراشدي الحسن أبركان ارتحل إلى المشرق، وأخذ العلم عن أعلامه ،و بخاصة الصوفية ، دام مكوثه بالبيت الحرام خمس سنوات إلى أن رجع مع أمه إلى تلمسان [8] ، فأخذ العلم عن أكابر

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص : 254.
[2]- ابن مريم ، البستان، ص : 220- 221.
[3]- المصدر نفسه، ص : 221.
[4]- ابن مريم ، البستان، ص : 221 .
[5]- المصدر نفسه، ص : 221 .
[6]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص : 204.
[7]- محمد بن محمد مخلوف، ص : 255.
[8]- محمد بن صعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين ، ص : 125 - 126.

علمائها كالشيخ السيد إبراهيم المصمودي ، والإمام الحفيد ابن مرزوق[1] وأخذ عنهم علماء أجلاء وقد حضر مجلسه الفقهاء والأعيان من بينهم " أبو عبد الله التنسي والشيخ علي التالوتي وأخوه لأمه الشيخ السنوسي[2]، كما حضر درسه الرحالة القلصادي، وذكره في رحلته كما وصفهم محمد بن العباس عند حضوره لدرسه وما رآه لتقديره لمسائل الفقه فقال لتلامذته إنّه " آية من آيات الله وقد أسعدكم الله به لأنه قد جمع خصال الكمال" [3] ووصفه الشريف محمد بن علي التلمساني بالعالم الحافظ أبي عبد الله بن الشيخ الشهير بالولاية والعلم والزهد [4] ، وقد ذكر الشيخ محمد السنوسي أنه رأى للشيخ للشيخ الحسن أبركان تقييدا مقيدا على فرائض الحوفي[5] ، كانت وفاته رحمه الله أواخر شوال من سنة سبع وخمسين وثمانمائة هجرية871هـ.

6- محمد بن العباس التلمساني:

فقيه وعالم ومفتي ذاع صيته بين علماء عصره واسمه الكامل " محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني"[6] ، أطلقت عليه جملة من الأوصاف منها القدوة ، الحجة ، المفتي ، الحافظ ، المتقن ، البركة ، وغيرها من الألقاب التي تدل على مكانته العلمية ، وقد أخذ عنه أئمة منهم ابن مرزوق الحفيد وأبو الفضل العقباني [7] ، قال القلصادي في رحلته " كان إماما فقيها متفننا في العلوم" [8] [8] و قال ابن غازي : قرأت عليه جملة صالحة من شرح التسهيل ، وبعض جمل الخونجي وجالسته في مهمات مسائل الفقه فرأيت دخلته مملوءة الجراب"[9] و هو بهذا من من أعلام تلمسان وأكابرها وأحد أوعية العلم ، أخذ عنه علماء كثر منهم: الحافظ التنسي، الكفيف ابن مرزوق والشيخ السنوسي والعالم ابن زكري و المازوني و

---

[1]- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ج1 ، ص: 174.
[2]- محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية، ص : 262.
[3]- محمد بن الصعد الأنصاري ، روضة النسرين ص : 126 .
[4]- ابن مريم، البستان، ص : 220.
[5]- محمد بن صعد الأنصاري ، روضة النسرين ص : 127 .
[6]- ابن مريم، البستان ، ص : 223.
[7]- محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ص : 264.
[8]- ينظر أحمد بابا ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، علي عمر المغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط : 1 ، 2004 م ، ج: 2 ، ص : 183 .
[9]- أحمد بابا، نيل الابتهاج ، ج2، ص : 231.

الونشريسي وابن صعد والخطيب ابن مرزوق حفيد الحفيد "[1] ، أما مؤلفاته فمعضمها في الفقه واللغة ، منها "شرح على لامية الأفعال وجمل الخونجي والعروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن نظرية الإلقاء" [2] وقال الونشريسي في وفاته:" توفي شيخ المفسّرين والنحاة العالم على الإطلاق ثامن عشر ذي الحجة عام واحد وسبعين و ثمانمائة هـــ" [3] 3

7- إبراهيم بن محمد التازي:

الفقيه الأصولي الحافظ الأديب " إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي نزيل وهران الشيخ أبو سالم وأبو إسحاق[4] وقد ذكر محمد بن صعد الأنصاري في كتابه "روضة النسرين" أن أصل إبراهيم التازي" من بني لنت قبيلة من قبائل البربر الكائنين بوطن تازة"[5] ، عرف بهذا الاسم لنشأته بها وبعد وفاة أبيه ، رحل إلى مكة وأخذ عن علمائها منهم " القاضي الشريف تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي، وأجازه ، كماأخذ بالمدينة عن أبي الفتح بن أبي بكر القرشي"[6]وأجازه بتونس العالم الفقيه أبو عبد الله العبدوسي ، و في تلمسان عن الحفيد ابن مرزوق[7]، وقصد وهران و فيها سيدي محمد الهواري فأقام عنده على ذلك النحو عشرة أعوام ، و هو معروف المكانة وهو في أثناء ذلك ينسخ كلام سيدي محمد الهواري بخطه ويجمعه في دفاتر [8] حتى أنه بعد ما فتح زاويته كان يستفتح مجالسه بقراءة كتب الشيخ محمد الهواري ويفسرها.

ومن هؤلاء الشيوخ الافذاذ تظهر قيمة التنسي العلمية ، فهو فقيه حافظ عالم بالتاريخ والتصوف والعلوم المتوافرة في كل فترة .

---

[1]- ابن مريم، البستان ، ص : 223.
[2]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص : 264 .
[3]- أحمد بابا ، كفاية المحتاج، ج2، ص : 183.
[4]- ابن مريم، البستان ، ص : 58.
[5]- محمد ابن صعد الأنصاري، روضة النسرين ، ص : 144.
[6]- ابن مريم، البستان ، ص : 58.
[7]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص : 263.
[8]- محمد ابن صعد الأنصاري، روضة النسرين ، ص : 151.

- **2 ــ 3 معاصروه :** ومن العلماء الأجلاء الذين عاصرهم أبو عبد الله التنسي :

1- **أبو الحسن القلصادي :** هو أبو الحسن علي بن محمد البسطي القرشي اشتهر بالقلصادي الأندلسي[1] ويعدّ من أكثر الأئمة تأليفا وتصنيفا للكتب لغزارة علمه، له تآليف أكثرها في الحساب والفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البنة وشرحه العجيب على الحوفي أخذ عنه أبو عبد الله السنوسي جملة من الفرائض والحساب" [2] .

و قد غادر الأندلس متوجها إلى تلمسان حيث أخذ العلم عن أكابر علمائها ، له تآليف منها: تاج أشرف المسالك إلى مذهب مالك، وشرحه ، وشرح ابن ياسمين في الجبر والمقابلة[3] .

2- **الإمام السنوسي :**هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب ، ولد حوالي ثلاثين وثمانمائة" 830 هــ [4] أما تآليفه فمنها شرحه الكبير على الحوفية سماه " المقرب المستوفى"[5] ، وشرح لامية الجزيري و أسماء الله الحسنى و شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن ياسمين"[6] وشرح العقيدة الصغرى ، وشرح العقيد الوسطى ،وشرح العقيدة الكبرى ، كما أصبحت عقائد السنوسي إلزامية فتلقن للصغار لحفظها عن ظهر قلب ، وهذا دليل على هيمنة هذه العقيدة بالظبط على النظام التعليمي بالغرب الإسلامي [7] توفي يوم الأحد في الثامن عشر جمادى الأخيرة عام 895هــ .[8]

3- **ابن زكري:**هو أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني[9] فقيه أصولي أخذ عن أئمة أفذاذ ، منهم ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زاغو ومحمد بن العباس

---

[1]- محمد بن محمد المخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 261.

[2]- ابن مريم، البستان ، ص : 141.

[3]- بدر الدين محمد بن يحي بن عمر القرافي ت1008هــ)، توشيح الديباج وحلية الإبتهاج ، تح علي عمر، مصر مكتبة الثقافة ، ط : 1 ، 1425هــ/2004 ، ص : 116.

[4] - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ص: 207.

[5] - ابن مريم ، البستان ، ص : 245.

[6] - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 267.

[7] - محمد الأمين بلغيث ، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، 1426 هـ / 2006 م ص : 101 .

[8] - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1 ، ص : 208.

[9] - محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية، ص : 267.

وله تآليف عديدة منها: تألفيه في مسائل القضاء والفتيا وبغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب والمنظومة الكبرى في علم الكلام تنيف عن ألف وخمسمائة بيت ، وله فتاوى كثيرة منقولة في المعيار المعرّب للونشريسي [1] ، وقع بينه وبين الإمام السنوسي السنوسي نزاع ومشاحنة في عدة مسائل كل واحد يرد على صاحبه ، توفي سنة 900هـ [2].

4- **محمد بن عبد الكريم المغيلي:** هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي ولد في مدينة مغيلة بتلمسان سنة 842هـ/1438م، في أوائل ربيع الأول[3] ،أخذ العلم عن جماعة منهم "أبو زيد الثعالبي والشيخ السنوسي"[4] والشيخ يحيى بن يدير[5] وعندما توسعت معارفه وتزود بما يكفيه تصدى هو الآخر للتدريس كشيخ فتتلمذ على يديه عدد كبير من الطلبة [6] أمثال الشيخ عبد الجبار الفجيجي.[7] له تآليف معظمها في الفقه وهي وهي تعكس نباهته وحنكته وسعة فكره منها: البدر المنير في علوم التفسير، مصباح الأرواح في أصول الفلاح[8] توفي عام 909هـ[9]

فكان هؤلاء الشيوخ زملاء التنسي في الدرس فعرفوا فضله وعلمه وقد شاركهم في أهم قضايا الفكر التي طرأت على عصره.

---

[1]- أحمد بابا، نيل الابتهاج في تطريز الديباج ، ج1، ص : 137.

[2]- ابن مريم، البستان، ص141.

[3]- مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مؤسسة الجزائر للكتاب، الجزائر: ط1، 1422هـ/2002م ص: 27-28.

[4]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 274.

[5]- ابن مريم البستان ، ص : 256.

[6]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافية في الجزائر، المحروسة بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط1: 1995 ج2 ، ص : 144.

[7]- أحمد بابا، نيل الابتهاج ، ج2، ص : 266.

[8]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 274 ، أحمد بابا، نيل الابتهاج، ج2، ص : 266.

[9]- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ، تقديم وتحقيق : عبد القادر زبايدية . الجزائر : المكتبة الوطنية لنشر والتوزيع 1974 م ، ص : 5 ، محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 274.

2 ـــ 4 تلاميذه :

ذكر أصحاب التراجم عددا منهم و من الذين نبغوا ونالوا شهرة :

1-أحمد البرنسي الشهير بزروق :

واسمه الكامل هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق[1] ، وهو عالم و فقيه متصوف، أخذ العلم عن علماء المغرب والمشرق ، وقد كتب شيئا عن سيرة حياته في كناشه ، فقال:" ولدت يوم الخميس ثامن وعشرين من محرم سنة ست وأربعين وثمانمائة [2] 846 هـــ ، وقد توفيت أمه بعد ولادته بثلاثة أيام كما توفي والده أيضا بعد اليوم السابع وقد كفلته جدته ويبدو أنها كانت امرأة فقيهة عالمة حسب وصفه لها، وبعد بلوغه السنّ العاشرة كان قد حفظ القرآن ، وانكب على القراءة حيث أخذ العلم عن أكابر العلماء في ذلك العصر، وأشهرهم حلولو المشذالي والرساع والسنوسي والشيخ الجازولي وابن زكري والولي التازي والتنسي والثعالبي وأحمد الحباك والمواسي والخروبي الكبير و غيرهم [3] ، له تآليف كثيرة جلّها من التصانيف الفقهية المختصرة ، و يبدو أنه كان يميل إلى التصوف بدليل تأليف : كتاب قواعد التصوف [4]، كما ألف شرحين على الرسالة وشرح الإرشاد لابن عسكر وشرح و مختصر خليل وشرح الوغليسي وشرح العقيدة القدسية للغزالي وكتاب عمدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت ويعد أحمد زروق من أواخر الأئمة العلماء المتصوفة الذين جمعوا بين علمي الشريعة

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص :267.

[2]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1/ص : 138.

[3]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 267.

[4]- أحمد الزروق، قواعد التصوف تصحيح وتنقيح محمد زهر النجار، ط3 ، 1989 م ، المكتبة الأزهرية للتراث.

والحقيقة وهذا لاطلاعه الواسع ونهله للعلم من شتى المواقع[1] ، توفي في صفر عام 899هـ [2] .

2-الخطيب ابن مرزوق السبط :و المحدث محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني ، اشتهر بالخطيب و هو سبط الإمام الحفيد ابن مرزوق وابن بنته حفصة ، ولد في تلمسان وسكن في فاس[3] أخذ العلم عن خاله ابن مرزوق الكفيف والإمام ابن العباس و غيرهما [4] ، ومحمد التنسي وأبي عبد الله العبادي[5] ، قال فيه أبو عبد الله ابن الإمام ابن العباس:" أخذ من كل فن بأوفر نصيب الحائز السبق في ذلك وخصوصا علم الحديث قرأت عليه من الشفا لعياض والبردة وشمائل الترميذي وتأليف جدّه الأعلى الخطيب ابن مرزوق وحضرت عليه تفسير القرآن وقراءته صحيح البخاري وسمعت عليه أيضا جملة الصحيحين [6] ، وكان حيّا إلى عام 918هـ /1512[7]م ، ولم يذكر المترجمون له تاريخ ميلاد وكذلك وفاته وهو آخر من اشتهرت بهم عائلة ابن مرزوق العجيسية التلمسانية.

3-محمد بن أحمد بن صعد الأنصاري:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد المعروف بالتلمساني[8] لم لم تحدّد المصادر تاريخ ولادته ، و إنّما اكتفت بسنة وفاته إذ ذكرت شجرة النّور الزكية أنه توفي بالديار المصرية سنة 901هـ ، كما صنّف من أكابر علماء تلمسان وفقهائها.

---

[1]- أحمد بابا، نيل الابتهاج ، ج1، ص : 140.
[2]- ابن مريم البستان، ص : 47.
[3]- محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح الدكتورة ماريا خيموس بغيرا ، ص : 38.
[4]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ص : 275.
[5]- ينظر يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ج2، ص : 61.
[6]- ابن مريم، البستان، ص : 258.
[7]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 275.
[8]-محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص : 268.

أخذ العلم محمد بن العباس والحافظ التنسي والإمام السنوسي[1] ونهله العلم من هؤلاء الأكابر يعكس ثقافته ومكانته العلمية ، و لم تذكر المصادر ما يشفي الغليل من حياته [2]

2 ــ 5 ثقافته :

من مظاهر ثقافة أبي عبد الله التنسي مؤلفاته إذ تعدّ تصانيفه دليلا على تفوقه فالعلوم التي أتقنها شيوخه غزيرة ومتنوعة ، فهي المدرسة التي نهل منها ، و قد انعكست عليه فظهرت في فتاويه ومصنفاته التي تنم عن تبحر في العلم، و جرأته في الفتوى .

إن أي عالم مسلم يصل درجة علمية محترمة يتطلع إلى أن يخوض في غمار التفسير فبه يتقرّب إلى الله ، و يثبت كفاءته العلمية ، لذا كان من أهداف التنسي و مراميه دراسة القرآن الكريم ، وهذا ما أشار إليه محمد بن صعد الأنصاري في كتاب روضة النسرين ، إذ حدثه أبو عبد الله التنسي عن استجابة الدعاء وتخصيصه من طرف شيخه أبركان حيث قال: " فإنه كان يخصني بالدعاء وقد تعرفت إجابة دعوته وصدق نيته في وفي غيري ، وهذا الذي أنا فيه من وراثتي مجلس الأشياخ بالمدرسة اليعقوبية ، واعتنائي بتفسير الكتاب العزيز الذي كنت أؤمله بوصولي إليه ببركة دعاء سيدي الحسن."[3]

ومن هنا كانت اللغة عند التنسي ومن عاصره محلّ اهتمام وعناية ، فما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب ، فالنص القرآني واجب الفهم ، لأنه مناط الأحكام و التشريعات التي تنتظم الحياة ، فلا يمكن أن يسبر أغواره إلاّ عالم باللّغة ، لذا كان تبحر التنسي في اللّغة واجبا وضرورة علمية لا مناص منها .

---

[1]– ابن مريم، البستان ، ص : 252.

[2]– الشيخ محمد ابن صعد ، روضة النسرين : ص11.

[3]– محمد ابن معد الأنصاري، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ص141.

وهذه ظاهرة تكاد تكون في جلّ الكتب العربية قديما ، لأن المحرك الأساسي لعلماء العرب هو النّص المقدّس ، فهو الذي فجّر قرائح العرب ، بمحاولة فهمه ، فمنه بدأت العلوم اللغوية ، و لعلّ هذا ما حمل الأستاذ محمود بوعياد ، على الاعتقاد أنّ هذه ظاهرة لم تنقطع بتلمسان على مر العصور ، و لعلّ ما يثبت هذا هو الكتب الّتي جاءت طافحة بعلوم اللّغة مثل "بغية الرّواد" ليحيى بن خلدن ، و" نفح الطيب" للمقرّي غير أنّ الأستاذ بوطالب محيي الدّين يرى أنها ليست ظاهرة ثقافية ، و إنّما هي ضرورة علمية لكل من يتبوأ مركز الفتيا [1].

و من الدلائل على مكانة التنسي العلمية ما ذكره محمد بن صعد الأنصاري: " حدثني شيخنا الإمام خاتمة الحفاظ سيدي محمد التنسي ، قال كنت أحضر مجالس الشيخ سيدي الحسن (يقصد الشيخ أبركان) في تدريسه لفروع ابن الحاجب ، ويأتي في أثناء تقريره بالعجائب ، مما لا أرى عند غيره من علماء الوقت ، قال وكان إذا أخذ في البحث والمعارضة بين المسائل أجعل بالي إليه وأكفّ عن الكلام ، لأحصّل ما أجرى الله على لسانه من العلوم والفوائد ، فيدير وجهه إلي ، ويقول لي ما لك سكتّ عنّا ، أعنّا أعنّا قال ويكرّر ذلك عليّ فنأخذ معه في الكلام ونذكر له ما وقف عليه من كلام أهل العلم في المسألة فيبتهج بذلك وينشرح له صدره ويدعو إليّ بما أرجو بركته"[2].

واضح من هذا النص أنّ التنسي له اطلاع كبير و علم واسع و إلاّ كيف نفهم إصرار شيخه على مشاركته الدّرس و الاعتماد عليه في بعض المسائل، و طلب الإعانة منه بإلحاح ؟ فشيخه أعلم بمكنته العلمية ، و قدرته الفائقة على حلّ العويص من المسائل التي كان شيخه يقف حائرا أمامها ، فإذا كان الشيخ يعترف للتلميد بهذا الفضل في العلم فإنّ التلميذ ، بلا أدنى شكّ ، يرقى إلى درجة الأستاذية و هذا ما يشهد به علماء عصره والذين أرّخوا له ، بل إن مصنفاته تدل على أنه كان علما من أعلام تلمسان فهو فقيه في العلوم الشرعية والتاريخ وله سهم في الأدب وعلوم اللّغة كالبلاغة

---

[1]– أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان تح محمود بوعياد ص:19 و المصدر نفسه تح ، بوطالب محي الدين ص : 42.

[2]– محمد ابن صعد الأنصاري، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين ، ص141.

والصرف والنحو ، وقد أثمرت هذه المكنة العلمية مصنفات ، أهمها المخطوطان " نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان" و" الطّراز في شرح الخراز".

أمّا الطّب فلم يذكر المترجمون لشيوخه أو له أنهم تعلّموه أو علّموه ولعلّ السبب يرجع إلى قلّة الاهتمام به نظرا لاستصغاره آنذاك لأنّ العلوم الأخرى و وبخاصة الشرعية كانت تحظى بإقبال واهتمام أكثر الناس.[1] غير أنّ هذا لم يمنع التنسي من التطرق له في القسم الخامس من المخطوط [2] حيث كان هدفه رفع ذكاء وعلم الطبيب العربي على الأطباء الثلاثة الآخرين بعدما سألهم أحد الخلفاء عن الدواء الذي لاداء فيه ، ولم يتعدى التنسي ما أورده في الطب نصف ورقة ، أماّ علم الكلام فقد ذكر الأستاذ محمود بوعياد أنّه كان مفقودا بين مشيخته وتلامذته وحتى من عاصره[3] ، إلا أن هذا الحكم يفتقر إلى الأدلّة و يصعب تعميمه على مدينة كانت محطّ العلم و العلماء فهذا الشيخ محمد السنوسي وكان من بين الذين عاصروا التنسي ولازموه في الدرس ، تشهد مؤلفاته على تبحره في علم المنطق و تلقيه علم الكلام عن شيوخه و قد أكّد هذا بوطالب محي الدين في مقال في جريدة النصر[4] تحت عنوان:"ملتقى وطني للتعريف بالشيخ السنوسي في تلمسان" حيث وضّح أن العلامة الجزائري محمد بن يوسف السنوسي قد اشتهر بفلسفته المبنية على الحكمة والمنطق العقلانية، ذلك أنه أسس كلّ أعماله العلمية انطلاقا من هذه المبادئ ... وقد نال شهرة عالمية بفضل ما تركّه من إرث علمي..."[5] .

ويضاف إلى هذا كله تأليف زميله في الدرس ابن زكري للمنظومة " الكبرى في علم الكلام في أكثر من ألف وخمسمائة بيت"[6] ، فهذا دليل قاطع على أن طلبة جيله قد

---

[1]– رغم أن تلمسان كانت مشهورة بأطبائها و قد أثبت ذلك العالم المصري عبد الباسط بن خليل الذي زارها في حياة التنسي وأخذ عن أطبائها ، يراجع مقال محمود بوعياد " رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع" مجلة الأصالة عدد 25 سنة 1975 ص 124–135 ومما قاله عبد الباسط بصدد حديثه عمّن التقاهم من العلماء في تلمسان:" ولقينا بها جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والأطباء منهم محمد بن علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان في المزاولة والدراسة وسمعت من فوائدهم، وحضرت دروس بعضهم وأجازوني.

[2]ـ أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، ورقة

[3]– أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح محمود بوعياد ، ص : 18.

[4] -صدرت هذه الجريدة يوم الاثنين 28 شوال 1411هـ/13 ماي 1991 عدد 5437.

[5]– أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، تح بوطالب محي الدين ، ص : 43 .

[6]– ابن مريم، البستان ، ص : 38–41.

درسوا علم الكلام وعلم المنطق على الرّغم من تحريم بعض العلماء دراسة علم المنطق في عهد المغيلي كالأئمة أحمد بن تيمية و ابن الصلاح ، غير أن المغيلي " قد ناظر جلال الدين السيوطي عندما اجتمع به في رحلته إلى المشرق ، وتبادل معه قصيدته المشهورة التي أظهر فيها أن الممنوع من الثقافة الأجنبية هو ما يخص العقائد الإسلامية .[1]

2 ــ 6 وظيفته :

إذا كان اسم التنسي متداولا عند أغلب المهتمين بالتاريخ ، فإن حياته لم تلق الاهتمام نفسه ، فهو معروف بترجمته القصيرة ، المحدودة في كتب التراجم القديمة يحيط بنسبه وولادته ونشأته كثير من الغموض كما اتضح من قبل ، و لم تكتشف وظيفته إلا بفضل تحقيق بعض المخطوطات التي أزالت الغبار على كثير من الحقائق التاريخية و منها العثور على نص قطعي يشير إلى توليه رئاسة مجلس الشيوخ وذلك عندما حدّث الحافظ تلميذه ابن صعد الأنصاري عن دعوة شيخه أبركان وقبولها عند الله عزّ وجلّ قال:" وقد تعرّفت إجابة دعوته وصدق نيّته فيّ وفي غيري، وهذا الذي أنا فيه من وراثة مجلس الأشياخ بالمدرسة اليعقوبية "[2] وهذا يشير أيضا إلى أن المدرسة اليعقوبية كانت المحل الذي يلقي فيه الحافظ التنسي درسه، ويقيم فيه حلقاته وهي المدرسة ذاتها التي كان يتلقى فيها علمه ، و هذه الوظيفة أو المرتبة لا يرقى إليها إلاّ من كانت له قدم راسخة في العلم، فلا يصل الى هذه الرتبة إلا من دانت له العقول .

2 ــ 7 آثاره :

لقد ذكر المترجمون للتنسي مؤلفات لم يصل منها شيء ، لذا لا يمكن الجزم على أنّ التنسي قد ألّفها مادامت مفقودة ، وممّا ذكره هؤلاء المترجمون :

1 ــ كتاب في إسلام أبي طالب:

---

[1]– المهدي البوعبدلي، أضواء على مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة العدد 94، ص83، أوت 1406هــ ، يوليو أغسطس 1986م .

[2]–محمد ابن صعد الأنصاري، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح: يحي بوعزيز ط1: 2002، ص:141.

لقد أشار عبد الرحمن السخاوي صاحب "الضّوء اللاّمع لأهل القرن التاسع" عندما ترجم للوالد عبد الله التنسي حيث قال:" وقيل إنه صنّف في إسلام أبي طالب جزءا كما هو مذهب بعض الرافضة " .

2 ـ كتاب في السلطان محمد المتوكل : وقد أخبر عنه التنسي نفسه في ثنايا كتاب " نظم الدر و العقيان " ، فقال : " لو اشتغلنا بذكر مناقبه وبيان ما خصّه الله به من صفات حمد وخصال المجد ، وشرح قضاياه ووقائعه لطال الكتاب ، وخرجنا من الحدّ الذي رسمناه ، ولعلّ الله ينقّس في العمر، فنصنف كتابا مفردا فيما يختصّ به أعلى الله مقامه نستوفي فيه جميع ذلك" وما دام الكتاب مفقودا فإنّه لا يمكن الاطمئنان إلى أنّ التنسي قد ألف هذا المصنّف أم لا ، و لعله كان ينوي تأليفه فلم تمهله منيته .

3 ـ " الفهرسة" وقد ذكر عبد الحي الكتّاني أنّ :" له فهرسة نرويها لأسانيدها إلى أبي العباس المقري وسعيد قدورة [1] كلاهما عن عم الأول سعيد المقري التلمساني عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل عن أبيه المذكور" [2]

4 ـ تعليق على مختصر ابن الحاجب : وقد ذكره أحمد بابا فقال:" وسمعت أن له تعليقا على فرعي ابن الحاجب" ، وبالرغم من عدم تحقق المترجم من هذا الخبر إلاّ أنّه أشار إلى درسه فروع ابن الحاجب وتفوّق فيها ، وما سؤال شيخه وإصراره على إعانته إلا دليل على إطلاعه على هذه الفروع و نبوغه فيها.

أما المؤلفات التي لا خلاف في تأليفه لها فهي :

5 ـ الطّراز في شرح الخراز: يمكن تصنيف هذا المؤلف ضمن علم القراءات ورسم القرآن[3] أما الأول فهو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها وفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله، أما موضوعه فهو كلمات القرآن الكريم من حيث

---

[1]– من أشهر علماء الجزائر بالقرن 11ه/17م تولى الافتاء بالجزائر العاصمة وتوفي سنة 1066ه/1656م– الحفناوي تعريف الخلف برجال السف ج1، ص62.

[2]– عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ، اعتناء إحسان عباس ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط : 2 (1982 م) ، ج1، ص194.

[3]– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص : 120.

أحوال النطق بها وكيفية أدائها   أما الثاني فهو فن الرسم[1]وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف في قياس الخط كزيادة الألف في "لأذبحنه " وحذف الألفات في مواضع دون أخرى فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج إلى حصرها ، وقد انتهت بالمغرب إلى أبي عمر الداني، فكتب فيها كتبا من أشهرها "كتاب المقنع" وأخذه الناس وعوّلوا عليه ونظمه أبو القاسم الشاربي في قصيدته المشهورة على روي الراء و يعدّ الخراز[2] من المتأخرين بالمغرب الذين ألّفوا في هذا العلم ، والذين تناولوا هذا الموضوع من الجزائريين قلة من بينهم أبو عبد الله التنسي صاحب مصنف " الطّراز في شرح الخراز " وهو شرح على "مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن" وهو أرجوزة في 154 بيت في ضبط القرآن نظّمها سنة 703هـ/1303م محمد بن إبراهيم الشريشي أصلا ، الفاسي مولدا ودارا وضريحا المعروف بالخراز وما قام بشرحه محمد التنسي هو قسم من أرجوزة طويلة خصص منها صاحبها الخراز 454 بيت للرسم والباقي وهو 154 بيت للضبط، وقد شرح التنسي كما يدل ذلك على عنوان تأليفه[3]القسم الخاص بالضبط ويبيّن التنسي سبب تأليفه لهذا المصنف بعد الحمد والصلاة على الرسول صلّى الله عليه و سلّم بقوله: فإني لمّا رأيت من تكلّم على ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشريشي الشهير بالخراز وجدتهم بين مختصر اختصارا مخلا ومطول تطويلا مملاّ فشاقت نفسي إلى أن أضع عليه شرحا متوسطا يكون أنشط لقارئه وأقرب لفهم طالبه فشرعت فيه مستعينا بالله تعالى وسميته " الطراز في شرح الخراز"[4]

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ، ص ص : 444 – 445 .

[2]- الخراز هو أبو عبد الله محمد بن محمد الشربشي الشهير بالخراز إمام وفقيه أخذ عن أعلام منهم أبو عبد الله محمد القصاب له تأليف منها الرجز الموسوم بمورد الضمآن في رسم أحرف القرآن وآخر سماه عمدة البيان وشرح على الحصر وشرح على البرية ، وغير ذلك توفي في عام 718هـ . شجرة النور الزكية ، ص 215 ، عبد الكبير الكتاني ، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس تح علي بن المنتصر الكتاني مطبعة النجاح الجديدة المغرب ، ط1، سنة 2002، ج1، ص : 395.

[3]- محمود بوعياد ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ص : 26.

[4]- الطراز مخطوط بالمكتبة الوطنية ، الجزائر ، رقم 391 ورقة (140).

وبهذا يكون التنسي قد وضع شرحه هذا ملمّا بين الاختصار والاسهاب[1] و قد بدأ بتعريف علمي الرسم والضبط والتمييز بينهما ، فقال: وهو (أي الخراز) يتكلم عليها (أي المصاحف) بوجهين أحدهما يرجع إلى بيان الزائد والناقص والمبدل وغيره والموصول وغيره وهو المسمى بعلم الضبط وفيه نظم المؤلف هذا الذي تكلم عليه.[2]

6 ـ راح الأرواح:

وعنوانه كاملا هو:" راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح" وقد ورد ذكره في مجموعة من المصادر التي ترجمت للتنسي من بينها: نيل الابتهاج، البستان، شجرة النور الزكية، والكتاب ، اليوم في حكم المفقود و لذلك ظن الكثير أنّ التنسي لم يؤلفه أساسا بل كان مجرد مشروع ككتاب السلطان محمد المتوكل[3] و ممّا يدلّ على أنّ التنسي قد ألّفه ذكره في كتابين لأحمد المقري في نفح الطيب ، وأزهار الرياض ، إذ نقل فقرة منه كان يصف إحدى الحفلات التي كانت تقام بقصر المشور بتلمسان ، وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني يشرف عليها في كل مولد نبوي ، وقد أعطى هذا الأخير العيد أبهة وجلالا لم تتعهدها تلمسان من قلبه.[4]

كما أنّ عنوان الكتاب يدل على احتواء أشعار نظمها في مدح لسلطان أبي حمو والمدائح التي مدحه بها الشعراء ، وبهذه المناسبة يشنف المغنون آذان المتفرجين من أعيان ورعية بموسيقى مطربة وأغان أندلسية ، ثم ينشد الشعراء قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه هي الفقرة التي ذكرها المقري وهي النص الوحيد الذي بلغنا من كتاب راح الأرواح قال:

" إنّه كان يقيم لليلة الميلاد النبوي على صاحب الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة ، مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شكت من نمارق

1– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص : 120.

2– أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان ، ص : 26.

3– أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعفيان، تح محمود بوعياد ، ص : 27.

4– مجلة الثقافة عدد 13 ص 1 ، فيفري مارس 1973 ، محمود بوعياد عنوانه" زهر البستان في دولة بني زيان".

مصفوفة وزرابي مبثوثة، وبسط موشاة ، ووسائد بالذهب مغشاة ، وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات ، ومباخر صفر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تبر مذاب ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة ، كأنها أزهار الربيع المنمنمة ، تشتهيها الأنفسوتستلذّها النواظر ويخالط حسن رياحها الأرواح ويخامر ، رتّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع الوقار والإجلال ، وبعد ذلك يحتفل المدعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام يخرجون فيها من فن إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب ، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس ، وترتاح إلى سماعه القلوب ، وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كأنها حلة يمانية لها أبواب موجفة على عدة ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من أبوابها وبرزت منه حارية صورت في أحسن الصورة في يدها اليمنى رقعة مشتملة علم نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة ، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة يسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حقّ الخلافة ، هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادي حي على الفلاح".[1]

ومن خلال هذه الفقرة يتضح أنّ التنسي لم يقتصرعلى ذكر الأشعار التي مدح بها السلطان أباحمو و إنّما وصف فيها حالة القصر في أثناء الاحتفال ، وفيها إشارات كثيرة منها :

1- إشارة اجتماعية حيث تدل على المكان أي القصر الذي يقام فيه الحفل ، فقد كان يحتفل في إحدى قاعات القصر بالأعياد الدينية، ولاسيما بالمولد النبوي الشريف بابتهاج كما هو جار به العمل بفاس في عهد بني مرين، و في هذا إشارة دينية كذلك تعبّر عن اهتمام السلطان بالدّين ممثلا في الاحتفاء بالرسول الأكرم عليه الصلاة و السلام كما نجد في الفقرة الوافية إشارة اجتماعية ،إذ لم يكن من يحضر الحفل من المدعوين من الطبقة الراقية فقط أو الخاصة ، بل حتى عامة الناس كانت تحضره مما يدل قرب

[1]- المقري ، نفح الطيب ، ص : 513- وأزهار الرياض ج1، ص : 243-244.

السلطان من الشعب و التقائه بالرعية:" ولا يفارق السلطان أضيافه حتى يفرق وابلا من المنح والهدايا على من أحيوا الحفل البهيج "[1]

2 – إشارة ثقافية حضارية : إنّ وجود خزانة المنجانة ساعة الاحتفال في القاعة المحتفل فيها ، و بالقرب من السلطان له دلالة واضحة على اهتمامه بها ، وعلى مكانتها في نفسه فهي من اختراع عقول فذة سمت إلى الاختراع المتميز ، و هذا يدلّ على تشجيع العلماء على مثل هذا الابتكار ، وما موضع تلك الخزانة إلا دليل على تقدير السلاطين لهذه الأعمال ولا غرو إذا حظي العلماء و الأدباء والحكماء والفقهاء وحتى الأولياء الأتقياء بهذه المكانة ، و لعلّ هذا ما أوصل عاصمة بني زيان إلى أن تصبح " جوهرة المغرب الإسلامي " و لا ضير في ذلك فإنه إذا كان الملك عالما صار العالم ملكا.

7 ــ قضية يهود توات :

إن هذه القضية تعد من القضايا التي أسالت الحبر قديما وحديثا ، وقد سلطت الضوء على المغيلي أكثر من تأليفه الأخرى ولكن من أفتاه وشجعه ؟ ولماذا ؟ وهل القضية قضية فقهية أم سياسية ؟ ولماذا ؟ تجرأ المغيلي على تأديب يهود توات وهو التقي الورع ؟ وهل تجاوز الحدود وظلم أهل الذمة واليهود؟

استقر اليهود المهاجرون قبل الفتح الإسلامي بجنوب المغرب الأوسط بأماكن متفرقة " توات ، ورقلة ، جانت ، تقرت " [2] وعرف إقليم توات هجرات يهودية مبكرة على كل من تخفيف وتمنطيط ويذكر جاكوب أوليال في كتابه يهود توات أن المنطقة شهدت عدة هجرات يهودية ، أولها كانت في القرن الثاني الميلادي وهي مؤرخة بتاريخ 132م/، والثانية كانت سنة 289م وانطلقت من السيرانيك ، أما الهجرة الثالثة فقد أنطلقت من الموصل سنة 543م[3] ، كما انطلقت هجرة رابعة من بلاد الأندلس في

---

[1]– أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان تح : بوطالب محي الدين ، ص : 30.
[2] - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، الجزائر : دار قرطبة لنشر والتوزيع ، ط/2 ، 1426ه/2005 ، ج : 1 ، ص : 49 .
[3] - Martin A La frontiere des maroc les oasis sahariennes Alger edition de limpremerie Alerienne 1908 , p : 85 .

القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي[1] وأكبر و أبرز الهجرات اليهودية كانت إثر سقوط غرناطة سنة 898هـ/1492م.[2]

ومما لاشك فيه أن مناطق الصحراء قد عرفت إقبالا متزايدا من الأسر والجماعات السكانية ، لاسيما من أهل الشأن ومن النخب المحلية والأندلسية الطارئة على البلاد فرارا من التوسع والتدويخ التي كانت دائمة الاستعار بسبب الصراع على الحكم زيادة على الضغوط المتتالية التي كان العالم المسيحي يمارسها بشتى الأساليب على البلاد الإسلامية عامة والمغربية بالخصوص [3].

وبهذه الوفود عمرت الصحراء وواحاتها بالنازحين ، وتشكلت حواضر وتوسعت أخرى جراء ذلك ، وشكلت فئة اليهود أقل الشرائح من حيث العدد بتوات ، ومن بين الأسباب التي شجعت اليهود على الإقتطان هناك ، ما كان لهم بها من حضور تاريخي قديم عندما أتوا تلك النواحي الصحراوية ولقو فيها الملجأ بعد أن أجلاهم عن بلاد فلسطين نبوخذ نصر البابلي ، ثم الملك الرماني بعد قرون من ذلك العهد، ووجودهم بالمنطقة مرتبط أيضا بالتجارة [4] ، فهم تجار يتقنون هذه الحرفة بشكل كبير و قد تمكنوا من السيطرة على السوق ذكر في محمد الطيب أنه وجد بها ثلاثة مئة وستون صائغا يهوديا [5]

وترجع الهيمنة اليهودية خلال تلك الفترة إلى تمتعهم وأهل الكتاب بصفة خاصة بما حباهم الدين الإسلامي في تعاليمه السمحة من رأفة ورحمة وعدم الإكراه في الدين إن دفعوا الجزية وسلم المسلمون من شرورهم.[6]

و قد اشتهرت منطقة توات منذ العصور القديمة أنّها مكان آمن لكلّ المضطهدين ، فهي منطقة منيعة لتوغلّها في أقاصي الصحراء يقصدها الكثير من ضحايا القمع

---

[1] -Jacob O leil , les juif au sahara , le touat au moyen age parais : CNRS Edition 1994. p : 17 .

[2] ـ فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، ج : 1 ، ص : 51 .

[3] ـ مقدم مبروك مقدم ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التارخية ، الجزائر، مطبعة دار الغرب للنشر والتوزيع ، ص : 10 .

[4] ـ فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، ص : 33 .

[5] ـ محمد الطيب بن عبد الرحيم ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تحقيق : فرج محمود فرج ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1977 م ، ص : 53

4 – مقدم مبروك مقدم " الإمام بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية ص : 53 .

السياسي والديني[1] فأحمد بن يحي الونشريسي اتهم بتدبير مؤامرة قتل أمير تلمسان ، و من حسن حظه أن أنصاره قد تمكّنوا من مساعدته على مغادرة تلمسان ، و لمّا بلغ الأمر الإمام الإمام المغيلي قرر هو الآخر الخروج من تلمسان و بخاصة بعد وصية شيخه عبد الرحمان الثعالبي[2] بعد مصاهرته "لا يعاشر أهل سفاهة وأن لا يستوطن مكان إهانة " فرأى منطقة توات مكانا آمنا، فشدّ الرحال إليها خاصة وأنها تمتعت بحياة ثقافية مزدهرة [3].

نازلة يهود توات :

لما أتى المغيلي إلى منطقة توات سنة 870هـ /1465م ، التقى بالشيخ يحي بن يدير الذي كان قاضيا شرعيا بالمنطقة فنهل من علمه وسافر بعد ذلك إلى أولاد السعيد ولما رجع بعد وفاة شيخه يحيى بن يدير [4] وجد أن القبائل التواتية قد رضيت بتعيين عبد الله بن أبي بكر العصنوني قاضيا شرعيا [5] ، وقد رأى الإمام المغيلي في حياة شيخه تغلغل اليهود في المنطقة وإهتمامهم بالتجارة حتى أصبح لهم نفوذ قوي تجاريا بسبب اشتغالهم بجل الحرف المربحة والتي لها عائد مالي كبير مثل الذهب والفضة كما أنه كان مستاء من الإستعلاء الذي لاحظه منهم ، كما أنهم كانوا يدخلون القتال مع القبائل التواتية عندما يشب خلاف يؤدي إلى قتال بينهم[6] ولب القضية هو إحداث بيع وكنائس

---

5 – التلمود البابلي ،عبوده زارة ، عن الشخصية الإسرائيلية ، حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، ط3 1999 : ص : 9 .

2 – ينظر محمد مبروك مقدم ، الإمام ابن عبد الكريم المغيلي من خلال الوثائق التاريخية ، ص ص : 41 ــ 42

3 ـ يذكر مارتان أن منطقة توات قبل دخول المغيلي كانت تفتقر إلى أدنى شروط شروط النظام أي ما مفداه أنّ هذه المنطقة سيطر عليها الفوضى والجهل وهذا بعيد عن الحقيقة فقد كانت هذه المنطقة منارة علمية هبّ إليها الكثير من العلماء الذين أثروا في المنطقة وأسسوا دورا ومساجد وغيرها . أحمد الحمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية ، بتوات، عصره وأثاره (870 - 909 هـ - / 1465 م ـ 1503 م) ص : 70 .

4 ـ لقد توفي سنة 875 هـ / 1470 م تصدر لتدريس بتمنطيط وتخرج على يده العديد من العلماء والفقهاء من تمنطيط وخارجها ، كما كان يدرس الصبيان مبادئ اللغة العربية والقرآن الكريم ، عكف على شرح مختصر خليل وفروع ابن الحاجب والمدونة ، درس العقيدة والتوحيد وكانت شهرته في الفقه ، تخرج على يديه العديد من الشيوخ بتوات / أحمد بابا التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، ج : 2 ص : 339 .

5 – تنسب عائلة العصنوني إلى بني العباس القرشي وقيل إلى الحسين بن علي ، وأول من تولى القضاء منهم الشيخ عبد الله العصنوني وأخوه بن أبي بكر وذلك سنة 862هـ / 1457 م ثم تولى هذا المنصب سالم بن محمد المولود سنة 882 هـ / 1477م تولى القضاء سنة 914 هـ /1508م وكان إذا أراد أن يقضي يتخذ رجلين يتلون عليه " إنك ميت وإنهم ميتون " الأية 30 من سورة الزمر ، ثم يقضي بين الخصمين بما أنزل الله ، خلف ولدا اسمه أحمد بن سالم ، تولى القضاء بمصر وهو متبحر في العلوم ، محمد الطيب بن عبد الرحيم المعروف بابن بابا حيدة القول البسيط في أخبار تمنطيط ص : 31 ــ 20 .

6 – يحي بوعزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، ج : 2 ، ص : 28 .

من طرف اليهود ، والبيعة التي أنشئت آنذاك في عاصمة بلاد توات حديثة العهد زيادة على وجود "شنوغة " قديمة للعبريين لم تسعهم حسب زعمهم ، فسولت لهم أنفسهم بناء أخرى دون إذن أهل الذكر وأصحاب الحل والعقد من المؤمنين .

تأديب المغيلي ليهود توات:

لا بد أن أعلن في البداية أنّ هذه القضية تحتاج إلى بحث منفرد ، فمازالت تشغل بال الباحثين إلى يومنا هذا ، و هي من المسائل التي شغلت علماء المغرب الأقصى والأوسط والأدنى من القرن التاسع الهجري ، أي عصر التنسي ، فهذه مسألة من أخطر المسائل التي تباينت حولها الأراء وكان السؤال المطروح أنذاك : هل يجوز مصادرة أموالهم وهدم بيعهم أم لا؟ فعالج المغيلي هذه القضية بكثير من الدقة والتأني وإعطاء المسألة كل الوقت الذي تستحقه إذ لم يقدم على مافعل إلا بعد مشاورات واستفتاءات كثيرة .

لقد شغلت مسألة يهود توات علماء المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي سنوات عدّة حيث انقسمت حولها الآراء بين مقر لمصالح اليهود ومضاد لتلك المصالح ، وقد أظهر الإمام المغيلي أن القضية مع يهود توات لها ثلاثة أبعاد :

1 ـــ البعد الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع التواتي ، و بخاصة أنّ اليهود كانوا متمكنين اقتصاديا واجتماعيا متحكمين في دواليب حياة المجتمع بيد من حديد[1]

وكان المغيلي قد لاحظ في حياة شيخه نفوذ اليهود التجاري ، واشتغالهم بأغلب الحرف المربح،[2] كصياغة الذهب والفضة ، ولم يعجبه استعلاء الجالية اليهودية بتوات ، وكعادتهم كانوا يثيرون الفتن بين القبائل في أيّ مجتمع يحلون فيه ، وقد بلغ بهم الأمر إلى درجة استعداء قبيلة على أخرى ، و لا ضير فهذا دينهم عبر التاريخ ،

1– ينظر ، مقدم مبروك مقدم، الإمام المغيلي من خلال الوثائق التاريخية ، ص 52.

2- في الفترة الممتدة ما بين القرن 14م و 15م ، كان اليهود يحتكرون تصدير الحبوب من الجزائر إلى الخارج ، وبرز " ...يهود توات ... كوسطاء تجاريين مع إفريقيا السوداء ....وكانوا على علاقات تجارية وثيقة بيهود وهران وتلمسان إذا كانوا يبيعونهم الذهب المسحوق وريش النعام مقابل شراء القمح والنحاس عنهم " فوزي سعد الله يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، ج : 1 ص : 104 .سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، ج1 ، ص : 104 .

كما أنّهم تمردوا على العلامات التي كانت تميزهم عن المسلمين في ذلك الوقت الأمر الذي أثار حفيظة المغيلي[1] .

2 ــ البعد السياسي للمغرب الكبير وانعكاسه على هذه المناطق المتوغلة في الصحراء فإذا رجعنا إلى باقي القطر بالمغرب الأوسط ، وكذلك المغرب الأقصى حيث نجد أكثر اليهود لا يتقيّدون بحدود الذمّة التي نص عليها الفقه الإسلامي ، ومع هذا فقد وصل بعضهم إلى أعلى المناصب السياسية ، وقد تواطأ معهم بعض المسلمين الذين كانوا يتعاملون معهم سواء في المدن أم في البوادي . أما في بلاط بني مرين بفاس فقد أدى تعيين يهوديين في منصب الوزارة إلى مجزرة كبيرة ذهب ضحيتها عدد كبير من اليهود ، وإلى فتن وتطاحن أدّت إلى تقويض أركان الدولة المرينية ، وحلول أبناء عمومتهم بني وطاس مكانهم وذلك سنة 869هـ/1465م.

3 ــ استقرار اليهود في منطقة توات لأنها ملجأ المضطهدين ، و استغلالهم لسماحة الإسلام و المسلمين ، لهذا رأى الإمام المغيلي حتمية انهاء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتجارية السائدة التي كان ينظم مسارها هؤلاء اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا عن الذمة ، والمغيلي أعلم بتاريخهم و مكرهم ، لذلك رأى وجوب هدم كنيسهم و قتالهم وإجلائهم عن أرض أفسدوا فيها، فخالفه بعض علماء عصره من داخل منطقة توات وخارجها.[2]

وقد ناصب الإمام العصنوني العداء للإمام المغيلي بسبب هذه القضية فرفعا القضية إلى علماء المغرب الإسلامي فوافق الإمام العصنوني علماء كثر، ووافق المغيلي علماء كذلك [3]

وممن وافق رأي الإمام العصنوني هم :

---

[1]– أحمد الونشريسي المعيار المعرب والجامع مع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب ، تحقيق جماعة من العلماء ، إشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ، ج1، ص :198-199.

[2]– مقدم مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال الوثائق التاريخية ، ص ص : 52-87

[3]– لقد احتكرت عائلة العصنوني منصب قاضي الجماعة مدة 20 سنة وكان أشهرهم القاضي عبد الله ، مقدم مبروك مقدم من خلال الوثائق التاريخية ، ص : 87 .

الإمام أبو مهدي عيسى الماواسي[1]– الإمام أحمد بن زكري مفتي تلمسان ، الإمام عبد الرحمن بن صابو ، القاضي أبو زكريا يحيى أبو بركات الغماري [2] ، محمد بن محمد بن زكريا التلمساني ، الإمام عبد الرحمن بن سبع التلمساني ، الإمام الرصّاع [3] مفتي تونس ، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي .

أمّا الذين وافقوا الإمام المغيلي فهم العلاّمة الزياني الشيخ أحمد بن يوسف السنوسي والشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني، و قد أيده عالم الصحراء و مرجعها في ذلك الوقت إبراهيم الفجيجي الذي اتهم أهل توات و العصنوني اثبات رأيه في قصيدة ذمّ فيها سكان توات وقاضيهم .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : لماذا انتصر المغيلي للرأي القائل بهدم الكنيس و مقاتلة اليهود حتى يعودوا لأحكام الشريعة و لم يحترم الرأي الآخر ؟ و لماذا خالف العصنوني رأي المغيلي؟

إنّ الإمام العصنوني لم يشر في سؤاله للإمام أحمد بن زكري مفتي تلمسان إلى نقض اليهود للعهد و إفسادهم للواقع الاجتماعي و خروجهم عن الذمة ، أي لقد أخفى عليه الواقع ، والفتوى قاصرة بجهل الواقع ، و إنما وجه إليه سؤالا فقهيا بحتا بخصوص المسألة ، و لم يبصره بالفساد الذي أحدثه اليهود ، و السؤال ، هنا ، لماذا سكت العصنوني عن هذا الفساد ؟.

لقد سلك العالمان المغيلي و العصنوني طريق المناظرة في إثبات الرأي و دحض حجة الخصم ، وقد كان علماء توات يتعاملون بالمناظرات والمحاورات في شتى أنواع الفنون ، و لعلّ ذلك ثمرة من ثمار المراكز الثقافية و العلمية التي سمحت بانتشار هذا الأسلوب العلمي المتميّز [4] ، لم يكتف هذان الفقيهان برأيهما فقط ، وإنّما راسل كلّ

---

[1]– أبو موسى عيسى بن أحمد المواسي من قبيلة بطوية الريفية على شاطئ البحر المتوسط سكن مدينة فاس وولى خطبة الفتوى فيها ، وظل يخطب بجامع فاس الجديد نحو ستين سنة توفي سنة 896هـ–1493 م) أحمد بابا التنكتي ، نيل الإبتهاج ، ج 1 ص : 335 ، الونشريسي ، الوفيات ، ص : 152 .

[2] ـ ابن ابي بركات : يحي بن عبد الله الفقيه القاضي على الجماعة توفي عام 910 هـ ـ 1504 م ، الونشرسي ، لوفيات ، ص : 154 .

[3]– الرصاع : الفقيه القاضي التونسي أبو عبد الله محمد توفي عام 894 هـ /1488م ، ابن القاضي ، لقط الفرائد ص : 270 . مقدم مبروك الإمام المغيلي من خلال الوثائق التاريخية ص : 98.

[4]– ينظر مقدم مبروك مقدم، الإمام المغيلي ، ص 115.

منهما علماء كثرا في المغرب الإسلامي ليعضد به رأيه ، وفي هذا تقوى و خوف من التجرؤ على الفتوى ، لما يترتب عليها من تغيير للواقع .

فعندما عاد المغيلي للمرة الثانية إلى قرية تمنطيط وجد شيخه قد توفيّ ، فطلب من القاضي عبد الله العصنوني أن يهدم أديرة اليهود بتوات ، لما أحدثوه من فساد إذ وجد الرشوة قد تفشت في المجتمع [1] ، واليهود معروفون بمعاملاتهم الربوية ، و حبهم المفرط للمال ، واتخاذ كلّ السبل لتحصيله ، لذلك خرجوا عن ضوابط المجتمع المسلم و إلاّ لماذا تجرأ عالم كالمغيلي على محاربتهم و هو الذي خرج من تلمسان و قصد أقاصي الصحراء ، مفضّلا الحرّ الشديد على العيش الرغيدالهواء الطلق في الشمال ، وما ذلك إلا انتصارا للحق [2].

وقد قسم الفقهاء أرض الإسلام إلى ثلاثة أصناف أرض الصلح وأرض العنوة والأرض المختطة ، وخلاصة أقوال المالكية في إحداث كنيسة للذمّيين في أرض الإسلام هي قول ابن القاسم أن تترك القديمة في العنوية ويمنع الإحداث في المختطة والعنوية أمّا الرأي الثاني فهو قول الرأي الذي لا يشترط أصحابه في الإحداث في العنوية الإعطاء والرأي الثالث لعبد المالك بن جبية القرطبي [3]الذي قال: "تهدم القديمة ويمنع الإحداث في المختطة والعنوية مطلقا.

وقد أدرج قاضي توات عبد الله العصنوني مسألة يهود توات في القسم الذي اختطه المسلمون حيث قال " إن معنى الاختطاط عند البناء والتأسيس وشرط المأمور به أن يكون واجبا بالإجماع ، و شرط التغيير أن يكون المنهي عنه محرّما بالإجماع ... والصواب عندي تقريرها اتباعا ، لقول الغير ، لجري العمل به في كثير من مدن

[1] - كان اليهود يقايضون التسامح عموما بالمساعدات المالية التي لم تكن عادة سوى رشاوي مقنعة ، وبربط مصالحهم بمصالح بعض المسلمين بالاشتراك معهم في رساميل الصفقات التجارية . فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ج1 ، ص : 104 .

[2] - وقد يكون المغيلي قد ترك تلمسان مسقط رأسه مغتاظا من سيطرة اليهود بها على المقاليد الفعلية للسلطة وعلى مختلف جوانب الحياة الإجتماعية ، الإقصادية ، السياسية ، فكان تسلط اليهود في تلمسان قد أثار حفيضة بعض الشعراء ، فقال أحدهم فيها : تلمســـــان أرض لاتليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضـــا

وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليسى يرتضى -

- رغم أن بعض المصادر ترجع هجرته إلى أسباب مجهولة ، فوزي سعد الله يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، ج1 ، ص : 80 ، 84 .

[3]– عبد المالك بن جبية القرطبي الأندلسي صاحب الواضحة توفي عام 232هـ/846م ينظر ابن قنفد شرف الطالب ص: 42.

المغرب. و هي مما اختطه المسلمون في صدر الإسلام و بعده ، و فيها العلماء متوافرون في كلّ وقت و وفيهم من لا يسكت على باطل، و كذلك قواعد هذه الصحراء قد حلّ بها علماء فضلاء و قد شاهدوا الكنائس فيها وقد أنكروا أشياء على أهل الذّمة وعلى غلايفهم ولم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه " [1] واضح أن الامامي العصنوني يركز على البعد الفقهي للقضية ، ولا يعير اهتماما للابعاد الأخرى السامية والثقافة الاجتماعية أي لقد اخفى ما احدثه اليهود من تغيير في حياة المجتمع التواتي .

الآراء القائلة بوجوب هدم الكنائس:

ان القائل الأول فيها هو المغيلي حيث رأى أن اليهود لا عهد لهم كما أنّ معاملتهم الخسيسة والماكرة مكّنتهم من التقرّب إلى أصحاب السلطة في المنطقة فذلك التحايل أكسبهم عدم دفع الجزية إلى بيت المال ، بل كان أعيان القبيلة وحكّام المنطقة يأخذون عطاياهم و هداياهم ، وبل تعدى الأمر ذلك إلى كثرة الفساد ودفع الرشاوي[2] وقد اعتمد الإمام المغيلي على الآية القرآنية " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفي صدورهم أكبر قد بينّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون "[3] فهذا حكم قاطع لا يتغير ابدا .

و قد حكم المغيلي على من مات وهو يريد هدم الكنيسة أنه من أهل الجنة ، وأن من أراد العكس فمثواه النار ، و وصف المعترض أن المانع لهدمها بناصر دين الكفر ورافعه وقد أشار ذات مرة إلى أرضين وهو يخاطب جمعا من الناس " هذه الجنة وهذه النار من هدمها له الجنة ومن حماها فله النار" [4] وقد استند في حكمه هذا على القاسم العبدوسي[5] الذي أقر بأن لاحق للذميين في إحداث أو بناء معبد لهم وإن

---

[1]– الونشريسي، المعيار المعرب ،ج2– ص : 215.

[2]– المصدر نفسه ،ج2 ، ص 216.

[3]– سورة آل عمران الآية : 118.

[4]– الونشريسي، المعيار المعرب ، ج2، ص 116.

[5] –أبي القاسم العبدوسي " عبد العزيز بن موسى بن معطى العبدوسي ، فقيه محدث ، حافظ ، وذكر الونشريسي في وفياته أنه توفي بتونس في التاسع والعشرين في ذي القعدة عام سبعة وثلاثين وثمانمئة . أحمد بابا التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، ج 1 ص : 298 .

عارضوا بعد نهيهم وقع عليهم الحكم ، كما يقول العبدوسي" أما الونشريسي فقد أقرّ أن أرض توات بلاد إسلام باختطاط: " لا تتقرر، لملاعين اليهود – أبعدهم الله– فيها كنيسة ، إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير[1] وذكر الشافعي أن أهل الذمة ليس لديهم الحق في بناء كنيسة في أرض من أراضي المسلمين[2].

وكذلك الحنفية لم يجيزوا إحداث بيعة وكنيسة في دار الإسلام[3] وهذا يبيّن أن معظم الفقهاء والعلماء الذين تمحصوا هذه الأنواع من الفتاوى والقضايا أجمعوا على عدم إقرارها إلا البعض ، وهم قلة و لم يدركوا ما فعله اليهود في المنطقة من فساد و إفساد و قد تركّزت آراؤهم على هدم الكنائس من عدمه .

أما الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي فقد أيّد كلام أبي عبد الله التنسي ومؤازرة المغيلي وتشجيعه لما يقوم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل زمن كثر فيه الفساد وطغت فيه المصالح الشخصية وغلب فيه الهوى والانحراف ، وقد بدأ الشيخ السنوسي في ما ذكره الونشريسي في كتابه بمثابة التلميذ مع أستاذه ، ففي ردّه قد وضّح أنه لا كلام بعدما أجاب الشيخ التنسي على القضية " فقد تولّى منزلة رفيعة استحيي أن أتكلّم بعده : " فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود – أذلهم الله – كنيسة في بلاد الإسلام وحرصكم على هدمها وتوقف أهل تمنطيط فيه من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء[4] فبعث إليه مستنهضا همم العلماء ليفصلوا في القضية ، ولم ير السنوسي سوى رأي العلامة التنسي لما يتمتع به عنده من علم [5] ، وجرأته كانت أعظم حيث قال : ان التنسي لم يراع في ابداء الحق " بعض من تتقى شوكته " .

وهذه اشارة تدل على خطورة الفتوى ضد اليهود لأن أصحاب المصالح الكبرى والمراكز العليا في البلد كانت لهم علاقات قوية معهم وأي ضرر يمسهم قد يعطل

---

[1]– ينظر الونشريسي، المعيار، ج2، ص : 249.
[2]– ينظر الونشريسي، المعيار ، ج2، ص : 250.
[3]– الونشريسي، المعيار ، ج2، ص : 251.
[4]–المصدر نفسه ، 253/252.
[5]– الونشريسي، المعيار ، ج2، ص ص:252–253

أرباحهم بالخصوص أنّ المتعاملين معهم كانوا من كبار التجار والصناع ، فالفتوى الجريئة للتنسي أظهرت شجاعته و ذكاءه لأنه بحث في القضية ودرس جميع جوانبها بما فيها تعالي اليهود وخطورة تغلغلهم في المناصب وتحكمهم في زمام إقتصاد المنطقة ودليل ذلك تلميحه الواضح في فتواه الى " القوى الظاهرة والقوى الخفية " [1] وقد أظهرت الفتوى التي جاءت مليئة بالأدلة الشرعية والتي عكست تبحره وغزارة علمه بأنه استعملها " لقطع دابر كل تاويل مزيف للنصوص الفقهية التي تدل دلالة واضحة على عدم جواز إحداث البيع والكنائس من طرف اليهود والنصارى " [2] محتجا بأقوال كل من ابن القاسم وابن رشد وابن يونس وابن عرفة وغيرهم لاثبات رأيه في القضية ويذكر في هذا الصدد محمود بوعياد أن التنسي : " لم يأت بجديد بل كان مثل بقية علماء عصره يتميزون بالتبعية والتقليد [3] لكن جوهر القضية أن التنسي درس القضية من كل جوانبها و جمع بين الأدلة الشرعية وواقع اليهود في المنطقة كلها وتوجت نظرته المتميزة بالفصل في القضية بالرغم من الأخطار التي قد تصيبه جراء ذلك .

وخلاصة القول في القضية ، التي ذهب ضحيتها ولد المغيلي سيدي عبد الجبار[4] وهجرته هو والده إلى بلاد السودان ، أنّ اليهود ، فيما أعتقد ، قد استطاعوا التأثير على أهل المنطقة و على أعيانها ، و إن الحكم الذي أصدره ضدهم المغيلي مستندا على ذلك بفتوى التنسي ليس فيه من ظلم لهم فإن من يتفحّص الشخصية اليهودية عبر التاريخ يجدها تتميّز ب :

1-التعصب العنصري حول أسطورة خاصة بالأعراق و الأنساب .

2-التعصب الدّيني حول شريعة اعتبرها اليهود خاصة بهم لأنهم شعب الله المختار

---

[1] ـ الونشريسي ، المعيار ، ج : 2 ، ص : 202 .

[2] ـ بوطالب محي الدين ، نظم الدر والعقيان ، ص : 39 .

[3] ـ أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، تحقيق : محمود بوعياد ، ص : 34 .

[4] ـ يذكر في هذا الصدد أحمد الحمدي أنّ مؤامرة قتل عبد الجبار ابن المغيلي اشترك فيها ثلاثة أطراف : الدولة الوطاسية بدعمها لأنصار اليهود ، واليهود الذين قامو بالتخطيط للعملية ، وأنصار اليهود الذين قاموا بنتفيذ العملية ، لأنهم هم الطرف الوحيد الذي يمكنه الوصول إلى الضحية . أحمد الحمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات ، عصره و أثاره

3–حتمية الصّراع ، و فناء أمم العالم أمام إسرائيل [1].و لهذا فقد لقوا ما يستحقون على يد عالم لا يخاف في الله لومة لائم .

[1] ـ حسن ظاظا ، الشخصية الإسرائلية ، ص : 47 .

الفصـــــــل الثاني

محتوى المخطوط

1 ــ دوافع تأليف الكتاب .

2 ــ عنوان المخطوط .

3 ــ منهج تأليفه .

4 ــ خصائص تأليفه :

4 ــ 1 الإطناب .

4 ــ 2 عدم التحري .

4 ــ 3 الأمانة العلمية .

5 ــ مصادر التنسي .

6 ــ أسلوب التنسي .

7 ــ عرض مادة المخطوط .

1 – **دوافع تأليف الكتاب :**

تبرز مقدمة الكتاب العلاقة الحميمية التي كانت تربط المؤلف بالأميرالمتوكل ، فقد أغدق هذا الأخيرعلى التنسي من الخيرات ما لا يستطيع نكرانه ، كما تعكس تقدير الأمير للعلم و العلماء و هذا ما يوضحه قوله : " و لمـــا كنت من جملة من غمرتـــه آلاؤه و تواترت عليه نعماؤه ، و ألبست منها حللا ضافية ، و أوردت منها مشارع صافية نهضت في خدمته بقدر طاقتي ، واستعملت في ذلك ما رجوت أن يكون نافقا من بضاعة جاهدا في مرضاته خاطري و لساني...."[1] و هذا لا يعني أن التنسي قد خصص كتابه كله للأمير وإنما ضمنه دستورا في السياسة والتسيير متمثلا في الأحاديث والحكم والمواعظ التي تصب كلها في العدل والحق والاستقامة كما ضمنه علوما أخرى لا علاقة لها بمدح الأمير أو التأريخ له كالفصل الخاص بالبلاغة مثلا و كأنه كان يتخذ هذا المركز وسيلة لنشر العلم والفضائل بأمان بين الناس ، و لعل التنسي بعمله هذا قد رد الجميل الذي قدمه الأمير الزياني له و نال هذه الحظوة التي لم يكن لينالها لولا إجلال هذا الأمير للعلم و العلماء ، فإذا كان الملك عالما صار العالم ملكا كما يقال ، و من هنا انكب هذا العالم على التعريف بنسبه و سلفه و بيان شرفه فـــي الحـــديث و القديم ، و التأريخ لمـــآثر ملوك الدولـــة و صفاتهـــم متبعـــا ذلك بالملـــح و النـــوادر و [2] الأشعـــار و الحكم و من الواضح أن هدف التنسي من كتابه هو التقرب من الأمير المتوكل بإظهار مكانة بني زيان في التاريخ وفي النسب و الآثار و لذلك مدح الأمير و برهن على شرف أسلافه و أبرز مدى مساهمتهم في الحضارة و نفوذ دولتهم مبتدئا بتاريخ إنشائهـــا و منتهيا بالأمير الممدوح ، لكن المتصفح لهذا المخطوط يلاحظ أن السبب الداعي للتأليف يشكل جزءا بسيطا من الكتاب كله حيث جاء هذا الأخير زاخرا بالأدب منظومه و منثوره [3] بالاضافة الى ايراد طرائف وملح كثيرة اوردها المؤلف درءا للملل رغبة في الاستفادة الممزوجة بالتسلية

---

[1] - أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، مخطوط بالمكتبة بالجزائر تحت رقم 2536

[2] - محمد ابن صعد الأنصاري ، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين ، تح : يحي بوعزيز ص : 141

[3] - أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 36

و المتعة فالداعي كما ذكر هو :" اتحاف ذوي الألباب بما فيه من الملح و تحريكهم إلى استعمال ما تضمنته حكاياته وأ شعاره المستعذبة من أخلاق شريفة و محاسن ظريفة و شيم حسنة ، و خلل مستحسنة تحمد على التخلق بالخلق الحسن و تنفس عن ملله عسى أن تكون في ذلك ممن نيته في الخير أبلغ من عمله [1]

فواضح أن التنسي لم يورد تلك الملح والطرائف للتنفيس عن النفوس فقط ، وإنما كان هدفه كذلك المنفعة الخلقية المتلبسة بلبوس المتعة وهذه طريقة تربوية تدفع السأم عن نفس وتحبب العلم .

ويرى الأستاد محمود بوعياد في هذا الصدد أن الغرض من هذا العمل هو تصنيف تحفة أدبية لتسلية السلطان خصص فيه المؤلف شطرا لإثبات شرفه ، والتحدث عن أجداده من قريش آل البيت و الأدارسة الذين جعل بني زيان من سلالتهم ، و المتصفح لهذا النموذج من المصنفات الملوكية يظهر له تنوعها بين العلماء ،و من يؤرخون له فإذا كان عبد الله التنسي قد جعل بطله هو السلطان محمد المتوكل فإن محمد بن مرزوق الجد جعل بطله أبا الحسن المريني ،و أوعز سبب تأليفه لكرم الأمير، و دفاعه عن الإسلام ، وقد كان لأحمد بن الخطيب المعروف بابن قنفد كتاب سماه الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لكن سبب التأليف لم يكن طمعا في مال أو حظوة و لكنه ألفه دفاعا و تبرئة مواطنيه من تهمة الثورة ضد السلطان اعترافا بجميله وقد ذكر ابو القاسم سعد الله أنه أراد يبرئ مدينة قسنطينة التي قامت فيها الثورة ضدهم ذلك السلطان وخاف ابن قنفذ أن تكون العاقبة سيئة ، فألف كتابه ليبرز دور المدينة في خدمة الدولة الحفصية مكانة عائلته في ذلك.

---

[1] - أبو عبد الله التنسي ، خاتمة نظم الدر والعقيان ، ص : 542 .

2 – عنوان المخطوط :

لقد اشتهر هذا المصنف الملوكي عند معظم المؤرخين و كتاب السير و التراجم و الأدباء بهذا العنوان " نظم الدر[1] و العقيان[2] في شرف بني زيان " و هو مختصرللعنوان الكامل الذي ذكره بخطه وهو " نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان و ذكر ملوكهم الأعيان و من ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان"[3] و المتأمل في هذا العنوان يلاحظ أولا طوله و عدم احتوائه على إشارات محتوى الكتاب كله إذ يدل عنوانه على محتوى القسم الأول فقط ، هذا و قد اختلف البعض في نقل تسميته حيث سماه أحمد المقري في كتابه نفح الطيب " نظم الدر و العقيان في شرف بن زيان و ذكر ملوكهم الأعيان[4] و عبد الحي الكتاني سماه نظم الدر و العقيان في دولة بني زيان [5] في كتابه فهرس الفهارس و بهذه التسمية يكون قد أسقط الجزء الثاني من العنوان أما في كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض فقد سماه مرة " نظم الدر والعقيان "[6] وفي موضع آخر سماه " نظم الدرر والعقيان"[7] ولعل هذا الاختلاف يعود إلى ناسخ الكتاب سهوا أو خطأ لا إلى المؤلف .

والعنوان يظهر في تركيبه تصنع المؤلف وتأنقه في نسج الكلمات ، فما العلاقة بين الدرر والعقيان وملوك بني زيان ؟

إنهم لآلئ في سلسلة من ملكوا العرب وساسوهم فملوكهم ليسوا كسائر الملوك ، فهم أعيان الملوك ، فالدرر غالية نفيسة وهذا حال شرف هؤلاء الملوك لأنهم ينحدرون من آل البيت ومن ذا الذي لا يحترم هؤلاء ، فإذا كان احترام أهل البيت واجبا دينيا فكذلك

---

[1] ـ الدر : الدرة ، اللولؤة والجمع دّر: در ، درات ، درر. .زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (مختار الصحاح ت، 666 هـ) ، تحقيق : حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994م ، ص : 202 .

[2] ـ العقيان : الذهب الخالص ، المرجع نفسه ، ص : 448 .

[3] ـ أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، ص : 4

[4] ـ أحمد المقري ، نفح الطيب ، ج : 7 ، ص : 514

[5] ـ عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ، ج : 1 ، ص : 193.

[6] ـ أحمد المقري ، ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، المغرب الأقصى ، الأمارات العربية المتحدة : أعيد طبعه تحت إشراف اللجنة المشتركة لإحياء التراث ط : (1978م)، ، ج : 1 ، ص : 244 ، 245

[7] ـ أحمد المقري ، أزهار الرياض ، ج : 3 ، ص : 166 .

طاعة ملوك بني زيان واجبة شرعا لأنهم من سلالة يدين لها المسلمون قاطبة فلا فرق بين الجد والحفيد.

وقد أكد هذا بصياغة العنوان بجملة اسمية نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومعروف أن الجملة الإسمية تحمل دلالة الثبوت ، وكأن المؤلف أراد أن يقنع القارئ بحقيقة ثابتة عنده ، لا مجال لمناقشتها أو الشك فيها ، وهي أن هؤلاء الملوك شرفاء ، ينحدرون من أصل شريف طاعته واجبة.

3 - **منهج تأليفه :**

بعد تلخيص المخطوط حاولت جاهدة استنطاقه وتوضيح منهج التنسي في التأليف حتى لايكون ما استخرجته مجرد سرد ووصف فقد ارتأيت تصنيف ما استقرأته على شكل فقرات محللة أفكاره تارة وناقدة لها تارة أخرى مستعينة بآراء بعض المؤرخين و الباحثين .

منهجية التأريخ عند التنسي : اتبع التنسي في تأليفه المنهج القائم على التأريخ حسب الموضوعات وهي " التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما لدول أو لعهود الخلفاء والحكام وإما للسير أو للطبقات ، فالكتابة حسب هذا النهج قوامها الأشخاص " [1] ، أي الحكام والخلفاء ، وكتاب نظم الدر والعقيان من قبيل التواريخ السلطانية أي التواريخ الرامية الى ذكر أخبار دولة أو سلطان بغرض التمجيد والمدح ، وتخليد الذكر والأعمال البطولية وكان هذا النمط من التآيف قد زاد انتشارا في المغرب الإسلامي خصوصا بعد سقوط دولة الموحدين [2] وحلول الدويلات الثلاث السابقة الذكر ولعل من المناسب أن نذكر أن القرن التاسع قد افتتحه ابن قنفد [3] بكتابه " الفارسية " وختمه التنسي بكتابه

---

[1] ـ السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية لطباعة والنشر ، بيروت ، 1981 ص : 91 .

[2] ـ أبو عبد الله التنسي ، تاريخ دولة الأدارسة "من كتاب نظم الدر والعقيان " تح : عبد الحميد حاجيات ، ص : 25 .

[3] ـ ابن قنفد : هو أحمد بن الحسن بن علي بن الحسن ابن علي بن ميمون ، أبو العباس ، الشهير بابن الخطيب وبابن قنفد : باحث ومصنف ورحالة ، له علم بالحديث والفلك والفرائض والتراجم ، ولد بمدينة قسنطينة حوالي 740هـ / 1340م ، وله مؤلفات نذكر منها " شرف الطالب " وهو شرح للمنظومة المسماة " القصيدة الغزلية في القاب الحديث لابن فرج الاشبيلي ، الوفيات ويحتوي على تراجم قصيرة للعلماء ، و" شرح منظومة ابن أبي الرجال " في الفلك و " شرح الارجوزة التلمسانية في الفرائض " ، نيل الابتهاج لاحمد بابا التنبكتي ، ج : 1 ص : 109 ، عادل نويهض معجم اعلام الجزائر ، ص : 20 ، 21 .

" نظم الدر والعقيان " وقد أهدى ابن قنفد كتابه إلى أبي فارس الحفصي وكان في شرق" الجزائر" .

أما التنسي فكان في غربها وأهدى كتابه الى محمد المتوكل الزياني [1] وتآليف أخرى نذكر منها اللمحة لبدرية للسان الدين ابن الخطيب و " روضة " النسرين لابن الأحمر وبغية الرواد ليحيى ابن خلدون وقد كان غرضها واحدا وهو تمجيد السلطان بالرغم من اختلاف طريقة التأليف عند هؤلاء المؤرخين ، فكتاب التنسي ألف على شرف السلطان أبي عبد الله بن أبي تاشفين بن ابي حمو الزياني ، وقد أشار في مقدمته الى تبويب الكتاب وأقسامه وبما أن غرض التنسي إظهار مكانة بني زيان في التاريخ ، وفي النسب والآثار سخر القسم الأول من الكتاب لهذا الغرض ، حيث تضمنت الأبواب الستة الأولى نسب السلطان الزياني أبي ثابت المتوكل الذي ينتمي حسبما يرى التنسي الى إدريس بن عبد الله الكامل[2] الأمر الذي جعل التنسي يركز على تبيان شرف أجداد المتوكل و نظم دررهم متسلسلة حيث جعل العرب هي درته الأولى ولاضير في ذلك لأن هدفه ربط المتوكل بآل البيت وهم بطبيعة الحال عرب ، فأراد أن يبرز مكانتهم بين الأمم ثم أتبعهم بذكر بني هاشم ثم الطالبيين ثم ذكر بيان شرف عليّ وبنيه وبخاصة الحسن والحسين و بنيهما (رضي الله عنهم) كما أشار الى أبرز طوائف الشيعة ، وكان له رأي فيها إذ حاول من خلاله التنسي اتباع منهج المقارنة عندما أورد آخر الأئمة الإثني عشر الذي أنكر وجوده ، كما أنكر الوصية. والإمامة المشروطة بالعصمة الى الأئمة المذكورين باطلة كما برأهم من كل ما ألصقه بهم هؤلاء الجهلة، [3] كما عرج على تاريخ الدولة الفاطمية بشكل سريع وصحح نسبهم بأنهم من آل البيت[4] ، وهذا التعليق ذكره قبله ابن خلدون حيث دافع عن نسب العبيديين الإسماعليين وصححه [5] وذكر بعض لأدلة ، وقد رد على ذلك خالد كبير علال مستعينا في نقده

---

[1] ـ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج : 1 ، ص : 73 .
[2] ـ أبو عبد الله التنسي ، تاريخ دولة الأدارسة "من كتاب نظم الدر والعقيان " تح : عبد الحميد حاجيات ، ص : 26 .
[3] ـ ينظر أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ص : 59 – 60 .
[4] ـ أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ص : 60 .
[5] ـ عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ص : 17- 18 .

بكل من: الكامل وابن كثير في "البداية "[1] وكل من هؤلاء له أدلة يثبت فيها عدم صحة هذا النسب [2] ثم أتبع ذلك ذكر عبد الله الكامل وبنيه " وعبد الله هذا من حفدة الحسن بن علي وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي ولإثبات شرفه أورد المؤلف قصصا من السيرة النبوية ، وأشعارا وأخبارا تارخية"[3] ، الى أن وصل الى الأدارسة حيث ربطهم المؤلف ببني زيان كما فعل يحيى ابن خلدون وغيره ممن ألحق نسبهم بالأدارسة واعتبروا ملوك تلمسان من الشرفاء و صنفوا لهذا الموضوع كتبا كان من بينها : بغية الرواد ليحيى ابن خلدون ، و نظم الدر والعقيان ، فبعدما تحدث التنسي عن إدريس وتاريخه من يوم غادر المشرق الى أن وصل الى " أوليلي " بالمغرب الأقصى ، ثم تحدث عن ذريته التي ألحق بني زيان بهم دون أي رابط واضح بينهم وكأن هذا التدرج منطقي ومتسلسل وقد كان المؤلف في القسم الأول حينما يتحدث عن الحسن أو الحسين أو عبد الله الكامل يجزم بأن صاحبه المتوكل شريف باتفاق النساب [4] و قد رأى الأستاذ محمود بوعياد أن التنسي " كغيره ممن ذهب مذهبه من المؤرخين ، متى اقترب الى الأحداث التي تحتاج الى الدقة ، وكذلك الى بعض البراهين يبدوا ارتباكه في الموضوع ، ويذكر خلاف النسابين، فيما بينهم ، فاذا كان أولئك النساب قد اتفقوا على أن شخصا اسمه القاسم قد دخل بني عبد الواد القاطنين بصحراء تلمسان ، وصاهرهم واصبح منهم فانهم اختلفوا في شخصية القاسم ، فذكر بعضهم أنه من بني سليمان بن عبد الله الكامل ، أما الآخرون فقالوا ان القاسم هو ابن محمد بن عبد الله بن ادريس ، وهكذا لم يعرف هؤلاء النسابون الذين اتفقوا على شرف بني زيان ، ما اذا كان ملوك تلمسان ينتمون لعبد الله الكامل بادريس أو بأخيه سليمان ولم يمنع التنسي عدم التيقن من صحة اتصال نسب عبد الواد بالقاسم أو بادريس من اسناد النسب الشريف الى من غمره

[1] - خالد كبير علال ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة ، ط : 2 ، 2005 ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ص : 100 .

[2] - وهناك من وقع من المفكرين المعاصرين في هذا الخطأ أمثال الاستاذ محمد عمارة اذ نسبهم بدوره الى آل البيت فقال : ينتسب خلفائهم إلى آل بيت الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فهم شيعة ، علويون في نسبهم ، إسماعليون في مذهبهم . محمد عمارة ، الوسيط في المذاهب والمصطلحات االإسلامية ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع / 2000م ، ص 314 .

[3] - أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 45 .

[4]- المصدر نفسه ، ص : 45 .

بنعمه ،الجالس على عرش تلمسان " [1] ولم ينفرد التنسي و يحي ابن خلدون باثبات شرف بني زيان بل أقر بذلك من هو أكثر منهما شهرة وهو المؤرخ لسان الدين بن الخطيب فقد أورد صحة ادعاء بني عبد الواد في في انتسابهم إلى النبي في سينيته المشهورة في مدح السلطان أبي حمو الثاني ومطلعها :

أطلعن في سدف الفروع شموسا	ضحك الظلام لها وكان عبوسا

وقد أشار الى شرف ملوك بني زيان في الأبيات التالية ، قال مخاطبا أبا حمو :

من أنكر الفضــل الذي أوتــيــته	جحد العيان وأنكر المحسوســا
من دان بلاخلاص فــيك فعــقده	لايقــبل التــمويه والتــلبيســا
والمنتمي العلوي عيصك لم تكــن	لترى دخيلا في بــنيه دســيسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذي	تحمى الملائكة دوحه المغروسا[2]

هؤلاء الذين قالوا بصحة النسب الشريف لملوك الدولة الزيانية على خلاف الكثير من المؤرخين الذين صنفوا كتبا لتمجيد دولا وأمراء فلم يجزم بصحة النسب الشريف في عهدهم وشككو فيه من بينهم اسماعيل بن الأحمر صاحب كتاب روضة النسرين الذي ألف مصنفه هذا توددا وتقربا لملوك فاس إلا أنه لم يفعل كما فعل التنسي في رفع نسب سلطانه إلى آل البيت فقد قال عنهم أي ملوك فاس المرنيين : " هم فخذ من زناتة ، من اشرافهم ، وقد قيل انهم شرفاء "ورواية أخرى ذكرها دون أن يحاول رفع نسبهم الى آل البيت قال " وجماعة من المؤرخين قالوا انهم من زناتة ، وزناتة كلها عرب الأصل من مضر ، يجتمع نسبهم بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مضر "[3] وقد ذكر أيضا المقري في كتابه نفح الطيب قصة تنكر إنكارا صريحا إدعاء النسب

---

[1] - - المصدر نفسه ، ص : 64 .

[2] - وقد مهد المقري لهذه القصيدة : " ومن بديع نشر لسلن الدين رحمه الله تعالى ، ما كتبه لسلطان تلمسان اثر قصيدة سينية حازت قصب السبق ، ولنثبت الكل هنا فنقول : قال الإمام الحافظ عبد الله التنسي نزيل تلمسان رحمه الله تعالى عندما جرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يغمراسن بن زيان رحمه الله تعالى، ما صورته : وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب كثيرا ما يوجه اليه بالامداح ، ومن أحسن ما وجه له قصيدة قائمة ، وذلك عندما أحس بتغير سلطانه عليه، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه لتمهد له مثواه ، وتحصل له المستقر ، اذا الجأه المر الى المفر ، فلم تساعده الايام كما شأنها في أكثر الاعلام " وفد أشار الاستاذ محمود بوعياد الى هذه الفقرة لان كاتبها هو التنسي ، ومن الراجح أنها من كتابه " راح الأرواح " السابق الذكر . - أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، عن المقري " نفح الطيب " ، ج : 6 ، ص : 195 – 198 ، " أزهار الرياض " ج : 1 ، ص : 253 – 254 .

[3] - محمد ابن صعد الأنصاري ، روضة النسرين ، ص : 8 – 9 .

الشريف من طرف جده فقد كان نقيب الأشراف بفاس ناقما ساخطا على المقري الجد لما حباه به السلطان أبو عنان من اهتمام حيث ولاه القضاء اضافة الى رفضه القيام له بالرغم من أن كل من في المجلس بما فيهم السلطان أبي عنان كان يقوم له فسئله يوما وهو ساخط وحانقا عليه عن السبب الذي يمنعه من ذلك قائلا : " أيها الفقيه ما لك لاتقوم كما يفعل السلطان نصره الله ، وأهل مجلسه ، اكراما لجدي وشرفي ؟ ومن أنت حتى لاتقوم لي ؟ فنظر اليه المقري وقال له : " أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولايرتاب أحد ، وأما شرفك فمظنون ، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ، ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا وأشار الى السلطان أبي عنان ، وأجلسناك مجلسه ، فسكت "[1] وهذه القصة توضح لنا أن المرينيين لم يدعوا النسب الشريف على خلاف موقف أبناء عمومتهم بني عبد الواد، وان قال قائل انهم لم يدعوه هم أنفسهم وقد قال يغمراسن لما رفع نسبه الى ادريس : " ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله و أما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا "[2] وهذ دليل على أن يغمراسن لم يرض بأنّ هذا الأمر هو الذي أوصله الى السلطة مؤكدا أن ملكه أسس بالقوة وحد السيف ونيل الدنيا أي السلطة بحد السيف يبين أن المسلمين لم يحلوا مشكلة السلطة حلا رسميا وانما هو السيف والأخ يزهق روح أخيه على الكرسي وقد ذكر يحي ابن خلدون ظروف هذا الرفض ، فقال : " ان يغمراسن سئل منه القول بالشرف واثبات نسبه اليه فقال : " ان كان المراد شرف الدنيا فهوا مانحن فيه ، وان كان القصد شرف الآخرة فهو عند الله سبحانه "[3] كما أنكر عبد الرحمان بن خلدون ادعاء بني القاسم ، وذلك قبل أن يصنف التنسي كتابه لبيان شرف بني زيان ، بأكثر من قرن فبعد أن استعرض صاحب كتاب " العبر " مختلف بطون قبيلة بني عبد الواد ، تحدث عن بني القاسم وقال : " ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن ادريس وربما قالوا في هذا القاسم انه ابن محمد بن ادريس او ابن محمد ابن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب ادريس

---

[1] - المقري ، نفح الطيب ج : ص : 281 .
[2] - عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، ج : 7 ، ص : 72 .
[3] - يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج : 1 ، ص : 11 .

زعما لامستند له الا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه "[1] وبالرغم من اطلاع كل من يحي بن خلدون وأبي عبد الله التنسي على هذه المعلومات إلا أنهما تغافلا عنها وأصرّا على موقفهما من ربط ملوك بني زيان بآل البيت ولم تمكّن كل الحجج والاراء التي ساقها التنسي في كتابه من إقناع القارئ بها كما أننا لانستطيع أن نؤيد أي راي لأننا نجهل الظروف الحقيقية التي كتب فيها مصنفه هذا "فإذا كانت الدولة قد أرادت لأسباب سياسية واضحة أن تدعم مركزها في البلد باسناد نسبها الى نسب ادريس وجده علي بن أبي طالب فما كان في امكان التنسي أن يتجاهل هذا الاتجاه الرسمي ، وبالأحرى أن يخالفه في كتاب تاريخي صنفه تقربا لدولة وجزاء للسلطان الزياني على ما أولاه من معروف"[2]

ويعتبر هذا القسم الوحيد الذي يضم الجانب التاريخي دون الأقسام الباقية وبالأخص البابين السادس والسابع فقد اعتمد التنسي خلال معالجته للمادة التارخية الاختصار، فقد تجنب الإطالة والغوص في التفاصيل حتى يتجنب الملل، وقد ركز على ذكر أهم الأحداث في رأيه نذكر على سبيل المثال تاريخ الأدارسة فقد " جاء على شكل مختصرات خالية من التكرار والشرح ، مكتظا بالحوادث واعلام الأشخاص والأمكنة ، مملؤة بالإشارات العابرة ، التي لايمكن تفهمها الا لمن كان مطلعا على تلك الفترة ، متضلعا في التاريخ وملما بأخبار الدول السالفة "[3] فقد ركز التنسي على ذكر أمراء هذه الدولة ومدة امارتهم ، مضيفا الى ذلك ذكر بعض الأحداث الهامة ، من دون تفاصيل أما الباب السابع فيمكن أن نعتبره لب الكتاب لما تضمنه من تثبت وتأريخ أخبار الدولة الزيانية ، إذ يعتبر المصدر العربي الوحيد لتاريخ دولة بني زيان للمزية التي احتواها وهي حفظ فترة تارخية تزيد على سبعين سنة أي بداء من التاريخ الذي انتهت فيه أخبار السفر الثاني من " زهر البستان " وذلك سنة 764 هـ / 1363م ، وتاريخ توقف يحي بن خلدون عن تدوين " بغية الرواد " في سنة 777 هـ / 1376م ، وانتهاء أخبار

---

[1] - عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، ج : 7 ، ص : 72 .

[2] - أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 69 .

[3] - أبو عبد الله التنسي ، تاريخ دولة الأدارسة "من كتاب نظم الدر والعقيان " تح : عبد الحميد حاجيات ، ص : 27 .28

كتاب " العبر " عن الدولة وذلك حوالي سنة 796 هـ / 1393م الى أن يختم التنسي أخباره سنة 868هـ / 1464م وقد كانت مختصرة إذ ذكر المؤلف أهم مراحل تاريخ الدولة الزيانية وأبرز الشخصيات التي لعبت دورا في حياة الدولة ومزية أخرى تمثلت في ذكر آثارا لحكام فلولا التنسي لكانت في غياب المجهول كما انفرد بذكر بعض الأدب المنظوم فمن بين القصائد التي ذكرها القصيدة التي قالها شاعر مجهول في مدح يغمراسن بن زيان وذلك بعد انتصاره على الخليفة الموحدي السعيد.

مطلعها :

بشرى بعاجل فتح أوجب العرسا وأسفر الدهر عنه بعدما عبسا[1]

وإذا استثنينا هذا المصدر فإنه يتعسر على أي باحث الغوص في أخبار الدولة إلا ما كان منمعلومات متفرقة في مصادر وبعض كتب الرحالة مثل كتاب "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم " ومعلومات منثورة في كتب بعض المؤرخين كالمقري في " نفح الطيب " وأزهار الرياض" وبعض كتب التراجم مثل كتاب "نيل الابتهاج " لاحمد بابا التنبكتي وكتاب " البستان " لابن مريم وتبقى مااحتوته هذه الكتب من معلومات مجرد اشارات لاتستوفي غرض الباحث لقلة المعلومات والأخبار الخاصة بهذه الدولة ، وتظهر أهمية نظم الدر والعقيان عندما يريد أي باحث دراسة الفترة التارخية التي تلي سنة 868 هـ /1464م وهي الحقبة التي انقطعت فيها أخبار التنسي ، فلا يوجد مرجع واحد يظم كلاما متسلسلا عن تاريخ بني زيان وترتيب أمرائهم بعد محمد المتوكل ، وخاصة الأحداث الخطيرة المتمثلة في التدخل الاسباني في الشؤون الداخلية ،لدولة الزيانية، واحتلالهم بعض أطراف سواحلها أما باقي الأقسام فقد خصصها المؤلف لذكر خصال الملوك، وسيرتهم والسياسة التي اتبعوها في تسيير مملكاتهم، وما يستظرف من ملح ونوادر في المجالس العلمية والأدبية ، ونصوص أدبية مشهورة، ومواعظ، وحكم ترمي الى تزويد الملك ورجال البلاط بما يحسن معرفته من الآداب السلطانية والأخلاقية والبلاغية التي تهدف الى تثقيف الملك ومن حوله من رجال الدولة والوجهاء وغيرهم واطلاعهم على القيم النبيلة والسيرة الرشيدة

[1] ـ أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد : ص : من 53 ـ 58 .

وجميل الأعمال والأقوال[1] فالتنسي من خلال هذا الكتاب يرسم العلاقة في ذلك العصر بين العالم والسلطان ، العلم والحكم ، فالسلطان يريد عالما يخدمه ويثبت أقدامه في الحكم ، والعالم بالرغم من ضغط الحاكم لم يتخل عن وظيفته الترشيدية ولو بطريقة غير مباشرة ، فمن يقرأ الحكم والأحاديث والقصص التي ساقها التنسي يدرك أنه لم يكن يهدف فقط الى ادخال المسرة على السلطان وتثبيت حكمه وانما كان يرمي الى صياغة منهج لسياسة السلطان ولا أدل على ذلك من بدءه بعض أقسامه بعبارة " اعلم أن " ثم يتبعها بحكم كثيرة منتقاة بدقة فائقة ومواعظ ترشد الى العدل والحق والخير والمساواة ، فمن تبعها وعمل بها اهتدى ورشد ومن تبع هواه وحاشية السوء ظل وفسد.

4 - خصائص تأليفه :

أ – الإطناب[2] : ويتمثل في نقل النصوص المتعددة الأغرض التي قرأها في الكتب القديمة أو التي سمعها من رجال العلم والأدب ، لهذا قلما نجد شخصية التنسي وسط هذا الكم الهائل من النصوص المنقولة أو المسموعة وهو يبدي براعته في النقل، ومن هنا أطلق عليه لقب الحافظ فهو لايميل إلى التحليل والتركيب والمحاججة وانما تغلب عليه ثقافة النقل ، والنقل عند التنسي ليس حرفيا وانما يتصرف فيه حسب المقام فتارة ينقل الرواية مطعمة بأسلوبه كما فعل في قصة حفرة بئر زمزم [3]، إذ لخصها عن السيرة النبوية لابن هشام حيث تصرف التنسي في هذه القصة إذ اكتفى بتلخيصها وقد ذكر أسماء زمزم وهي " طيبة " و " المظنونة " وأخيرا سماه بالاسم المشهور وهو

---

[1] - أبو عبد الله التنسي ، تاريخ دولة الأدارسة "من كتاب نظم الدر والعقيان " تح : عبد الحميد حاجيات ، ص : 26 .

[2] - الإطناب : البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو دما . وأطنب في الكلام : بالغ فيه . والإطناب : المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه والمطنب : المداح لكل أحد . ابن منضور ، لسان العرب ، تح : عامر أحمد حيدر دار الكتب العلمية بيروت ، ط / 1 ، 2003 / 1424 هـ ، ص : 654 .

[2] – قيل لزمزم طيبة لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وقيل لها برة لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار وقيل لها المظنونة لأنها ظن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق ، السيرة النبوية تحقيق ، مصطفى السقى ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، الجزء : 1 ، ص : 151 .

زمزم ، وقد حذف التنسي في هذه الرواية " برة " و " قرية النمل[1] التي عندها الغراب الأعصم[2] " أما باقي الرواية فيلاحظ فيها أسلوب التنسي ما يدل على اعتماده على ذاكرته في الكتابة .

وأنموذج آخر يتمثل في ذكر نذر عبد المطلب ، وذبح ولده إلا أنه هنا ، قد عمد الى الاختصار والتلخيص في سرد هذه القصة التي أخذها من كتاب السيرة لابن اسحاق التي وردت فيه هذه القصة مفصلة [3] وقد لخصها التنسي في فقرة[4] أتم فيها المعنى وأوجز فيها اللفظ كعادته متجنبا الإطالة في النصوص لئلا يبعث الملل في نفس القارئ وهذا لايعني أنه لايطنب وإنما الاطناب الذي أقصد هو أنه لايقف عند إيراد قصة واحدة في الموضوع الواحد فقط بل يورد كل ماتجود عليه حافظته ، فلايترك من مخزونه شيئا فيسقط في الاطناب ، والسمة الثانية أنه كان ينسخ النص كما هو دون تغيير كالرسالة التي بعث بها عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري يسأله عن صفة الإمام العادل وقد أدرجها صاحب العقد الفريد [5] في كتابه فهي نفسها التي أوردها التنسي دون تغيير[6] فهي متطابقة مع ما أورده التنسي وأنموذج آخرمتطابق في المعنى واللفظ وهو وصية علي بن أبي طالب لكميل النخعي وكعادته حذف المؤلف سند الرواية إذ و هو في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه كاملا.[7] كما أن هناك روايات أخرى كثيرة بثها التنسي في كتابه تنوعت بين الاختصار والايجاز والنقل المتطابق في الفظ والمعنى .

إن التنسي لم يذكر في كتابه كل مصادر نصوصه التي أوردها ولعله كان يعتمد على الحفظ والنقل ولذلك ترددت كلمة " روي " في افتتاح معظم نصوصه ، فلم يذكر

---

[1] – إن زمزم هي عين مكة التي يزورها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك وهي لاتحرث ولا تزرع وقرية النمل كذلك لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، السيرة النبوية لابن هشام ، ج : 1 ، ص : 151 .

[2] – فيه إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة " السيرة النبوية لابن هشام ،ج : 1 ، ص : 151 .

[3] - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج : 1 ص : 160.

[4] - ابوعبد الله التنسي ، مخ ، نظم الدر والعقيان ، ورقة 13 ، ظ .

[5] - احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر ، بيروت ج : 1 ص : 44

[6] - ابو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة : 122 ، ظ .

[7] - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 2 ، ص : 74 .

صاحب الكتاب ولا الكتاب لكنه كان أمينا فلم ينسب أي مقولة ليست له لنفسه ،إنما كان إذا أراد أن ينشئ فقرة من كلامه يفتتحها بكلمة " قلت " إذ يذكر تعليقا له بعدما ذكر وصية أبي طالب لقومه ولابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم " قلت وصيته هذه تقوية ما قدمنا لمن إيمانه بقلبه إذ صرح به هنا " [1] وعبارة أخرى كانت في افتتاحية نصوصه الخاصة به وهي " فنقول " وتواجدت هذه العبارة تقريبا بعد سرد كل عنوان إذ يأتي بعدها بتعريف أو وصف ما يريد التحدث عنه ، أما التعابير التي تدل على انتهاء النصوص فلم ترد إلا نادرا ، ومن خلال العبارات التي استعملها التنسي لبداية جل نصوصه وهي مبنية للمجهول تعسر التوصل إلى معرفة المصادر التي استقى منها وما هي النصوص التي نقلها واعتمدها في تصنيفه لنظم الدر والعقيان ولعل التنسي معذور في ذلك إذ كان ينقل كل ما علق بذاكرته من نصوص مؤلفات قد نسي عناوينها وأسماء مؤلفيها ، وإلا لما اشتهر بلقب الحافظ ، فكثرة حفظه الذي طغى على شخصيته وظهر جليا في مؤلفه ألزمه أن يفرغ حمولة حافظته المملوءة بشتى التعابير المختلفة المشارب العلمية والأدبية كما أن محتوى نظم الدر والعقيان والهدف الذي صنف لأجله تطلب من مؤلفه أن يكون ناقلا أكثر منه مبدعا ، ومهما يكن من أمر فإن كثرة الروايات والقصص والنصوص قد طغت على شخصية التنسي و صيرته مصنفا أكثر منه مؤلفا ، ومقلدا أكثر منه مفكرا ، ولعل هذه الظاهرة موجودة في الثقافة العربية بكثرة ، حتى اتهمت بأنها ثقافة وليست ثقافة تحليل وأن العقل الإسلامي تابع مقيد بنصوص غيلا مبدع ، ولكن هذا الإتهام مدود لأن هذا العقل قد أبدع وأنتج حضارة اثرت في الحضارة الغربية في الطب والقانون والجبر وغيرها من العلوم .

ب – عدم التحري : لم يكن التنسي يتحرى كثيرا في إيراد النصوص ، وقد ظهر هذا في القسم الأول بالباب الخامس الخاص بالحسن والحسين رضي الله عنهما فقد ذكر روايات عديدة من بينها رواية العابد النصراني الذي كتب على ديره اسم علي ولما سئل عن ذلك ذكر بأنه قبل إسلامه كان مترهبا في ذلك المكان فخرج عليه طائر من

[1] ـ ابو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة 17 ، و .

البحر كالجمل البختي ، فلما سقط على الأرض ألقى من منقاره رأس إنسان ثم يديه ثم رجليه ثم جسده فاستوى رجلا قائما ، فعاد إليه وابتلعه وعاد إلى البحر فعل ذلك ثلاثة أيام فسأله العابد في اليوم الثالث من أنت ؟ قال أنا ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب ، وكل هذا يفعل في كما ترى الى يوم القيامة ، فقلت ومن علي الذي قتلت قال ابن عم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فأسلمت حينئذ وكتبت اسم علي على الجدار إذ خشيت نسيانه " [1] فهذه القصة يتضح فيها الوضع وتفوح منها رائحة الشيعة ، وهي أبعد من أن يصدقها عقل سليم والعجيب أن التنسي لم يؤكد مصدرها إذ بدأها بفعل مجهول " روي" . كما ذكر عن ابن العباس رضي الله عنه قال : أصبح الحسن والحسين يوما جائعين ، فقامت فاطمة رضي الله عنها إلى القمح ، وأخذت الرحى لتطحن ما يأكلان فاشتكت يداها ، فنامت فأمر الله ملكا فأدار الرحى ، فانتبهت فاطمة والرحى تدور ولا ترى مديرا وقد طحن القمح كله فقالت : " لوجه ربي الحمد واصلحت لولديها مايأكلانه "[2] واضح أن هذه الخارقة تحتاج إلى مصدر موثوق من السنة المحققة وإلا فهي كسابقتها مرفوضة عقليا والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا لم يكن المؤلف يمحص هذه الروايات وهو سني مالكي كما قال الونشريسي ومبالغات الشيعة واضحة فيها ؟ ما الهدف الذي يقصده من وراء ايراد هذه القصص العجيبة الغريبة ؟ فلعله كان يتغاضى شيعيتها لأنها تتعلق بآل البيت ، وكان همه هو ربط السلطان بالنسب الشريف .

كما ذكر قصة أم سلمة والتربة التي أودعها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها وأخبرها أنها ستحمر وتصير دما عندما يقتل الحسين [3]

كما أورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توضأ بعوسجة فزاد نموها وكثر ثمرها حتى توفي ، فنقص عطاؤها ، وبموت كل شخص من أهل البيت كانت تذبل حتى انفجرت يوما بالدم وأمطرت أوراقها دما أيضا بمقتل الحسين[4] كما روى أن بعض

---

1 - أبو عبد الله التنسي مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة : 23 ظ
2 - أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ورقة : 25 و
3- أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة 30 و
4 ـ أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة 30 و

النساء قد سمعن نواح الجن يوم مقتل الحسين وأن الشمس كسفت بمقتل الحسين حتى أظهرت الكواكب وأمطرت السماء دما وما رفع حجر في تلك الليلة إلا وجد تحته دم وما جعل أحد في جسمه طيبا الا احترق ذلك الموضع "[1] فالمتأمل في هذه الروايات يدرك أنها بعيدة عن العقل ، فلم يكذب التنسي هذه الروايات التي بثها في كتابه وإنما أوردها وكأنها حقائق تارخية فلم يعرضها على علم التجريح والتعديل وهو الفقيه وشيخ الأشياخ ومفتي الدولة ! ، بل كان في الغالب يعتمد على الروايات التي تخدم غرضه و التي لم ترد في كتب ثقات المؤرخين وهذا الخطأ وقع فيه قبله ابن عبد الحكم حيث ذكر عددا كبيرا من الأساطير قبل الإسلام التي نقلها عن مصادر في كتابه مكتوبة أو عن رواة دون تمحيص أو نقد [2] .

وهذه ليست ظاهرة في كتابات الأقدمين إذ نجد الطبري مثلا يشير في بعض الروايات التي لايقبلها العقل حيث قال : " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتي من قبل بعض ناقليه وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا ".[3]

ومن الواضح أن التنسي لم يستفد من منهج ابن خلدون في الأخذ بالرواية وتمحيص الأخبار و ذلك عندما كان ابن خلدون يجمع في القسم الخاص بأخبار العرب كل ما يتعلق بأصل الخليقة وأنساب الأمم المختلفة ، واعتمد في ذلك على ما كتبه المؤرخ اليوناني " هيرودت " وعلى ما ورد في كتب العهد القديم ، من روايات دينية وأساطير تارخية ، قد لا تكون معظمها صحيحة ، لكنه أبدى شكه في معظم تلك الروايات ، ذلك أن ابن خلدون قد انتقد في مقدمته ذلك المنهج التاريخي الذي كان سائدا من قبل ،

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة 30 ، ظ

[2] ـ حسان حلاق ، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق دار النهظة العربية للطباعة والنشر ، 1986م ، بيروت ، ص : 281

[3] ـ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط / 1 ، 1422 هـ /2001 م مج : 1 ص : 13 .

والذي لايمكن الإطمئنان عليه لعدم اعتماده على الروايات الموثقة ، المنسجمة مع المنهج العلمي.[1]

يذكر ابن خلدون أنّ " الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الإجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثر ، و زلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، والكثير ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل ، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ".[2] وهذا ما وقع فيه التنسي فالكثير من رواياته لم تتعرض لقانون المطابقة والواقعية والموضوعية ومنهج ابن خلدون في هذا المجال جدير بالاهتمام والتقدير ، لأن العقل البشري لايمكن أن يعيش في ظل الإيمان بمسلمات تدخل ضمن الأسطورة والخرافة ، معتمدا في ذلك على روايات تاريخية لا يسلم بعضها من الخطأ والتسرع في الرواية ، مما يلغي دور العقل في نقد الرواية ودراسة احتمالات وجودها[3].

فهذه الروايات تبعث الإستغراب في نفس القارئ ، وما يزيد الأمر تعقيدا وغموضا أن التنسي حجب عنا جل الرواة ، فمصدر الرواية وإسنادها في معظم الأحيان مجهول فالاسناد يوصل الباحث و القارئ إلى الرواة الذين نقلوا الخبر ويعرفنا بأحوالهم ومراتبهم من حيث عدالتهم وضبطهم في روايتهم للأخبار ، كم تكمن أهمية الأسانيد في توثيق المادة التارخية فتهميشها أو إهمالها يحرم الباحثين من إمكانية تحقيق الرواية باستخدام الأسانيد كما أن غيابها من الأخبار التارخية يؤدي إلى اختلاط كلام الرواة بكلام المؤلفين ، حيث يتعسر التفريق بينهما مما يسهل على المؤلف غير الأمين عملية التزوير[4] .

---

[1] - محمد فاروق النبهان ، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط : 1 / 1998م ص : 91 .

[-1] عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، ، ص : 13 .

[3] - محمد فاروق النبهان ، الفكر الخلدوني ، ص ، ص :111 ، 112 .

[4] - خالد كبير علال ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة ، ص : 15

إن التنسي كان يجمع ويروي جميع ما اطلع عليه ،وما حفظه من نصوص وروايات متعلقة بالموضوع الذي يبحث فيه وغالبا لايتعرض لتمحيص وغربلة الروايات بل يسردها فهو يتحدث عن آل البيت الذي ينسب المتوكل إليهم ويبرز جزاء كل من يمسهم بسوء من عاقبة سيئة ولا غرابة في ذلك فقد كانت له وجهة اتفقت مع رأي ابن خلدون وهي" أن الغاية من النسب هي ثمرته ، وليست حقيقته " [1]

ج – **الأمانة العلمية :** لم يكن التنسي حريصا على ذكر مصادر نصوصه وأخباره ، فقد كان همه الخبر لا المصدر ، لأن العبرة عنده بما يحققه الخبر ، وهذا ما يوقع القارئ في حيرة ، فلا يستطيع أن يتحقق من النصوص إلا بمشقة فهو لايحيل إلى منابع نصوصه التي نقل منها بالرغم من أن مصادر كتابه تزيد على عشرين مصدرا كما أنه لايفصل بين الروايات ولأخبار ، فكثيرا ما يورد خبرا أو قصة ثم يتبعها بأخرى دون الإشارة إلى قائلها أو عرضها على منطق العقل أو قواعد الجرح والتعديل وهذا لايعني أن كل ماجاء في مصنفه مجهول المصدر وإنما حاولت أن أقف على بعض المصادر التي استقى منها مقارنة إياها بما جاء في تلك المصادر كبغية الرواد والسيرة النبوية لابن اسحاق ، والعقد الفريد و المستطرف للإبشيهي.

4 – مصادر التنسي :

لقد اعتمد أبو عبد الله التنسي في تصنيفه لهذا الكتاب ، مجموعة من المصادر منها المصرح بها وغير المصرح بها وعند قرأءتي للمخطوط الذي يزيد عن خمسمئة صفحة اتضح فيه ما يزيد عن ثلاثة وعشرين مصدرا كان قد أشاراليها في أماكن متفرقة ناهيك عن مصادر أخرى لم يشر إليها مثل كتاب العبر لابن خلدون وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه وكتاب المستطرف من كل فن مستظرف للإبشيهي مع وجود روايات وعناوين متشابهة ، وللموازنة اعتمدت نماذج من المصادر المذكورة المصرح بها والمصادر غيرالمصرح بها :

[1] - محمد فاروق النبهان ، الفكر الخلدوني ، ص : 159

المصادر المصرح بها :

1 ــ كتاب السيرة النبوية لابن هشام : وقد اعتمد المؤلف على هذا المصدر عندما أراد ربط السلطان المتوكل بنسب علي حيث رفعه الى عدنان[1] ، ثم ذكر نسب عدنان كما أخذ عنه حلف الفضول وحضور النبي صلى الله عليه وسلم له [2] في الباب الثالث من القسم الأول ، وأخذ عنه قصة حفر زمزم وذكر الخلاف الذي وقع فيه[3] ونذر عبد المطلب واحتكامهم للكاهنة [4] كما أخذ عنه قصة الراهب بحيرى [5] التي أوردها في الباب الرابع أخذ عنه قصة أدرجها في الباب السادس من القسم الثالث الذي خصصه لأخبار الكهانة ومفادها أنّ مللك اليمن ربيعة بن نصر رأى في منامه رؤيا استدعى فيها كل من شق وسطيح الكاهنين واستشارتهما [6] كما سيذكر في التلخيص.

واضح أن التنسي كان ينتقي الأخبار و لم يصنفها كما هي في مصدرها الأساسي وإنما كان يسعى في استخلاصه الأفكار إلى توجيهها نحو الهدف الذي كان يرمي إليه ، والمتمثل في إبراز علو كل درة من درره المتسلسلة الى أن يصل تدرجه الى ملوك الدولة الزيانية .

2- كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ليحيى بن خلدون : وهذا مصدر من المصاد التي أخذا منها، فقد سار التنسي على خطى سابقه بالحمد والثناء على الله تعالى وإبراز عظمته وإظهار نعمه ، ثم أتبع ذلك مدح السلطان ، فأظهر خلقه وأبان نسبه وشرفه ثم ذكر سبب التأليف والخطة التي سيسير عليها ،وهذا ما فعله يحيى بن خلدون فالتشابه واضح بين المصنفين شكلا ، وإن كانت هذه الطريقة عامة عند المؤلفين القدمى ، إلا أن المحتوى يكشف التأثر بوضوح ،فكلاهما كان يرمي إلى اظهار شرف القبيلة ومكانتها بين القبائل ، غير أن يحيى بن خلدون كان أكثر غوصا من التنسي في وصف القبيلة، و المكان الذي استقرت فيه ، ومن تواتر عليها من

---

[1] ــ السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق ، مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، دون سنة الطبع ، بيروت لبنان ، ج : 1 ، ص : 8 .

[2] ــ المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 140 - 142 .

[3] ــ المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 150 - 155 .

[4] ــ المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 160 - 164 .

[5] ــ المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 191 - 193 .

[6] ــ المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 15 - 19 .

علماء وصالحين[1] بينما كان التنسي يمر مرور الكرام على هذا الجانب ، فلم يوله أهمية كما أن صاحب بغية الرواد كان يركز في التعريف على جنس القبيلة، وذكر شعب بني عبد الواد وبطونهم وانتهاء الملك إليهم [2]، أما صاحب نظم الدر والعقيان فكانت له إشارات فقط دون تعمق في الموضوع ، فما خصصه لذلك لا يكاد يتجاوز ورقتين ما بين الباب الأول والباب السابع، كما أن صاحب كتاب البغية كان يدور في فلك جنس المنطقة فكان تدرجه في الأحداث متسلسلا وواسعا ، أما التنسي بما أنه ربط المتوكل بآل البيت وبالرسول الأكرم وبما أن النبي عليه الصلاة والسلام عربي كان لابد أن يعود إلى الأصول العربية ، إذ تعتبر درته الأولى فقد أبرز فضلهم وخلقهم ،ثم نراه تدرج إلى الدرة الموالية وهي قريش ، واستمر هكذا إلى أن وصل إلى الأدارسة حيث جعل ملوك بني عبد الواد منهم ، وكأن هذا التدرج منطقي ومتسلسل حسب التنسي.

وقد عضّد رأيه هذا بما ذهب إليه يحيى بن خلدون في هذه القضية [3]على عكس ما ذهب إليه عبد الرحمان بن خلدون ، فآراؤه أكثر مصداقية منهما لأن كتاباته كانت بعيدة عن الضغوطات السياسية والتملق للبلاط ، ومن هنا فإن كتابيهما عدّا من التواريخ المحلية والسلطانية التي انتشرت في أواخر العهد الوسيط خصوصا ويفسر المستشرق جب هذه الظاهرة بانقسام العالم الإسلامي بين المشرق والمغرب وقيام كثير من الدول التي تسعى الى الحفاظ على كيانها وتحذر من محاولات التوسع التي تأتي من الدول المجاورة[4].

أما القسمان الأخيران فقد خصصهما لذكر ملوك بني عبد الواد بتوسع وشرح وإبراز أعمالهم ومن ولاهم وحروبهم ونكساتهم،[5] بينما نجد التنسي قد خصص بابا واحدا

---

[1] - أبو زكريا يحي ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، ج :1 ، ص : من 84 - 132 .

[2] يرى الأستاذ عبد الحميد حاجيات أن طريقة يحي ابن خلدون في تأليفه قداستوحاها من منهج بعض المؤرخين المغاربة مثل عبد الواحد المراكشي ولسان الدين ابن الخطيب الذين يستهلون مؤلفاتهم بمقدمة وافية يصفون فيها البلاد المراد دراستها تتضمن دراسة أوضاعها الجغرافية والإجتماعية و الفكرية وكذلك من ناحية تطورها السياسي قبل الفترة المعنية أبو زكريا يحي ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، ج :1 ، ص : 60 من 178 - 200

[3] ـ أبو زكرياء يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، ج : 1 ، ص :190 .

[4] ـ المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 74 .

[5] ـ نفسه ، ج : 1 ، ص : 203 .

تحدث فيه عن كيفية وصول الملك إليهم، وأولهم يغمراسن وصولا إلى المتوكل غير أنه كان أكثر تحفظا واختصارا للأحداث في حين نجد باقي الأقسام ليست لها أي صلة بالدولة الزيانية أو نظمها أو ملوكها .

أما فيما يتعلق بالأفكار والنقل، فقد كان التنسي يرجع إلى الكتب خصوصا في ذكر نسب السلطان المتوكل ، على أن هناك عبارات وفقرات أخذها دون إشارة إلى المصدر الذي أخذ منه ، وقد يثبت نقله بفقرتين : الأولى في وصف المنجانة وهو معذور في ذلك لعدم رؤيته لها بل رآها يحي ابن خلدون [1]، أما الثانية فهي متعلقة بظروف استيلاء بني عبد الواد على الحكم بتلمسان، ومثل هذه الأخبار لم يجدها إلا عند يحي ابن خلدون في عهد أبي حمو الثاني [2]، كما نبه الأستاذ محمود بوعياد أن المؤلف قد أضاف أحيانا الى ما أخذه عن بغية الرواد تفاصيل كثيرة في الفقرات التي ذكرها وكذلك في فقرات أخرى ،إلا أن التنسي لم يوافق كل ما ذكره يحيى ابن خلدون في كتابه من أحداث بل خالفه في كثير من المواقف، ومثال ذلك مخالفته لخبر موت السلطان أبي زيان الواقع حسب رواية يحيى بن خلدون في أثناء الحصار الذي ضربه على تلمسان يوسف بن يعقوب المريني ابتداء من سنة 698هـ وقد عارض التنسي خبر صاحب بغية الرواد استنادا لرواية مؤلف كتاب " درر الغرر " لأن مؤلفه عاصر الحوادث التي ذكرأخبارها، وأكثر من ذلك أنه حضر حصار تلمسان الذي يتعلق به الخبر فقال " وما ذكرناه من أن السلطان أبا زيان مات أيام الحصار ، وأن موت يوسف بن يعقوب كان في أيام الملك أبي حمو هو نص صاحب " درر الغرر" وهو أقعد بالقضية إذ كان حاضرا في أثناء الحصار المذكور، وهو خلاف ما زعمه صاحب بغية الرواد من أن موت يوسف بن يعقوب كان أيام السلطان أبي زيان [3]

وهذه الموازنة بين الروايات وانتقاء الفكرة الأقرب إلى الصحة واختبارها قلّما نجدها عند المؤلفين القدامى وهي ميزة لا تتوافر إلا عند كبار المؤرخين ، ولكنها درة غير منتشرة في نظم الدر والعقيان .

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، تحقيق : محمود بوعياد ، ص : 46 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص : 47 .

3_ دررالغررلصاحبه المجهول : وهو من الكتب المفقودة وسبق أن ذكره التنسي عندما فضل روايته على رواية يحيى ابن خلدون بحكم معاصرته حدث حصار تلمسان 698 هـــ ويبدو تأليفه هذا كان في العقود الأولى من القرن الثامن، ولم يعثر للكتاب على أثر أوذكر في الكتب المغربية [1]

4_ زهر البستان في دولة بني زيان : وهو كتاب في ثلاثة أجزاء كتبه صاحبه في عهد أبي حمو موسى الثاني وقد دونت في السفر الثاني أخبار خمس سنوات من ملك هذا السلطان وذلك من سنة 760هـــ وهي سنة إحيائه ملك أبائه إلى764هـــ ويذكر في هذا الصدد الأستاذ محمود بوعياد أن التنسي هو الكاتب الوحيد الذي ذكر هذا المصنف ولم يذكر أنه استمد منه بل اكتفى بالإحالة إليه لمن يطلب المزيد من المعلومات عن أخبار حروب أبي حمو موسى[2] وهذا دليل على اطلاع التنسي على كتب التاريخ واهتمامه بأحداثه .

5_ الروض الأنف في شرح غريب المسير :لقد أشار الاستاذ عبد الحميد حاجيات إلى أن التنسي قد اعتمد فيها على هذا المصدر وقد ذكر في كتاب كشف الضنون عن اسامي الكتب والفنون أنه للشيخ الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفي سنة 581 هـــ قال فيه : انبعث في هذا الإملاء بعد الإستخارة الى ايضاح ما وقع في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سبق الى تـــاليفها أبو بكر محمد بن اسحاق ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري ، قال : وكان بدئ املائي هذا الكتاب في محرم سنة 569 هـــ وكان الفراغ منه في جمادى الأولى في ذلك العام ، تحصل فيه من فوائد العلوم والأداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه الباطن اللباب وصنعة الإعراب ما هو مستخرج من نيف على مئة وعشرين ديوانا أو نحوها

---

1 _ أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 48 .
2 _ أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : محمود بوعياد ، ص : 48
3 _ كشف الظنون ، مصطفى أفندي ابن عبد الله أفندي المعروف بالحاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1360 هـ / 1941 م ، ج1 ، ص 917 ، 918 .

غير أني لم أستطع العثور عليه وهو وحجته في ذلك هي عودة جل المؤرخين في ذلك العصر إلى هذا المصدر فيما يتعلق بصاحبه أبي زيد عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن أصبع السهيلي (م .سنة 581هـ) [1]

6_ كتاب الأمالي لأبي علي القالي[2] : هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي ولد بمنازجرد من ديار بكر 288هـ ، كان إماما في اللغة والأدب ولصيته فيها دعاه الخليفة عبد الرحمان الناصر[3] أشهر ملوك بني أمية بالأندلس لنشر ادابه وعلومه ، وتآليفه شهد لها بالتميز الكبير من العلماء. أما فيما يخص أخذ التنسي من الكتاب فكان محدود اجدا حيث كان ذكره مرة واحدة فقط ؟

7_ تاريخ بغداد للخطيب : يعد تاريخ بغداد من أهم وأكبر مؤلفات الخطيب البغدادي إذ يضم "7831 " ترجمة للمحدثين وأرباب العلوم الأخرى .

ورجالات المجتمع والدولة فهو تاريخ النخبة وهم أصحاب الكفاءات والمبرزون في المجتمع كما حافظ الكتاب على أسماء كتب قد فقدت [4]

أما المصادر غير المصرح بها :

8_ كتاب العبر يعد كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" أهم مصدر أرخ للقبائل والعمران ، والدول بطريقة كشفت عن عبقرية فذة إذ كان ابن خلدون متمكنا من مادته العلمية ، يتحرى

---

[1] ـ كشف الظنون ، مصطفى أفندي ابن عبد الله أفندي المعروف بالحاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1360 هـ / 1941 م ، ج1 ، ص 917 ، 918 .

[2] ـ تعود تسميته بالقالي إلى قرية من قرى مسقط رأسه : قلا ، بلد من أعمال إرمينية – قال القالي عن نفسه : "لما انحدرنا الى بغداد كنا في رفقة كان فيها أهل قلا وهي من قرية منازجرد وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر فلما دخلنا بغداد نسبت إليهم لكوني معهم وثبت ذلك علي " وكانو يسمونه البغدادي لطول مقامه فيها ووصولهم إليهم منها : المقري ، نفح الطيب : ج 2 ، ص :52 .

[3] ـ عبد الرحمان الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس من الأمويين يعرف بعبد الرحمان الثالث ، ولد 277 ه واعتلى عرش الأندلس سنة 300 ه وتوفي سنة 350 وهو أول من تلقب بألقاب الخلافة وتسمى ب " أمير المؤمنين وكانت يده بيضاء على العلم والعلماء فأنشأ في عهده الجوامع والمدارس وأشهرها مدرسة الطب وهي أول مدرسة أنشئت في أوربا بإجماع المؤرخين .ينظر ترجمته كل من : ابن عذاري المراكشي : بيان المغرب ، ج : 2 ، ص : 158 - 233 ، المقري ، نفح الطيب / ج : 1 ، ص : 353 -381 .علي الحسين الشطشاط ، تاريخ الإسلام في الأندلس ، دار قباء لطباعة والنشر ، 2001 م ، ص : 151 .

[4] ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت 1417 هـ / 1997 م ج : 1 ، ص : 22 .

الروايات ويمحصها ، لهذا كان ومازال مصدرا تارخيا لايستغنى عنه [1] وقد أشار الأستاذ عبد الحميد حاجيات إلى أنّ التنسي قد اعتمد " بالدرجة الأولى ، في معالجته لتاريخ الأدارسة على كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون ، فهو يستمد منه معظم الأخبار التي يسوقها ويحذو حذوه في معالجة الموضوع مع مزيد من التلخيص ، والاختصار.[2]

لقد كان التنسي يفضل رواية ابن خلدون عند اختلاف أقوال المؤرخين دون أن ينبه إلى ذلك الإختلاف ، وفي هذا إشارة إلى أهمية كتاب ابن خلدون وعلميته وتأثيره إذ كان أكثر المؤرخين تمحيصا للأخبار ، ومن الدلائل التي تشير إلى اتباع التنسي خطى ابن خلدون حتى في خطأه " فعندما اختلف أغلب المؤرخين في توجه إدريس بن إدريس إلى تلمسان بعد مجيئه إلى فاس واختطاطه لعدوتي الأندلس والقرويين فقد روى ابن أبي زرع أن إدريس الأصغر نهض إلى تلمسان في محرم 199 هـ وأنه مكث بها ثلاث سنوات ثم عاد الى فاس [3] ،بينما ذكر البكري أنه رجع من الحركة إلى تلمسان سنة 199ه [4] أما عبد الرحمان ابن خلدون فقد غاب عنه هذا التاريخ وكذلك اتبعه التنسي فلم يذكره ، ومن الدلائل كذلك التي تشير إلى أن التنسي قد أخذ عن ابن خلدون دون أن يصرح بذلك ،عدم ذكر ما اختص به أحمد بن إدريس في تقسيم إمارة بعد وفاة والده [5] ، وهذا ما فعله ابن خلدون حيث لم يذكر هذا الأخير ما أخذه أحمد من الإمارة على خلاف ما أتى به علي ابن أبي زرع الفاسي في كتابه " روض القرطاس" إذ ذكر عن ولاية محمد " لما ولي قسّم المغرب بين إخوته وذلك برأي جدته كنزة أم أبيه ، ولىّ أخاه القاسم مدينة طنجة وسبتة وقلعة حجر النسّر ومدينة تطوان وبلاد مصمودة وما والى ذلك من البلاد والقبائل ، وولّى أخاه داوود بلاد هوارة وبلاد تسول

---

[1] - محمد فاروق نبهان ، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة ، يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر بني عبد الواد ، تح : عبد الحميد حاجيات ، ج : 1

[2] - أبو عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تح : عبد الحميد حاجيات ، ص : 23 .

[3] - علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص : 60 – 61 .

[4] - البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد الله (ت:487ه/857م) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب .جزء من كتاب المسالك والممالك بغداد : مكتبة المثنى ، 1857م. ، ص : 123 .

[5] - خلف من الولد اثني عشر ذكرا ، أولهم محمد ، وعبد الله ، وعيسى ، وإدريس ، وأحمد ، وجعفر ، ويحيى ، والقاسم ، وعمر ، وعلي ، وداوود ، وحمزة . علي ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاسورقة : 61.

ومكناسة وجبال غياثة ، وولى أخاه عيسى على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما والى ذلك من القبائل ، وولى أخاه يحيى مدينة البصرة ومدينة أصيلة ومدينة العرائش إلى بلاد ورغة وولى أخاه عمر مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة وما والاها ، وولّى أخاه أحمد مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلة ، وولّى أخاه عبد الله مدينة أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس ، وولى أخاه حمزة مدينة تلمسان وأعمالها وأقام هو بمدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم "[1]

9_ العقد الفريد لابن عبد ربه[2]: إن المتصفح لهذا الكتاب وكتاب نظم الدر والعقيان يلمح تشابها كبيرا بينهما، ففي تقسيم الكتابين يلاحظ تشابها في العناوين فكتاب العقد الفريد قسم إلى أبواب وفصول على رأس كل مجموعة وضعت تسميات مختلفة منها اللؤلؤة في السلطان ، الفريدة في الحروب ، الزبرجدة في الأجواد ، الجمانة في الوفود ، الجوهرة في الأمثال ، الزمردة في المواعظ والزهد ، الدرة في التعازي والمراثي ، اليتيمة في النسب[3] وهذا ما نلاحظه عند التنسي في مصنفه إذ ذكر ابن عبد ربه في اللؤلؤة في السلطان : اختيار السلطان لأهل عمله ، حسن السياسة وإقامة الملك [4]وهذا ماتطرق إليه التنسي في القسم الثاني ، ويلاحظ الاختلاف في بعض الكلمات أما المعنى فواحد ، أما ما كان متشابها في المعنى والكلمات فوصية ابراويز لابنه شيرويه : " وليكن من تختاره لولايتك امرأ كان في ضعة فرفعته ، أو ذا شرف كان مهملا فاصطنعته ، ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولاا مرأ أطاعك بعد ما أذللته ،ولا أحدا يقع بقلبه أن إزالة سلطانك أحب إليه من ثبوته وإياك أن تستعمله ضريعا غمرا كثيرالعجاب بنفسه ، قليل تجربة في غيره ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من

---

[1] ـ علي ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص : 62 – 65 .

[2] ـ هو أحمد بن محمد بن عبد ربه حبيب بن حدير بن سالم القرطبي وكان جده الأعلى سالما مولى لأمير الأندلس هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان عبد الحكم الأموي كان مولده في العاشر من رمضان 236ه بقرطبة ، وقد كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس وقد ترك أثارا شعرية ونثرية ضاع أكثرها ولايعرف له إلا كتاب العقد وهو من الكتب الممتعة وديوان شعر مفقود قال الحميدي :"وقد رأيت منه نيفا وعشرين جزءا من جملة ما جمع للحكم " وأشار صاحب كشف الضنون إلى كتاب سماه " اللباب في معرفة العلم والأداب ولم يشر أحد من المؤرخين ومترجمي بن عبد ربه إليه من قريب ولا من بعيد . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 1 ، ص : 3 .

[3] ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 1 ، ص : 14 .

[4] ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 1 ، ص : 35 .

عقله كما أخذ السن من جسمه "[1] فهذه الفقرة منقولة نقلا حرفيا من العقد الفريد إلا أن التنسي غيب عنا أن هذه الفقرة مأخوذة من كتاب التاج كما جاء في العقد الفريد كما جاء في الكتاب فقرة محتواها متطابق تماما مع ما جاء به التنسي ، وهي الرسالة التي بعث بها عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري يسأله عن صفة الإمام العادل فالفارق الوحيد هو أن صاحب العقد الفريد ذكر أن الرسالة مبعوثة إلى الحسن بن الحسن البصري[2] أما التنسي فذكر أنها موجهة إلى الحسن البصري ونماذج أخرى في صفة الإمام والمشورة أما الحروب وما يتعلق بها التي شكلت عنصرا صغيرا في كتاب نظم الدر والعقيان ، فقد خصص لها صاحب العقد الفريد كتابا خاصا بها سماه " الفريدة في الحروب كان تفصيله وافيا تطرق إلى عناصر كثيرة منها الصبر في الحرب والمكيدة ووصف السلاح والمشاورة ،والتحفظ من العدو، و هذا العنصر الأخير تشابه كثيرا مع ما جاء به التنسي، أما بالنسبة للجود الذي شكل عنصرا متواضعا عند التنسي فقد خصص له أيضا كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد وفيما يخص الأمثال التي خصص لها التنسي قسما بكامله حيث جزأه إلى حكم نبوية وغير نبوية ومواعظ نبوية وغير نبوية فإن العقد الفريد خصص لها كتابين الأول الجوهرة في الأمثال والثاني الزمردة في المواعظ والزهد .

والملاحظ أن بعض فصول " العقد الفريد " الذي هو أوسع من نظم الدر والعقيان سيما لفصول المتعلقة بالشجاعة والعدل والجود والشورى والمواعظ النبوية ، أقل عمقا وسعة من أقسام الكتاب الذي أهدي للعاهل الزياني ، ويبدو أن الحافظ التنسي قد نقل الكثير من روايات العقد الفريد مع تغييرات يسيرة على الألفاظ والمعاني زائدا أو حاذفا أبياتا لابن عبد ربه أو بعض الجزئيات حسب استعداداته الأدبية ومقتضيات الحاجة ، وإن لم يلجأ أحيانا مباشرة إلى العقد الفريد ، فلا شك أنه نهل من مؤلفات مماثلة له ، ولربما من نفس مصادر ابن عبد ربه والكثير من الحجج التي قلما حول أسلوبها الأصلي القديم

---

[1] ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 1 ص : 39 .

[2] -- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 1 ، ص : 44 والموعظة التي ساقها ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد أطول من التي أوردها التنسي .

10- المستطرف من كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي : يلاحظ أن للمستطرف له مقدمة مماثلة لمقدمة التنسي أبوابا وفصولا مناسبة لفصول نظم الدر والعقيان وقد تمثلت فيما يلي : الذكاء الوصية الحسنة العدل الجود الحلم كتمان السير الشجاعة الأبطال [1]

وإضافة إلى ما تقدم فان المخطط الذي طبقه الأبشيهي على فصوله المختلفة كالذي سطره بوجه عام عبد الجليل التنسي وقد تطابق الكثير من الروايات والقصص بين المستطرف والعقد الفريد ولا غرابة في ذلك لأن أبشيهي صرّح في مقدمته من أنه أخذ من كتاب ابن عبد ربه .

5 ــ أسلوب التنسي :

لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال: " العلم مع التنسي ، والصلاح مع السنوسي الرئاسة مع ابن زكري"[2] هذه الجملة جاءت على لسان تلميذه الشيخ أحمد ابن داود الأندلسي ، وهي تبين قيمة التنسي العلمية في لؤلؤة المغرب الإسلامي تلمسان وهي فاتحة الحديث عن أسلوبه ، فهو عالم أطلق عليه لقب " الحافظ " لأنه خزانة متنقلة ، استوعبت القرآن والحديث والشعر والتاريخ والقصص وغيرها من مأثور العرب .

والحافظ غالبا ما تغلب عليه الرواية لا الإبداع لأن مخزونه يظل يلاحقه في كل جملة يخطها ، فهو ينثال عليه انثيالا، لأنه محتاج إليه فيما يقول ويفتي ، ولذلك كثرت عنده ، الأفعال من مثل " روي " بضم الراء وكسر الواو وروى فلان عن فلان ، سمعت ، حدثنا .... وأول ما يلفت النظر في أسلوب التنسي هو اعتماده الأسلوب المنمق بدءا من العنوان فهو يختار الكلمات المسجوعة " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ...." ولعل ما يؤيد هذا اختيار باب الجناس في البلاغة والإفاضة فيه بالأمثلة .

---

[1]- الإبشيهي شهاب الدين محمد بن أمد (790هـ– 1388م / 852هـ – المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق درويش الجويدي ، بيروت : مكتبة العصرية دار النموذجية ، ط1 : (1419هـ/1999م) ص ص : 13 ، 260 .

[2] ـ ابن مريم ، البستان ، ص : 237 - 248 .

ويبدو أن التنسي كان يتعمد هذا التنميق لاظهار براعته اللغوية لنيل مؤلفه رضى السلطان ، فهو يبدأ الباب مثلا السابع بجملة تشكل فقرة : " أول من قام بوظيفة الملك ونظم درره بعد التفرق في أوثق سلك ، وأحيى من خلافة أبائه رسما كان دارسا ، وأيقظ من الدولة الحسنية جفنا طالما كان ناعسا الملك الهمام والأسد الضرغام ، فخر الملوك و تاج الأعيان : أمير المسلمين أبو يحي ياغمراسن بن زيان " [1] فالسجع واضح بين " دارسا و ناعسا ، والهمام و الضرغام ، ولعل اهتمام المؤلف بتنميق أسلوبه في التعريف بملوك بني زيان يعكس تعظيمه لهم فالأسلوب الفخم لايليق إلا بذي المقام العظيم ، كما أن الجملة السابقة تعكس إفراط التنسي في التعريف بهذا الملك ، فهو يسهب في وصفه ، يمجده ويعظمه " فكان خليفة الله المرتضى وسيف حمايته المنتضى " وهو سليل سبطى الرسول ، وثمرة غصني الزهراء فاطمة البتول " [2] فهذه الجملة اسمية وقد تعمدها التنسي ليحقق بها ثبوت انتساب الملك إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، لأن الجملة الاسمية تدل على ثبوت الدلالة .

كما جاء ت الجمل الفعلية لتعبر عن الحركة والتحول كما في العنوان " ولاية جابر بن يوسف " ،من الباب السابع "....فاحتال على جماعة من رؤساء بني عبد الواد فأخذهم واعتقلهم ..... فردت شفاعته ....وجمع قومه وهجم عليهم ، فهذه الجملة تعبر عن تحرك الملك ضد خصومه وانتصاره عليهم ، ومما يلاحظ على أسلوبه الإسهاب والتدقيق في المعاني والاقتباس من القرآن الكريم واستعمال العطف ، قال تحت عنوان مصحف عثمان بن عفان : " فلما استولى أمير المسلمين على محلة السعيد برمتها علت يده ، وضخم ملكه ، وبعد صيته ، والملك بيد الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين " [3]
كما يلاحظ أن الخطاب إذا كان موجها إلى السلطان فإنه يتعمق التنميق فيه ، وإذا كان يعبر عن حادثة تاريخية فلا يلتفت إلى جمال الأسلوب ، قال : " وكان هذا المصحف

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة : 43 وجه .
[2] ـ المصدر نفسه : ورقة : 43 وجه .
[3] ـ ابو عبد الله التنسي ،مخ : نظم الدر والعقيان ، ورقة : 44 ظهر .

صار بعد موت عثمان رضي الله عنه إلى بني أمية أيام تملكهم " [1] فصياغة هذه العبارة بسيطة لا تأنق فيها .

ومما يلفت النظر أن التنسي كان دقيق الوصف ، وكأنه يرسم المشهد رسماقال : متحدثا عن الاهتمام بمصحف عثمان [رضي] وكانوا يحضرونه في مجالسهم في ليالي رمضان، يباشرون القراءة فيه ، ويستصحبونه في حركاتهم متبركين به ، ولهم في ذلك ترتيب حسن وذلك أنهم في سفرهم أول ما يتقدم بين يدي الأمير راية عظيمة بيضاء على أطول ما يكون من العصي ويتلوها المصحف الكريم محمولا على أضخم بختي يوجد مجعولا في قبة حرير

مربعة[2] " فا فالوصف يضع المشهد أمامنا وكأنه يتحرك ، إنه تصوير بالكلمات يعبر عن قدرة فائقة في التعبير ومكنة قوية في اللغة .

ولعل إبراز بعض أنواع الجمل تبرز خصائص الاسلوب .

ــ أنواع الجمل :

1 ــ الجمل البسيطة :

غالبا ما يركب الجمل البسيطة من فعل + فاعل + مفعول به .

.....يباشرون القراءة فيه

وقد يضيف إليها فضلة كالحال مثلا قال يتحدث عن تعظيم مصحف عثمان :

" ويستصحبونه في حركاتهم متبركين به ".

وقد يعمد إلى الجمل الاسمية ، فيقدم الخبر على المبتدأ :

"ولهم في ذلك ترتيب حسن " وهذه مكونة من خبر (تعلق به الجار والمجرور "لهم") +مبتدأ (ترتيب) وهذا النوع من الجمل كان يستعمله في الوصف خاصة فهو لا يحتاج إلى إطناب وانما يأتي بالجمل على قدر الحوادث .

وهذا النوع كثير في أسلوبه " ماجئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج " وهذه الجملة مركبة من : ما النافية + جئتك (فعل + فاعل +

---

[1] ــ نفس المصدر ، ورقة : 44 ظهر .

[2]- نفسه : ورقة " 44 ظهر .

مفعول به) + إلا (أداة حصر) راغبا(حال) + منك (جار ومجرور) + أن تنتقل (مصدر مؤول مفعول به لاسم الفاعل راغبا) + جار ومجرور (إلى بلدنا) + تنشر (فعل مضارع) وهي حال ثانية + جار ومجرور + العلم (مفعول به) + واو استئنافية + جار ومجرور (خبر مقدم) + جميع (مبتدأ مؤخر) + ما الموصولة (مضاف إليه) + تحتاج (فعل مضارع صلة الموصول لا محل لها من الاعراب .

وهي تعبر عن تقدير يغمراسن للعلم وإجلاله للعلماء ، وهي بالرغم من أنها مركبة الا أنها دقيقة ليس فيها إسهاب أو فضلات يمكن الاستغناء عنها.

ومما يلفت النظر في أسلوبه كثرة الأوصاف وبخاصة عندما يوجه خطابه للحكام وكأنه يتقرب إليهم بخلع هذه الصفات عليهم قال : " ثم بويع ابنه الملك الأسعد ، الهمام الأنجد ذوالهمم العلية ، فاستنكر من الأنصار ودوخ المعاقل والأمصار " فهذه الجملة تعكس رغبته في التقرب للبلاط بتمجيد الملك بخلع صفات السعادة والمجد والحكمةالعالية والشجاعة بأسلوب جميل منمق .

إن أسلوب التنسي ليس في مستوى واحد وإنما نراه يكتب بأسلوب رفيع مرة وبأسلوب بسيط تارة أخرى ، فعندما كان يعتمد على مخزونه تأتي كتابته لا تأنق فيها ، وعندما يرفع خطابا للأمير أو يتحدث عنه، فإنه يبدع ويكثر من التجنيس قال في " دولة أبي حمو موسى الأول : " فولي بعده أخوه الملك الأحمد ذو العزة الميمونة والجبين الأسعد الذي فرج الله بيمن طلعته الشدة ، وآل الأمر من بعد الضيق إلى السعة في أقرب مدة" فالتأنق في هذه العبارة يعكس العلاقة بين العالم و الحاكم، فالعالم يتخيّر العبارات الجميلة لتناسب المقام الرفيع للسلطان، كما أنها تعكس رغبة السلطان في المدح والتمجيد.

وأخيرا فإن التنسي قلما يظهر أسلوبه ، ذلك ان النقل يغلب عليه ، فهو الحافظ ، والحفظ كثيرا ما يحول دون الابداع ، فكثيرا ما كان يتسلط عليه محفوظه ، فينتال عليه انثيالا ولا يترك مجالا كبيرا لحرية فكره ، فيقيد عقله بهذه النصوص فيصبح تابعا غير مبدع ، مستعبدا غير حر.

6 ـــ عرض مادة المخطوط :

مقدمة نظم الدر والعقيان :

بعد قراءة للمخطوط اتضح أن التنسي قد كتب مقدمته بعد تحريره وإتمامه لسفره ، وهذا مانستشفه من خلال بعض التلميحات في فقرات المقدمة نفسها تلك المقدمة التي تتضمن أسباب تأليف الكتاب والخطة التي أتبعها وقد بدأها بالحمدلة والثناء على الله تعالى حيث أبرز عظمته وقدرته على المخلوقات جميعا ، ثم عاود الحمد وأتبعه بآية من سورة الإسراء كما شهد بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله اصطفاه من بيوت العرب ، وبأنه مبعوث للإنس والجن وذكر مزاياه واستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم، وأتبع هذه الصفات حديثا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن الخلافة تكون في قريش كما أتبعه بحديث نبوي يوضح " أن أهل الغرب منهم لايزالون ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " ويشير المؤلف الى الحديث النبوي الذي ذكره يحيى بن خلدون في البغية عن مسلم والدارقطني وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :"لاتزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة" وهذا الحديث يخدم مراد التنسي في مصنفه الذي أراد به خدمة السلطان وتقوية موقفه فقد جاء مناسبا لتقديم الربط بين الجزيرة العربية والمغرب الإسلامي ثم أتبعه باالتسليم على أفضل خلق الله وآل بيته الأطهار واستدل على ذلك بالقرآن الكريم قال الله تعالى:"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "[1]وهو بهذه الآية يبرز صفوة أهل البيت الذين ينسب السلطان لهم ثم يتبع ذلك بالحمدلة والدعاء والتسليم على أفضل خلق الله وآل بيته الآطهار وصحابته الأبرار ، وتليها فقرة خصصها لتمجيد ومدح السلطان حيث استعمل الألفاظ المنمقة والعبارات المسجوعة ذاكرا وراثته المجد عن أسلافه و مدحهم ونعتهم بأسمى الأخلاق ، متبعا ذلك أسماء أجداده متوقفا عند أبي حمو موسى الثاني الذي نسبه للخلفاء الراشدين كما لم يبخل المؤلف بذكر سبب تأليفه لهذا الكتاب حيث أوعزه إلى جميل ونعم توالت

[1] ـ سورة الأحزاب ، الأية : 33 .

عليه من طرف السلطان المتوكل ساعيا لإرضائه بكل ما استطاع من طاقة عله يرد جميله ، فعزم على تصنيف كتاب ملوكي.

القســـم الأول " في التعريف بنسبه الطاهر وبيان شرفه الباهر"

الباب الأول : " في ذكر نسبه الطاهر "[1]

بعد المقدمة وذكر أقسام الكتاب شرع المؤلف في الباب الأول ويتضمن التعريف بالمتوكل وذكر نسبه حيث وصفه بالطاهر الشرف الباهر إذ قال عنه : "فهو مولانا أبو عبد الله محمد ابن محمد بن أبي ثابت بن أبي تاشفين عبد الرحمان أبو حمو موسى بن يوسف بن الأحمر بن يحيى بن ياغمراسن بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن بن طاع الله علي بن يمل بن برجي بن القاسم ، ومن هدا تنسل جمهور بني عبد الواد ، وهم بنو ياتكتن وبنو وللو ومصحوبة وبنو تومرت وبنو ورسطف فليسوا من ولد القاسم ونسبهم في قيس بني عيلان بن مضر وانضاف إليهم الزرادلة لان زردال وعابد الواد اخوان وبهم تكمل اثنا عشر قبيلا المعدودة في عبد الواد ستة في ولد القاسم وخمسة في ولد عابد الوادي وواحدة في ولد زردال أخيه وغلب اسم عبد الواد على أخيه وغلب ا سم عبد الواد على الجميع .

والقاسم جد أمير المؤمنين اتفق النساب على أنه من ولد عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولكن اختلفوا في طريق اتصاله به ، فقيل إنه القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل وقيل إنه ابن حمد بن أدريس بن إدريس بن عبد الله وقيل إنه ابن محمد بن عبد الله ، بن ادريس بن ادريس بن عبد الله قال التنسي : قال صاحب بغية الرواد وهذا القول أشهرها " فيلاحظ أن التنسي يسير على خطى يحيى بن خلدون .

[1] ـ خصّص يحي بن خلدون لهذا الغرض قسم تضمن التعريف بجنس القبيل وفضله وفيه ثلاثة أبواب وكان بهذا أكثر توسعا وشمولا من التنسي الذي خصص له باب حيث شرع في التعريف بنسب المتوكل وصولا إلى آل البيت ، يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج : 1 ،

الباب الثاني : " في فضل العرب "

وقد ذكر في هذا الباب اتصال المتوكل بنسب الرسول صلى الله عليه و سلم و كان عليه الصلاة والسلام يوصف في الكتب القديمة بالنبي العربي فموجب هذه الصلة في نظر المؤلف استلزم ذكر فضل العرب على غيرهم من الأمم و بما أن مضر اختصت بالنبي صلى الله عليه و سلم احتاج المؤلف أيضا إلى ذكرهم و بهذا يكون لهدا الباب فصلان :

الفصل الأول : " في فضل العرب "[1]

و قد أطلق العنان لكلماته في وصف العرب ومدحهم فمما ذكر عنهم أنهم " أهـل الاحساب العليـة و النفوس الزكية و الأخـلاق المـرضية و الأعراق الكريمة ، و الهمم العظيمة " كما وصفهم برجاحة العقل بالسخاء إذ يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة و يمضي بالإشادة بهم إلى أن يقر على أنهم خير الخلق حيث يقول أشهد أن الله لم يجعل هاشميا إلا وهم خير قرش و لا قرشيا إلا و هم خير مضر ولا مضريا إلا و هم خير العرب و لا عربيا إلا و هم خير الأمم و يدعم قوله هذا بأن منهم السلالة وسيوف الله ، و لهم بيت الله ، أي الكعبة و منهم محمد صلى الله عليه و سلم ثم يتبع ذلك ببعض الأحاديث النبوية الشريفة تزكي قوله و قصصا و أحاديث الصحابة فحواها تفوق العرب في الأخلاق و من بينها رواية شبيب بن شيبة عندما وصف ابن المقفع العرب بأنهم أعقل الأمم [2] و جاء بقصص أخرى في الآثار من بينها قصة حاتم الطائي و قد ربط المؤلف ذلك بالسلطان الزياني بعد نهاية القصة حيث قال" لم يذكر عند أحد أنه سخى بنفسه غير حاتم قلت له ثان وذلك أنه لما تولى السلطان أبو عنان المريني على تلمسان بعد قتل السلطان أبي سعيد بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن فدا أخاه السلطان أبا ثابت وابن أخيه أبا حمو موسى بن يوسف جد أمير المؤمنين و معهما وزيرها بن داود وقد لبسوا لباس التنكر كي لا يعلم

---

[1] - خصص ابن عبد ربه كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب و أدرج نفس العنوان " فضل العرب " ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج : 3 ، ص : 274 .

[2] - ذكرت هذه القصة في العقد الفريد مطابقة لما جاء بها التنسي لكنه لم يذكر سند الرواية كما جاءت فسند الرواية كان عن " أبو العيناء الهاشمي عن القحذامي عن شبيب بن شبيبة " ، ج : 3 ، ص : 288 - 289 .

بهم ، و إذا بصاحب بجاية أم لهم الأرصاد فأخذوا بحوز بجاية ، فقال لهم الذين أخذوهم : من السلطان أبو ثابت فيكم ؟ فتقدم المولى أبو حمو وقال أنا ، وقد ظفرتم بحاجتكم منى فأطلقوا الرجلين يعني عمه ووزيره فقد جاد بنفسه.[1]

الفصل الثاني: " في فضل مضر " [2]

وقد أدرج أصول عرب المشرق ، فقال إن عرب المشرق ترجع كلها إلـى عدنان وقحطان[3] ، فهذا الأخير أبو اليمنية كلها و عدنان أبو المضرية و أنضاف إليهـا مـن ربيعة و إياد وقد حازت الفخر بولادة الرسول صلى الله عليه و سلم و الخلفاء قال الرسول صلى الله عليه و سلم "مضر جرثومة الحق ، فما اختلف الناس في الأمر إلا وكان الحق فيه مع مضر"[4] ثم أتبع ذلك مفاخرة الابرش الكلبي الذي قال لخالد بن صفوان هلم افاخرك ، وهما عند هشام بن عبد الملك ، فقال له خالد : قل ، فقال الأبرش: لنا ربع البيت يعني الركن اليماني ، ومنا حاتم الطائي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة ، فقال خالد منا النبي المرسل ، ودينا الكتاب المنزل ولنا الخليفة المؤمل فقال : الأبرش لاأفاخر مضريا أبدا كما ذكر مفاخرة إبراهيم بن مخزمة الكندي و أناس من بني الحارث بن كعب و هـم أخوال أبي العباس السفاح الذي كان يعجبه السمر ومنازعة الرجال ، و كان معهم خالد بن صفوان التميمى و تميم مضرية ، فتذاكروا مضر واليمنية كل واحد منهم يفاخر فكان مما تفاخروا به النسب و الملك والبيت الحرام و بئر زمزم و خلص في ذلك إلى أن القرآن عربي و كلماته عربية و أنهى خالد بن صفوان حديثه و مفاخرته بسؤال الكندي فقال :" أسألك عن أربع إن قررت بهن قهرت ، وإن جحدتهن كفرت ، قال وما هن قال الرسول صلى الله عليه و سلم منا أو منكم قال منكم قال القرآن نزل علينـا أو عليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام

---

[1] ـ أبي عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 5ظ – 8و .

[2] ـ خصص ابن عبد ربه عنوانا خاصا بأنساب مضر على خلاف التنسي الذي اكتفى بفضل مضر ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 3 ، ص : 302 ، وديار مضر حيز الحرم إلى ما دون السراوات وما والاها من البلاد ، وكانت لهم رياسة الحرم بمكة المكرمة ، موسوعة القبائل العربية ، محمد سليمان الطيب ، دار الفكر العربي ، ط / 1421 هـ /2001 م ج : 1 ، ص : 47 .

[3] ـ جاءت هذه الرواية في العقد الفريد مطابقة لما أتى بها التنسي باللفظ والمعنى . المصدر نفسه : ج : 3 ، ص : 293 ، 294 .

[4] ـ جاءت هذه الرواية في العقد الفريد مطابقة لما أتى بها التنسي باللفظ والمعنى . المصدر نفسه : ج : 3 ، ص : 293 ، 294 .

لنا أو لكم ، قال لكم قال فالخلافة فينا أو فيكم قال فيكم [1] فقال خالد بعد هذه الأربعة فهو لكم ، وإنما إقدامنا على تفضيل العرب على غيرهم من الأمم هو مذهب أهل الحق و العقيدة وأهل السنة ، و قد ذكر المؤلف بعدها الشعوبية [2] ويظهر أنها ردة فعل لتعصب العرب لعرقهم وماضيهم مع أن الإسلام قد جعل التقوي هي الأساس في الأفضلية ، وقد أدى هذا الصراع ببعض الأعاجم إلى تفضيل أعراقهم على العرب و هم فرقتان التسوية و تقول أن لا مزيمة لعربي على عجمي و لا عجمي على عربي محتجين بقوله صلى الله عليه و سلم " انتم بنوا آدم و آدم من تراب " و فرقة ثانية تدعى تفضيل العجم على العرب ومن رؤسائهم أبو عامر بن غرسة ، نازعه في ذالك عرقه إذ كان نصرانيا، فكتب رسالة مشهورة رد عليها علماء الإسلام برسائل حسان واعتذر المؤلف عن عدم إيرادها لأن المصنف لايحتمل ذلك لكبر حجمها ، ولعله تحاشى بعض التعبير الذي لم يحتمله ولا ينسجم مع هدفه وهو ربط السلطان بجنس خالص شريف لاتشوبه شائبة [3].

الباب الثالث: " في فضل قريش "

تحدث التنسي في هذا الباب عن فضل قريش [4] و خصوصا بني عبد مناف و قد أوعز المؤلف ذكر فضل قريش بأنها أقرب القبائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ربط التنسى نسب المتوكل بالرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم و رأى أن الله خصه بمزية الخلافة التي ينالها غيرهم و قد قسم هذا الباب إلى فصلين :

[1] - ذكر الأبشيهي هذه الرواية مطابقة في اللفظ والمعنى في كتابه المستطرف ، ص : 153 .

[2] - خصص ابن عبد ربه في كتاب اليتيمة عناوين عديدة كلها تصب في قول الشعوبية وبعض من رد عليهم فكان بهذا أكثر توسعا من التنسي الذي تجنب الإطالة حتى لايخرج على الهدف الذي سطره لكتابه . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج : 3 ، ص : 369 ، 377 ، عن مصطلح الشعوبية ينظر : موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي ، رفيق العجم ، مكتبة لبنان ، ط/ 1 ن 2000م ، ص : 394 .

[3] - أبو عبد الله التنسي مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 8 و – 9 و .

[4] - اختلف النسابون في " قريش " فمنهم من قال اسم حي أو اسم قبيلة قال ابن هشام : النظر هو قريش ، قال ويقال فهر بن مالك هو قريش وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب والذي عليه الأكثرون أنه النضر بن كنانة واختار ابن عبد البر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر، وقيل هو قريش بن بدر بن يخلد بن النظر وبه سميت قريشا . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 3 ص : 276 .

الفصل الأول : " في فضل قريش" [1]

ذكر أن قريشا أشرف العرب حسبا و أكرمها نسبا و كفاهم أن فيهم النبي صلى الله عليه و سلم و لهم رعاية بيته المنيف ، وهم الذين قال عنهم الله و أنزل فيهم سور من القرآن الكريم ، و روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " قدموا قريش و لا تقدموها " [2] و ذكر مجموعة من أحاديث جلها تصب في فضل قريش كما ذكر فتاوى الجزية فيهم ، وما قيل لمعاوية عن عرب العراق ، و ألفاظهم و إطالة كلامهم حتى قيل لرجل من قريش : ما بال العرب تطيل كلامها و انتم معاشر قريش تقصرونه ؟ فرد عليه بأن كلامهم يقل لفظه ويكثر معناه [3] ، و قد كانت العرب تقدم قريشا في كل قضية إلا في الشعر حتى ظهر فيها عمرو بن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد ، غير أن المعروف عن قريش أنه ليس لها شعراء ، فهي لاتضاهي القبائل الأخرى شعرا إذ لم يعرف عنها إلا هذان الشاعران ، وهما ليس من الفحول ويستمر المؤلف حيث يقول : فأقرت لهم العرب كلها بالتقدم في كل قضية حتى في الشعر و قد كان لشعرهم الحظ الأوفر ثم أدرج بعد ذلك فصاحة قريش ، وذكر بأنها في الدرجة العليا واستدل على ذلك بلغة القران واتبع ذلك ما خصت به قريش دون غيرها من القبائل ، منها حلف الفضول حيث يقوم بنصرة غير قبيلته ما لم يكن له حلف أو جوار ، و قد حضر هذا الحلف الرسول صلى الله عليه و سلم و هو في سن العشرين من عمره [4] ، فكان بعد النبوة يقول لقد شهدت مع عمومتي حلف الفضول وهو أحب لي فيه من حمر النعم [5] ولو ادعى به في الإسلام لأجبت [6] .

---

[1] ـ أدرج ابن عبد ربه عناوين تتضمن بطون قريش وفضل قريش ومكان العرب من قريش وقد أورد روايات تشابهت مع ما أتى بها التنسي مثلا سؤال معاوية عن أفصح الناس والإجابة التي تلقاها من رجل ج : 3 ، ص ص : 283 – 287 .

[2] ـ ذكر هذا الحديث ابن عبد ربه ضمن عنوان فضل قريش ، المصدر نفسه ، ج : 3 ، ص : 284 .

[3] ـ ذكر هذه القصة ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج : 3 ، ص : 285 .

[4] ـ ذكرت هذه القصة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام وقد حجب عنّا التنسي سند الحديث إذ جاء كما يلي :
قال ابن اسحاق : فحدّثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفد التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : ثم جاء بالحديث ، السيرة النبوية لابن هشام ، ج : 1 ، ص : 141 .

[5] ـ ابن هشام ، السيرة النبوية ج : 1 ، ص : 142 .

[6] ـ أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان ، ورقة : 9 و - 10 ظ .

الفصل الثاني : " فضل بني عبد مناف "

و يتضمن فضل بني عبد مناف حيث أبرز شرفهم ، فقد كان عبد مناف[1] جد الرسول صلى الله عليه و سلم ، كما أدرج سبب رفعته على سائر قريش ، ويعود هذا لشرفه كما كانت الوجوه تقصده من أقاصي الأرض ، فيتحفونه بتحف الملوك فيجيد إكرامهم و كان بيده لواء نزار و قوس إسماعيل و سقاية الحجاج و المفاتيح حتى قبل :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعــبد المناف

ثم ذكر بعد ذلك و صوله إلى الرئاسة ، و ما قيل فيه من شعر و حكم ، وهذا النموذج نمودج منها : ما ولدت والــدة واــدا أكــرم من عبــد مناف حسبا

ثم ذكر أبناءه الأربعة منهم هاشم ، و منه كان رسول الله ص الله عليه وسلم و عبد المطلب و عبد شمس ونوفل وقد ذكر نسل كل واحد ، و من ذاع صيته منهم وقد عرج المؤلف على ولد نوفل وهو المطعم بن عدي لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكره عندما أتوه بأسرى بدر و كانوا نحو " سبعين أسيرا فقال لو كان المطعم بن عدي حيا و كلمني في هؤلاء لتركتهم ، و هذا الموقف تكريما له لنصره له بعد وفاة أبي طالب و حمايته له في صلاته حول الكعبة كما يتضمن شعرا قالته العرب في آل عبد مناف وهذا النموذج ذكره أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعدما استفسر عنه الرسول صلى الله عليه و سلم :

يا أيها الرجل المحمول رحله

هل نزلت بآل عبد مناف

هبتك أمك لو نزلت بدارهم

منعوك من فقر و من إجحاف

كما ذكر أن قريشا كانوا تجارا ثم ذكر كيف وصلت التجارة إلى الشام بفضل هاشم ابن عبد المناف ، وتأثيره على الناس ، و ملك الشام بكرمه و حسن سلوكه حتى أخذ من القيصر كتاب أمان لتجار قريش قومه بأعظم شيء ، حيث عظمت تجارتهم وقد حدا

---

[1] ـ عبد مناف بن قصي من قريش من عدنان من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يسمى قمر البطحاء وكان له أمر قريش بعد وفاة أبيه ، السيد معز الدين محمد المعهدي الحسيني الشهير بالقزويني (ت 1300 هـ) أسماء القبائل وأنسابها ، تحقيق سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط : 1 ، 1420 هـ ، 2000 م ص : 253 .

حذوه أخوه عبد المطلب في فتح التجارة في اليمن ، و أخوه عبد شمس بن عبد مناف في الحبشة ثم أخوه نوفل بن عبد مناف في العراق ، و بهذا الفتح العظيم يكون لعبد المناف شأن عظيم عند قريش و العرب قبل الإسلام و بعده .[1]

الباب الرابع : " في بيان شرف بني هاشم "

وقد جدد المؤلف حجته و سبب تطرقه إلى بني هاشم وهو ربط نسب المتوكل بالرسول صلى الله عليه و سلم و علي بن أبي طالب و قد افتتح هـذا البـاب بـالتمجيد و المدح فوصفهم بأنبل الصفات و أرقاها فهم من أهـل البيت الأرفـع و العقـل الوافـر والعنصر الظاهر ، كما زكى أخلاقهم ، فإن سئلوا أعطوا وان فيهم الرئاسة قبـل و بعد الإسـلام ، وهم أولى الناس بالمصطفى عليه الصلاة و السلام ، كما أن هذا الفرع نال من الشرف ما يوجب الفوز في الدنيا و الآخرة ، فيهـم خيـر الخلق محمد صلـى الله عليـه و سلـم و حمزة و جعفر ذو الجناحين ، و الحسن و الحسين ثم ذكر المؤلف حديثا نبويا شريفا يوصي فيه بالتمسك بكتاب الله و أهل البيت فقال :" مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك " و عنه صلى الله عليه و سلم " الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل و من ولد إسماعيل بني كنانة و من بني كنانة قريشا ومن قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ، فبنو هاشم خيار خيار الخياروأنا خيارهم "ثم يتبع هذا الحديث بأخبار كيف صارت الرئاسة من بني عبد مناف إلى ولده هاشم ، والمسؤلية التي كانت على عاتقه من خدمة الكعبة والحجاج والأخلاق التي كان ينادي بها في قومه من احترام الناس ومساعدتهم بالمال ، ثم ذكر من خلفه من بعده و هو ابنه عبد المطلب الذي جاءه في منامه آت يطلب منه حفر بئر سماه في كل مرة اسما وهي طيبة والمظنونة و زمزم قد دله على مكانها غراب ، ولما باشر في حفرها نازعته قريش بحجة أن لهم الحق فيها لأنها من جدهم إسماعيل ، فاحتكموا إلى كاهنة بني سعد و في طريقهم نفد الماء لآل عبد المطلب ، و لما أبى مرافقوه سقيه الماء وأشرف على الهلاك باشر في حفر

[1] أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 11 ظ – 12 و .

بئر زمزم فانفجر الماء وكبر وكبروا معه ، وهنا اعترفوا بكرامته ورجعوا الى حفر بئر زمزم وفي أثناء الحفر وجد غزالين من ذهب ، وأسيافا وأدرعا فناهضوه مرة ثانية فاقترح عملية الاقداح ، و من يقع عليه فهو له ، فكانت النتيجة الغزلان للكعبة و ما بقي لعبد المطلب [1] ، كما ذكر أن أول من حل الكعبة بالذهب هو عبد المطلب ثم أتبعه بقصته مع ابنه عبد الله الذي أراد ذبحه لندره حتى تـــوسطت قـــريش و شاوروا في أمره عرافة بالحجاز [2] و كانت فدايه ابنه مائة إبل.[3]

الفصل الثاني : " في بيان شرف بني هاشم "

تناول في هذا الفصل شرف الطالبيين وصفات الرسول صلى الله عليه وسلم والطريقة التي كفله بها جده عبد المطلب و عمه ابو طالب و الصفات التي يحملها مثل الشامة التي بين كتفيه ، كما ذكر أن سيف بن ذي يزن قد نصح جده عبد الملك أن يحفظه من مكر اليهود الحاقدين ، كما أغدق عليهم مالا وفيرا وذهبا كثيرا وفضة ولما كفله عمه أبو طالب أحسن إليه ، وعامله معاملة الأبناء ، فأراد الخروج مرة في قافلة إلى الشام فاصطحب معه ابن أخيه وفي الطريق الى الشام التقى بالراهب بحيرى الذي حذره من مكر اليهود لأن هذا الطفل الذي معه سيكون له شأن عظيم [4] ، ولما أدرك أبو طالب الدعوى حمى ابن أخيه من الكفار ، كما أورد التنسي الحجج التي يدعم بها رأي من قال إن عمه قد مات على الشهادة ، ولكن لم يصرح بها ، منها وصية ابنه علي رضي عنه أن يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ويلازمه لأن دعوته كلها خير ، كما أوصى أبو طالب صفوة قريش بالكعبة خيرا لأن خدمتها مرضاة للرب ومجلبة للرزق ، وبالعناية بمحمد لأنه الأمين فيهم ، والصديق في العرب ، وهذه الوصية دليل عند المؤلف على إيمان أبي طالب الذي لم يظهره خوفا من قريش ، وهو أحد صناديدها كما نصحهم بترك المعاصي و البغي و العقوق ثم أتبع ذلك ذكر الصحابة من بينهم جعفر الطائر ذو الهجرتين و ذو الجناحين ، و ما فعله في حياة الرسول صلى الله عليه

---

[1] - جاءت هذه القصة في كتاب السيرة النبوية لكن الاختلاف عند التنسي كان في الألفاظ والاختصار في بعض المواطن . السيرة النبوية لابن هشام ، ج : 1 ، ص ص : 150 – 153 .

[2] - لقد ذكرت هذه القصة موسعة ومفصلا فيها أكثر مما جاء بها التنسي. المصدر نفسه ، ج : 1 ص : 160 – 164

[3] أبو عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 12 و- 14 ظ .

[4] - ذكرت هذه الرواية أكثر تفصيلا مما جاء به التنسي في السيرة النبوية لابن هشام ، ج : 1 ، ص ص : 191- 194

و سلم ، و ما وقع له فـــي فتح الشـــام و ابنه عبد الله و ما فعله حيال الجارية التي اشتراها لعبد الرحمان بن أبي عمار بعدما عجز عن شرائها و تعلق بها حتى مرض فلما وصلته الجارية مع مائة درهم ، قال و الله يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا من صلب آدم ، و أتبع هذا مجموعة من القصص والغرض منها الرفع من شأن السلطان لأنه منتسب إليهم [1] وواضح من هذه القصص أثر التشييع ،ولكن المؤلف لا يصرح به ، فهو يعظم الأصل ، آل البيت ليعظم الفرع ، المتوكل وبهذا أن هذا الأثر كان واقعا في عهد الدولة الزيانية[2] ولكن لم يصل الى السياسة فتعصب له المهام ويقرطواه على الرعية .

الباب الخامس : " في بيان شرف علي و بنيه وخصوصا الحسن والحسين منهم " الفصل الأول : في بيان شرف علي و بنيه

بدأ المؤلف هذا الفصل بإبراز خلق و مكانة سيدنا علي عند الرسول صلى الله عليه و سلم ، وأدرج مجموعة من الأحاديث النبوية يثبث فيها مكانته العالية التي حضي بها عند الرسولصلى الله عليه و سلم ، كما ذكر الراية التي أعطاها الرسول صلى الله عليه و سلم عندما حاصر خيبر و مدح خلالها سيدنا عليا و ما قام به ، كما ذكر ما قام به في غزوة الخندق في مقاتلته أحد الكفار ، و مشاهد عديدة في غزوات الرسول صلى الله عليه و سلم كما ذكر وقعة يوم النهروان مع الخوارج وأنه قتل ثلاثة ألاف منهم[3] وهذا شيئ مبالغ فيه وما وقع بينه وبين الزبير وطلحة وعائشة وما وقع بينه وبين معاوية من صراع دموي كما ذكر حادثة صفين وما وقع فيها ، و أتبع هذا علمه و مكانته عند الرسول صلى الله عليه و سلم حيث ذكر بأنه مدينة العلم و علي بابها ، و أدرج مجموعة من المسائل التي ذكرت عنه و كان سريع الجواب ، عليها و

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 15 ظ – 18 ظ .

[2] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 15 ظ – 18 ظ .

[3] - وقد بالغ في هذا المجال أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، كما أورد قصص خرافية كثيرة في كتابه ولا غرابة في ذلك لأنه شيعي ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ، ت 276 هـ الإمامة والسياسة ، علق عليه خليل المنطق ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/ 1 ، 1422 هـ ، 2001 م ، ج : 1 ، ص : 121 .

كان حكيما كما جاء ببعض حكم علي رضي الله عنه منها: "يقول الصبر مفتاح كل خير و كل صعب به يهون ".

ثم اتبع ذلك بخطبة علي رضي الله عنه يحث فيها على الإيمان و الصبر و التزود بالتقوى لدار الآخرة وأردفها بوصيته لبنيه الحسن و الحسين بزهد في الدنيا وطلب الآخرة و قول الحق في الغضب ، و العمل و العدل في النشاط و الكسل ، والرضى عن الله في الشدة و الرخاء ، و عندما توفي طلب معاوية من صديقه أن يصفه وبعد انتهائه بكى معاوية حتى وصل ندى دموعه لحيته ، ثم ذكر فقه العابد النصراني و اتبعه بذكر أبناء علي رضي الله عنه غير الحسن و الحسين إذ أفرد لهما بابا خاصا وذكر محمد أخاهما المدعو أبي الحنفية وما يتصف به من علم وشجاعة وأخلاق.[1]

الفصل الثاني : "في ذكر الحسن و الحسين وبنيهما "

وقد أدرج في هذا الفصل نسبهما و شرفهما وأورد أحاديث كثيرة لرسول صلى الله عليه وسلم بين فيها قدرهما و حبه لهما ، ودعاءه لهما ، ولفاطمة وعلي رضي الله عنهم وقد بدأ بالتعريف بالحسن فقال هو الحسن بن علي بن أبي طالب ولد في شعبان سنة ثلاثة من الهجرة و بويع له بالخلافة يوم مات أبوه واستمرت له سبعة اشهر ثم أدرج ما وقع بينه وبين معاوية من تنازله عن الخلافة و ذكر ، صفاته الخلقية و الخلقية حتى أنه ذكر يوما في مجلس معاوية بأنه أشرف الناس أما وأبا وجدا وجدة و أعماما وأخوالا كما ذكر ما لحقه من زياد بن أبيه عندما ولى الكوفة و ما دار بينهما في رسائلهما حول تقديم الأسماء لأنه هو طالب الحاجة ، ثم اتبع ذلك حوارا دار بينه وبين علي رضي الله عنه حول السوء و المروءة و السماحة و الغنيمة و السفه و الغفلة ، وكانت كلماته بليغة مختصرة و قد ذكر انه شرب هذه الحكم من والده ، و ذكر وفاته التي كانت بسم زوجته له ، و اسمها جعدة بنت الاشعث بن قيس وقد توفي سنة سبعة و أربعين في ربيع الأول ثم ذكر ذريته و هي :" من الذكور خمسة الحسن المثنى و زيد و عمر و طلحة و الحسين الأشرم و خلف بنتين لم يذكرهما وقد فصل

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 18 ظ – 25 و .

في اثنين هما : الحسن المثنى وزيد لان الخلافة كما ذكر كانت في أقطار الأرض دون غيرهما ، وقد ربط بين المتوكل و الحسن المثنى و لهذا الأخير سبعة أولاد : عبيد الله الكامل و هو ما يرى المؤلـف أنه جـد المتوكـل و الحسـن المثلث و إبراهيم الغمر و علي العابد و داوود و جعفر و محمد أما الحسن المثلث فمن ولده كان الحسين بن علي بن الحسن المثلث وهو الذي قام بالمدينة على المهدي العباسي فبايعه أهلها ومن جاورهم ، و أتبع ذلك موقعة فخ التي قتل فيها حيث سمي قتيل فخ .
ثم ذكر كيف وصلت ذرية ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى الى ملوك اليمن و صراعهم مع السليمانيين و ما كان لهؤلاء في مكة و زوال دولتهم و انقضاضهم على اليمن بعدما أخرجهم الهواشم و طردوهم من الحجاز و تواصل الصراع حتى رجع الملك فيها الى ذرية ابراهيم الغمر ثم اتبع ذلك وصف الحسين ، و خلقه و ما أوصى به معاوية ابنه يزيد من حسن الخلق و السلوك ، و التقرب الى الحسين رضي الله عنه كما ذكر ما وقع من رفضه لمبايعة يزيد و ذهابه الى مكة و مناداة أهل العراق بيعة أبيه و أعقب ذلك بذكر حادثة كربلاء [1] و مقتله ، و قد قتل من أصحابه ثمانية و ثلاثون رجـلا و وجد بالحسين رضي الله عنه يومئذ ثلاث و ثلاثون ضربة بالرّمح و أربع و ثلاتون ضربة بالسيف و كان قد قتل معه من إخوته و بنيه سبعة و تسعة من بني عمّه عقيل وذكر أخذ رأس الحسين إلى يزيد وبعض القصص هي إلى الفك رالشيعي أقرب كما رويت حكايات هي أقرب منها للخيال و الخرافات من الواقع و منها أن رجلا مر بكربلاء فسأل أعرابيا ممن يجاورها ، و قال بلغنا أنكم تسمعون نواح الجن هنا على الحسين ، فقال ما تلقى من حر أو عبد الا أخبرك بذلك.
ومنها أيضا أن الشمس قد كسفت يوم مقتل الحسين ، وأن السماء قد أمطرت دما كما تعرض لولد زين العابدين الذي مدحه الفرزدق بين يدي هشام بن الملك في الحج بقصيدة مطلعها :

[1] ـ كان توجه الحسين إلى الكوفة معتمدا على ما وصله من تأييد إثنى عشر ألف من أهل الكوفة بايعوه على الخلافة وهنا تعذر عليه الرجوع من الطريق وإنتهى أمر الحسين باستشهاده وهو يقاتل جنود الكوفة في كربلاء على نهر الفرات في 10 محرم عام 61 هـ . محمود السيد ، تاريخ الدولة الأموية مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 2002 م ، ص : 46 .

هذا الدي تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه والحل الحرم

ثم أتبع ذلك ذكر أبناء زين العابدين و أن منهم الملوك و العلماء ، غير أن أكثرهم كانوا روافض شيعة يعتقدون الامامة فيه ، بحيث صنفوا الامام الاول بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم الحسين بوصية أبيه ثم الحسن ثم زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق [1] ثم ابنه موسى الكاظم الى أن وصل الى محمد و هذا الاخير هو الذي يعتقدون أنه حي لم يمت بعد وفاة أبيه ، و هو المهدي المنتظر [2] ، و قد علق التنسي على ما ألصق من صفات العصمة ثم ذكر عظمة الدولة العبيدية و كيفية استلائهم على افريقيا و ما وقع بينهم و بين بني العباس في المشرق و الأدارسة في المغرب و من تولى الحكم فيهم و صراعاتهم.[3]

الباب السادس: " في بيان شرف عبد الله الكامل و بنيه و خصوصا الأدارسة "

الفصل الأول: "في ذكر عبد الله وبنيه "

بدأ هدا الفصل بمدح عبد الله الكامل ووصفه بأنـــه سليل السبطين و حائز فصل الحسن و الحسين و أن له علما وفيرا في الفقه و الحديث و الأدب كما ذكر أنه جد المتوكل باتفاق النساب على حد قوله ، و أن لقبه الكامل يعود الى أنه كان أكمل أهل زمانه حسبا ، حيث حاز الشرف من أبيه ، و أمه ، إذ كان أبوه ابن الحسن بن علي ، و أمه فاطمة بنت الحسين بن علي و دكر النقاش الدي وقع بينه و بين الشيعة حول المسح على الخفين ، و كان قد اقتدى بعمر ابن الخطاب و قد أنكروا عليه ذلك بحجة قوله تعالى:"و امسحوا برؤسكم و أرجلكم" ثم ذكر و صيته لابنه محمد بأفصح أسلوب

---

[1] - جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن السبط الحسين الهاشمي القرشي الملقب بالصادق سادس الأئمة الاثنى عشر عند الامامية ، ولد بالمدينة في سنة 80 هـ للهجرة ، وتوفي فيها في سنة 148 هـ . كان من أجل التابعين وله منزلة عظيمة في العلم ، أخذ عنه الكثير من الأعلام ، وفي مقدمتهم الامامان ، ابو حنيفة ومالك رضي الله عنه . أبو حامد الأندلسي الغرناطي ، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ، تح : اسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ص : 45.

[2] - يعتقد الشيعة أنّ الأئمة الاثناعشر معصومون ، وأن لكل واحد منهم آياته وكل منهم عندما يحس بالموت يوصي لأخر ليخلفه كإمام ، وصولا إلى الحسن بن علي العسكري فان هذا يعهد بالإمامة إلى ابنه محمد ويعلن أنه المهدي وأنه سيد الزمان ، وولد محمد بن الحسن بسامرا سنة 255 هـ / 869 م ويقال أنه اختفى في سرداب وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا ،يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذى في المهدى ، وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ، عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ص : 209 . نبيلة حسن محمد ، تاريخ الولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2002 م .

[3] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 25 و - 34 ظ .

حول السلوك و المعاملة و التقوى و التصرف في شؤون الحياة و التدبر في العبادة ، و ذكر بعض الابيات الشعرية منها:

لا خير في الود ممن لا تزال له   مستشعرا أبدا من خيبة و جلا

إذ تغيب لم تبرح تسئ به   ظنا و تسأل عما قال أو فعلا

وقال إن الهاشميين بايعوه ، فأبى و خرج الى المدينة و كان لا يعود الا لزيارة جده رسول الله صلى الله عليه و سلم و جده الحسن رضي الله عنه و كان يكرم الشعراء كما ذكر رفضه لبيعة أهل المدينة قد بايعوا ابنه محمد ا لما كان له من التقوى والخلق الحسن وقال إن الكيسانية ، قد امتنعت إذ أيدوا العباسيين ، ولما استقر لهم الملك قرب السفاح الهاشميين آل البيت وأكرم عبد الله بن الحسن بالمال والجواهر واستمر هذا الاعتناء بهم الى عهد جعفر المنصور الذي طالب بابني عبد الله بن الحسن " محمد وإبراهيم " حيث وقع خلاف بينهم بسبب الخلافة أو المطالبة بالدعاء لهم في خراسان ودام الخلاف بين الخليفة وعبد الله حتى عزم على الايقاع بهم ، وفعل ذلك فدفع العطاء لأهل المدينة حتى لا يقاتلوه وأفلح في ذلك وأخذ بني الحسين الى العراق وحبسهم حتى ماتوا [1].

ثم ذكر أبناء عبد الله الكامل الستة ومنهم :محمد و إبراهيم وموسى ويحيى وإدريس وسليمان وأن موسى قبض عليه مع أبيه وأن الله تعالى بارك في نسلهم فكان منهم ثلاثة طوائف :

الطائفة الأولى:بنو الأخيضر : ملوك اليمانية مدة طويلة حتى غلب عليهم القرامطة وأول من قام منهم إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون الذي نهب مكة وما بها من ذهب وفضة وقتل عاملها وجنوده و حاصر المدينة حتى مات كثير من أهلها جوعا ، ثم توجه الى مكة ثم جدة حتى هلك وولى الأمر بعده أخوه محمد الأخيضر وكان أسن منه وأرفق منه معاملة للحجاج ولم تصدر منه أذى فلما هلك خلف وراءه أولاده :يوسف ثم هلك خلفه أخوه الحسن واستمرت في بنيه حتى غلب عليه القرامطة

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 34 ظ – 37 ظ .

كما ذكر أن نفرا من بني الأخيضر تملكوا غانة من بلاد السودان المغربية التي تلي البحر المحيط .

الطائفة الثانية : الهوا شم من ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون وذكر أنه كان بينه وبين بني عمهم السليمانيين فتن متصلة.

الطائفة الثالثة : بنو قتادة الملقب بالنابغة وهو ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبد الله أبو الكرام بن موسى الجون وقد ملكوا مكة واليمن ودام ملكه حوالي أربعين سنة ، أما أبناؤه فكانت بينهم فتنة على الملك مع أعمامهم وأبنائهم أما بقية ولد عبد الله الكامل وهم :محمد وإبراهيم ويحيى وإدريس وسليمان قد بويع بالخلافة ، أما إدريس وسليمان ، قيل في كل واحد منهما أنه جد المتوكل وأفرد لهما فصلا خاصا في الفصل الثاني. اما محمد فقد أقام بالمد ينة بعد انصراف أبي جعفر وإيقاعه بالحسن فبايعه أهل المدينة قويت شوكته ، فدخل أهل مكة في طاعته ثم تلتها اليمن وقد كان يدعى بالنفس الزكية ثم استولى على البصرة والأهواز كما كان ملك البرانس وأبو حنيفة يميلان إليه مما أحقد الخليفة عليهما حتى امتحنهما بعد ذلك ثم كانت حرب بينه بين الخليفة ثم استقل بعده إبراهيم أخوه بالأمر وكان مصيره مثله [1]

الفصل الثاني وهو خاص بالأدارسة وإخوانهم السليمانيين :

دولة الأدارسة في المغرب الأقصى : بعد ربط المؤلف المتوكل ببني عبد الله الكامل إدريس وسليمان ، وبدأ بإدريس حيث ذكر دخوله المغرب مرورا بمصر ، و بيعته بعد وقعة فخ إذ اجتمع حوله البربر ، و قام أمير أوربة بمبايعته وخلع بني العباس ثم ذكر غزو إدريس لبلاد المغرب الأقصى والأوسط وفتح مدنا عديدة :تمسنا ،تادلا، شالة وتلمسان ثم ذكر وفاته التي كان بسبب داهية من رجال الرشيد ، وهو سليمان الشماخ الذي سمه واختلفت الروايات في طريقة سمه وكانة وفاته سنة 175 ، ولم يخلف سوى

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 37 ظ – 39 ظ .

حمل من جارية اقترح مولاه راشد [1] الانتظار حتى تلد ، فإذا كان ذكرا بايعوه وإذا كان أنثى نظروا في أمرهم ، فكان ذكرا شديد الشبه بأبيه .

ولما كانت إمارته نزع إليه كثير من قبائل العرب والأندلس فاتخذهم دون البرابرة بطانة وحاشية فخرج إلى المصامدة فدانت إليه ، ثم تلمسان ثم شلف وقد ملك المغرب الأقصى والأوسط ، وستمر له ذلك حتى وافته المنية سنة 213ه وخلف أبناء أكبرهم محمد ولي بيعته وقد أشرك إخوته في حكمه وقاسمهم الممالك ، قد دب النزاع بينهم إلى أن وصل الحكم إلى علي بن محمد ، ثم أبنائه ثم أبناء أعمامه ، كما ذكر استقرار العبديين بافريقية واستيلائهم على السليمانيين إخوة الأدارسة ، وضايقوهم وأخذوا أعمالا [2]كثيرة منهم ، وما إن نشأ الخلاف بينهم وبين ابن أبي العافية الذي صادق المروانيين في الأندلس مما أثار حفيظة العبيديين ، حيث وعدوا الأدارسة إن حاربوا مع جيش الميسور ترك لهم المغرب وبالفعل كان لهم ذلك حيث تولى الأمر القاسم بن محمد الملقب بكانون ، وهو أخو الحسن الحجام المتقدم والقاسم ، و هذا هو الذي ينسبه المؤلف الى المتوكل .

ثم تطرق إلى دولة الحموديين بالأندلس ، و ذكر أعقاب الأدارسة في الأندلس حيث كان فيها أخوان هما علي و القاسم بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس و كان بسبتة ثم دهب الى الأندلس ، و كان قائما عليها آنذاك هشام المؤيد وقد أوكل هذا الأخير أمر أهل سبتة اليه ، و لما كان الأمر للمستعين جعل علي بن حمود على سبتة و استمال أكثر جيوش الأندلس ، و استولى على قرطبة كما دعا عليا بن حمود الناس لبيعته و سمى نفسه بالناصر إلى أن لقي حتفه على يد صقالبة استخلصهم لنفسه ، و بويع بعده أخوه القاسم بن حمود ، و لما بلغ الأمر ابنه يحيى ثار عليه و استولى على مدائن الأندلس و تلقب بالمعتلي ، و احتدم الصراع بين الأسرة الواحدة حتى قتل في حصاره لاشبيلية ، و قتل البرازلي غيلة بدس من ابن

---

[1] ـ راشد بن منصة الأوربي البربري ، كانت قبيلته تقطن في صدر الإسلام سفح جبل زرهون وسهل سايس ، سبي صغيرا مع أبيه في غزو موسى بن النصير وأرسل إلى المشرق ، سعدون عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب ، دار النهظة العربية للطباعة والنشر، ط / 1 ، 1408 هـ - 1987 م ، ص : 60 .

[2] ـ أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 39 ظ – 41 ظ .

العباد فبايع أصحابه أخاه يحيى بن إدريس ، و تلقب بالمتأيد فتوجه الى قتال ملوك الطوائف و قد مات بعد يومين من قدوم رأس ابن العباد اليه ، و قد ولي الأمر بعده ابنه ، فلم يكن له نهوض فاستدعى أصحابه الحسن ابن أخيه المعتلي من سبتة و بايعوه و لقبوه بالمنتصر ، وكان صراعا محتدما بين الأسرة الواحدة على السلطة من الإخوة وأبناء الأعمام وغيرهم ، واستقر الحكم في نهاية المطاف لمحمد المستعلي إلى أن تغلب عليه باديس بن حبوس صاحب غرناطة ففر إلى المرية ثم استدعاه أهل مليلة ومات هناك ، وبموته انقرضت دولة بني حمود الأدارسة من الأندلس والمغرب ، ثم ذكر خبرالسليمانيين في المغرب الأوسط ، حيث ذكر المؤلف نسب السليمانيين ومجيئ أخ إدريس بعد موته ومبايعة زناتة له ، وتملكه لها مدة طويلة ، وخلفه بعد موته محمد بن سليمان ، الذي استدعى ابن عمه إ دريس ليستعين به على البلاد المشرقية وبعد رجوعه فرق محمد بن سليمان على بنيه أعماله ، ولما هلك تملكها ابنه أحمد وترك الحال مع اخوته على ما هو عليه ، فصار كل واحد منهم بموضع يتوارثه أعقابه واختص هو وأعقابه بدار الملك التي هي تلمسان ، فلما هلك تملكها من بعده ابنه محمد بن أحمد فلما هلك محمد ، تملكها من بعده ابنه القاسم بن محمد ، وهو آخرهم وعليه تغلب بنو عبيد.

ذكر صاحب المصنف أن القاسم هذا هو جد المتوكل مستندا برأيه بكتاب ترجمان العبر وبعد تغلب العبديين دخل بنيوعبد الواد ، القاطنون بصحراء تلمسان وأصهر فيهم كما أشار إلى رأي ابن خلدون في هذه القصة ثم ذكر عيسى صاحب أرشكول ومن خلفه من أبنائه ثم ذكر إدريس صاحب جراوة ومن خلفه ثم ذكر الحسن صاحب تهرت ثم ذكرابراهيم صاحب تنس ومن خلفه.[1]

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 41 ظ – 43 و .

الباب السابع: " في بيان شرف بني زيان و تتبع دولهم إلى دولة مولانا المتوكل فخر الزمـــان "

استهل هذا الباب بربط سلالة شرف بني زيان بالأدارسة عن طريق ياغمرا سن بن زيان الذي رفع نسبه إلى آل البيت و بويع في سابع عشر جمادى الأخيرة من سنة سبع وثلاثين وستمئة هجرية ، وأتبع ذلك أول من قام بالأمر و هو جابر بن يوسف و كيف سار الملك إليه ، وسيطرته على أحواز تلمسان ، و بعد هلاكه تولى الأمر بعده ابنه الحسن ثــم تركه لعمـــه ، و لسوء تدبير هذا الأخير خلع و بويع أبو عزة بن زيدان فاستولى على أعمال تلمســـان ، و قتل في حروب قبلية ، و بعد هلاكه قدم أخوه يغمراس للحكم .

وبدأ حديثه بمدح يغمراسن و تمجيد أعماله ، و ما وقع في بداية ملكه من شحناء مع جيرانه وأتبع ذلك ذكر الهدية التي أرسلها الأمير أبو زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي إلى سعيد بن المأمون فاعترضها يغمراسن ، فلم يعترض سعي ،فتولى الأمر أبو زكريا وخلع طاعته وتوجه إلى تلمسان ، و ما كان ليغمراسن إلا الفرار إلى جبل ورنيد ثم ذكر الصلح الذي أنهى الخلاف بينهما ، وزاد من غضب السعيد الذي عزم على الاستيلاء على مملكتهما فحاصر يغمراسن الذي تحصن في تامزيردكت ، و أنهى هذا الحصار بوفاة السعيد على يد يوسف بن خزرون سنة 646 هـــ و كانت فرحة كبيرة لدى الوزير أبي علي الحسن بن خلاص صاحب سبتة المخلوع |، حيث أنشد شاعره قصيدة يعرب فيها عن سعادته بالخبر كما ذكر ماحصل عليه يغمراسن من نفائس من بينها مصحف عثمان رضي الله عنه ، و كيف تنقل من الشام إلى الأندلس إلى أن استولى عبد المؤمن بن علي على الأندلس و أخذه إلى مراكش بعد ذلك ، ثم أتبع ذلك ذكر عبقرية السلطان و أعماله واهتمامه بالعلمـــاء وتكريمهم ، وذكر وفاته وهو ابن ست وتسعين سنة ودامت خلافته أربع و أربيعن سنة و خمسة أشهـــر و إثنـــى عشر يوما.[1] وقد خلفه أبو سعيد عثمان و بدأ المؤلف بمدحه و ما قام به من

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، 43 و – 45 ظ .

أعمال و تقويم كل زائغ و إرجاع ما سلب ، كما ذكـــر الحصار ووصف ما قام به يوسف بن يعقوب المريني من تشييد القصور و الحمامات والفنادق و الأسواق مستطيلا مدة الحصار ، و فيه توفي أبو سعيد بنزلة أصابته في الحمام عام :703 هجرية بعدما دام ملكه احدى و عشرين سنة و تولى الحكم بعده أبو زيان محمد ، و مدة حكمه قصيرة لمرض أصابه ، فخلفه أبو حمو موسى الاول و مدحه و وصف ما كان في تلمسان أنذاك من غلاء الأسعار و موت الرجال و كيف جاء يوم الفرج بعد حصار دام ثمانية أعوام و ثلاثة أشهر بعد مقتل يوسف بن يعقوب ، و ما قام به أبو موسى الأول من إصلاح و استعداد للأزمات و متابعة الثوار و من خانوا الدعوة في الحصار كما أشار الى السبب الذي زاد من حقد ابنه أبي تاشفين و هو عدم امتثاله لأوامره اتجاه خاله ، ففضل ابن عمه مسعود بن أبي عامر على ولده أبي تاشين كما ذكر هلاك أبي حمو ، و مآثره الجميلة من اهتمامه بالعلم و تكريم العلماء ثم ذكر دولة عبد الرحمان أبي تاشفين و مدحه ، و ذكر آثاره و ما أنشئ في عهده من العمارة و الدور و ما وفد عليه من العلماء في عهده وأتبع ذلك دكر عملياته الحربية و ما استولت عليه جيوشه حيث وصلت تونس ، فبعث الأمير أبو يحي ابنه يحيى الى الأمير أبي سعيد صاحب فاس رغبة منه في كفّ عادية السلطان فأوفد رسلا إلى الملك أبي تاشفين يطلب منه مسالمته فأبى و كان ذلك سببا في تحرك الجهتين ضده مما تسبب في وفاته و من معه يوم الأربعاء 28 رمضان 737 هـــ مسجلا ذلك بقصيدة يتأسف فيها على ماوقع ، و بهذا يكون الاختفاء الأول حيث استولى عليها أبو الحسن المريني ، لكنها عادت من جديد على يد الأخوين أبي سعيد و أبي ثابت بعد مساعدة عرب سليم في وقعة تونس و انهزم أبي الحسن المريني و قامت الدولة من جديد حيث بويع أبو ثابت في شهر ربيع الأول سنة 749 هـــ وأقام سياسة التحالف مع الخارجين عنه من قبل وبعد الاستقرار في الملك وقد بدأ بمحاربة كل من شق عصا الطاعة ، وهنا تدخل أبوعنان ليشفع لمغراوة[1] مراسلا الأمير أبا ثابت فأبى هذا الأخير وزحف إليه ولقيه أبو سعيد في جيشه خارج تلمسان فالتقى الجمعان بوادي القصب و كانت

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 45 ظ – 48 ظ .

الهزيمة إذ كبا فرس أبي سعيد فأخذ وقتل يوم السبت 11 جمادي الأول عام 753 هـ فكان هذا الإختفاء الثاني للدولة ثم قامت على يد أبي حمو موسى الثاني الذي نجا من قبضة والي بجاية بعد ما ألقي القبض على عمه أبي ثابت و وزيره يحيى بن داود ولقي دعما من تونس حيث شد أزره أبو إسحاق بن أبي يحى بن أبي زكرياء و قبائل بني عامر و جماعة من زناتة فتوجه إلى تلمسان ، و أرسى أركانها و ساس أهل مملكته بالسيرة الحسنة كما كان أديبا و شاعرا و ذكر المؤلف أن له تصنيفا سماه " نظم السلوك في سياسة الملوك " كما وصف طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف و القصائد التي قيلت فيه ثم أدرج بعد ذلك مآثر أبي حمو و حروبه ، و اعتناءه بالعلم و أعماله منتهيا بذكر هلاكه غرة ذي الحجة سنة 791 بسبب السعايات بينه و بين ابنه الذي استعان بالمرنين ضد أبيه ثم ذكر ولاية أبي تاشفين و مدحه و ذكر أعماله و احتفاله أيضا بالمولد النبوي الشريف على منوال أبيه ثم ذكر مدة خلافته التي دامت ثلاث سنين و أربعة أشهر و ستة عشر يوما و مات على سرير ملكه في السابع عشر ربيع الثاني عام 795 هـ ثم أدرج ذكر ولاية أبي ثابت يوسف بن تاشفين و مدحه و ذكر غيلة عمه الحجاج و سطوته على الملك ، و تأسف المؤلف على التفكك و قطع الأرحام الذي آلت إليه الأسرة ثم ذكر ولاية الحجاج ، و كيف آلت من بعده إلى أبي زيان محمد بن أبي حمو ووصفه و مدحه و ذكر مآثره مبينا تمجيده للمصحف الذي نسخه بيده ونسخ أيضا صحيح البخاري و الشفاء لأبي الفضل عياض كما ألف كتابا سماه " كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة " ثم ذكر مقتله سنة 801 هـ ثم أدرج بعد ذلك ذكر دولة أبي محمد عبد الله الذي بدوره غدرته بنو مرين حيث خافت عاقبته وبعد ذلك ذكر دولة أبي عبد الله محمد المعروف بابن خولة وو فاته ، و ذكر مجموعة من أمراء الدولة فكان ترتيبهم كالتالي دولة عبد الرحمن بن محمد بن خولة ثم تلته دولة السعيد بن أبي حمو ثم دولة أبي مالك عبد الواحد ومقتله ، ثم دولة أبي عبد الله محمد المدعو بابن الحمراء ، ثم التدخل الحفصي لإرجاع عبد الواحد إلى الملك ، ثم مقتله و كان صاحب الإ مارة هذه المرة

أبا العباس أحمد العاقل و كانت بيعته يوم الجمعة غرة رجب 834 هـ ، كما ذكر دولة أبي عبد الله محمد المستعين بالله ، و كانت له فتوحات ذكر منها فتح متيجة و المدية و مليانة و تنس وغدر به و قتل في الثاني من شوال سنة 843 هـ ثم أتبع ذلك ذكر ثورة أحمد بن ناصر بن أبي حمو كما ذكر ثورة محمد المتوكل " و هو الذي كتب المؤلف في عهده هذا التصنيف الملوكي له" حيث ذكر المدن التي فتحها إلى أن دخل تلمسان و فر الأمير أحمد إلى منطقة العباد يوم الإثنين 1 من جمادي الأولى و ذكر بيعته و اسمه الكامل حيث قال " مولانا أبو عبد الله محمد بن مولانا أبي زيان محمد بن مولانا أبي ثابت" كما ذكر منافسيه و خاصائصه من نسبه الشريف و كرمه و حسن معاملته للسلطان أحمد المخلوع الذي فرّ إلى الأندلس معززا مكرما ثم أشار إلى ثورة محمد بن غانيــة و أتبعها بقصيدة في مدح المتوكل أولاده مطلعها [1]:

أرقت لدمع من جفوني ينحط   كنثر نفيس الدر إن خانة السمط

ثم ختم هذا الباب بأن الكتــاب لا يحتمل كــل مدائحــه و مناقبه و صفاته ثم أدرج شجرات نسب المتوكل[2].

القســم الثــاني

فيما يختص بالملك من الخصال وما يليق من حسن السيرة وجميل الخلال

يرسم التنسي في هذا الجزء السياسة التي يجب أن يتبعها الملك ليستقر ملكه وقد ركزعلى الخصال التي يجب أن يتحلى بها ، وهنا عاد إلى التاريخ الإسلامي الأول فهو القدوة لمنبع الصالح لكل سياسي و يشتمل على ثلاثة أبواب .

الباب الأول: " **في السياسة** " يقول اعلم أن سياسة الملك لاغنى عنها للملك إذ لم يستغن عنهــا الرسول صلى الله عليــه وسلــم و الخلفاء الراشدون و ذكر منها حسن السيرة والرحمة في التعامل مع الرعية مستشهدا بقول الله " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضّوا من حولك " [3] وبعد ذلك جاء بأحاديث لرسول الله

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 48 ظ – 65 و .
[2] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 65 و – 67 ظ .
[3] - سورة آل عمران ، الأية 153 .

صلى الله عليه وسلم منها : كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته " وهذا الحديث يشير إلى المسؤلية في عمل الأمانة وتقديرها حق قدرها كما ذكر حديثا أخر في حسن السياسة " كل أمير لم يحط رعيته بالنصيحة لهم لم يشم رائحة الجنة " وهنا نرى جرأة التنسي في توجيه السياسة كما روى صفات كانت لعمر بن الخطاب و علي رضي الله عنهما يقصد بها خصالهم في السياسة و المعاملة وقد جمع ذلك كله في قول المهلب: خير الولاة من كان في رعيته كأنه غائب عنها وهو شاهد فيها ، و كان المحسن في أيامه آمنا و المسيئ خائفا " كما أدرج كيف كان الملوك يقسمون أيامهم ينصفون الرعية و النفس و الأهـــل و أورد كيف كان رسول الله ص الله عليه وسلم يقسم وقت نهاره و ليله و ذكر بعد ذلك قصة رواها الفضل بن سهل عن ملك خزر و أخته و كيف واجهت هذه الأخيرة غضب الرعية بتوجيهاتها الحكيمة و كيف أهمدت هلعهم و تذمرهم ، حيث استثمرت حسن السياسة في تدبير ملك أخيها و قد أفلحت في ذلك فلاحا سر به أخوها ، و قدر لها ذلك تقديرا عظيما ، ثم أدرج وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكره فيها بالتقوى و لزوم الحق وثقله في الميزان و الأعمال المقبولة عند الله [1] كما أورد حكمة فارسية تقول" إن الملك والعدل لاغنى لأحدهما عن الآخر فالملك أسّ والعدل حارس " و نماذج جلها تصب في تسيير المملكة ومن أمثلة ذلك ما قالته أم لابنها : يابني ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء : وزير يثق برأيـــه ويفضى إليـــه بســـره ، حصن يلجاء إليه إذا خاف ،سيف إذا نازل الأقران ، ذخيرة خفيفة المحمل ،امرأة إذا دخلت عليه أذهبت همه ،طباخ إذا لم يشته الطعام وضع له ما يشتهيه .

ثم أدرج بعد ذلك قصة المأمون و من أرادوا الخروج عليه في خراسان فاستشار الفضل بن سهل وزيره ، فأرشده إلى حسن معاملة الرعية ورد المظالم ورفع الضرائب فكان له ما شاء و أتبعها بذكر وقائع حدثت في عهد معاوية و سيدنا علي رضي الله عنه ، من بينها ذكر حادثة تدبير مقتلهما . كما أشار إلى الساسة المشهورين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأورد الأحاديث و من بينها

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 68 و – 69 و .

قوله صلى الله عليه و سلم :"ما تشاور قوم الا هداهم الله لإرشاد أمورهم" وفي هذا الحديث إلى إشارة إلتزام الشورى لأنها الهداية والحكم ، وأقوال بعض الصحابة منها : من كثرت استشارته حمدت إمارته " وذكر أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : استرشدوا العاقل ترشدوا " كما ألمح إلى خصال المستشار ومنها أن يكون ذا عقل وافر ، وذا تجربة وأن يكون ذا نصيحة ومودة وأن يكون سليم الفكر لاتشغله هموم الدنيا .

و عن كتمان السر أورد قول علي رضي الله عنه:" سرك أسيرك فان تكلمت به صرت أسيره "[1] وبعد هذا نبه المؤلف إلى أسس اختيار العمال وهي الكفاءة والحزم وأن لا يولى الولاية من يطلبها ولا من يرغب فيها [2].

و قد أكثر من ذكر أقوال حكام و أمراء المشرق و حكماء أجانب و أضاف أن على الحاكم الحذر في معاملة العدو عدم استئمانه و تدبير أمر الحرب و ما يلقى في قلـــوب الجـــند و أفـــكارهـــــم ، و الخطوات التي يتبعها القائد الناجح في حربه ، و ذكر سياسة الحرب التي يجب اتباعها ، فأورد رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن أبي وقاص و نصحه له بتقوى الله ، و تذكير الجند بنعم الله ، و رعايته لهم و الرفق بهم و مد العيون على العدو، و عدم تصديق الكذوب و الإكثار من الطلائع و السرايا و جمعهم في حالة الخوض في الحرب بعد معرفة الأرض كمعرفة أهلها وضرورة تقديم الرجل البطل الشجاع الباسل الصادق لمقارعة الأقران وهنا جاء بالحكمة التالية :" أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد " ثم تابع نصائحه في الحرب وضرورة اتخاذ الكمائن ووصفها ومتى وكيف تكون[3] واضح من هذه النصوص أن التنسي يقدم نصائحه للحكام ولكن وراء النصوص وكلها تصب في الحكم الراشد

---

[1] ـ خصص الأبشيهي لهذا الموضوع الباب الثامن والثلاثين في كتمان السر وتحصينه وذم إفشاءه أما التنسي فلم يضع له عنوان بل أدرجه تحت باب السياسة ولم تتشابه الروايات التي سردها كل من التنسي والأبشيهي في كتابيهما ، الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 226 .

[2] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 69 و – 72 و .

[3] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 72 و – 73 ظ .

الباب الثاني: " **الخصال التي بها كمال الملك** "و قد قسمها الى ثلاثة خصال و هي : الجود , الشجاعة , الحلم .

الجود:

و هو أساس الملك و كماله و تاجه تعنو له الوجوه وتذل الرقاب و تستمـال بـه الأعداء و تحقن به الدماء و جعل القدوة الرسول صلى الله عليه و سلـم حيـث[1] أدرج أفعالـه و عطاياه من الإبل و المال و الذهب و من اقتدى به من الصحابة في الجود و العطـاء و الإنفاق و كيف كانوا يفرقون الأموال على المسلمين بسخاء و أعطى أمثلة لسيدنا عمر و عثمان و علي رضي الله عنهم كما أشار إلى أن علي كرم الله وجهه كان يطلب من الرعية كتابة مشاغلهم في كتاب حتى لايظهر ذل السؤال على وجوههم [2] كما ذكر جود طلحة بن عبيد الله الذي سمي "طلحة الخير" و " طلحة الجو و جود عائشة رضي الله عنها عندما أعطت لسائل رغيفا كان عندها و هي صائمة ، أتبعها قصصا لأبناء علي الحسن و الحسين رضي الله عنهم و عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ولم يغب عنه كرم علي وأبنائه رضي الله عنهم والخلفاء الراشدين والخلفاء العباسيين وسخائهم بدءا من أبي جعفر المنصور[3] وما كان منهم من إغداق الأموال على الشعراء ، فرتب أمراء بني العباس بدأ بالسفاح و ثانيهم أبو جعفر المنصور و عطاءه الأموال بسخاء خاصة الشعراء منهم و المهدي و سخاءه مع الرجل الذي جمع ألاف الدراهم حتى يرضى بتزويج ابنته لرجل شكى له حاله معهـا ثم ذكـر الهـادي و الرشيد و الأميـن و المأمون و المعتصم و الواثق و المتوكل ثم أتبع ذلك من أشتهر بالجود و منهم طلحة بن عبد الله الخزاعي و عبد الله بن معمر القرشي [4] و من أشتهر بالجود حتى ضربت به الأمثال معن بن زائدة و يحيى بن خالد البرمكي

---

[1] ـ كان علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه لاينفق من بيت المال إلا بحقه وإنما أعطاه ما ملك ، الأبشيهي المستطرف ، ص : 183 .

[2] ـ ذكر الأبشيهي هذه الرواية مطابقة في اللفظ والمعنى ، الأبشيهي ، المصدر نفسه ، ص : 183 .

[3] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة :73 ظ – 78 ظ .

[4] ـ لقد خصص الأبشيهي في كتابه المستطرف الباب الثالث والثلاثين في الجود والسخاء والكرم ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف وذكر الأمجاد وأحاديث الجود لكن معظم رواياته لم تتشابه مع ما أتى به التنسي الذي خصص لهذه الخصلة عنصرا يرشد بها كمال الملك إذ يلاحظ أنّ التنسي قد ركز على سرد الروايات المتعلقة بسخاء وجود آل البيت

و من رؤساء الأجواد طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي و ابنه عبد الله بن طاهر و من مشاهير الأجواد بن داود قاضي القضاة أيام المعتصم الواثق ، و الفتح بن خاقان وزير المتوكل.[1]

الشجاعة: [2]

و قال إنها أصل الخير كله ، منها تتفرع جميع الفضائل و أعطى المثل الأعلى لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، حيث ذكر قول أنس رضي الله عنه بأنه أشجع الناس و أدرج شجاعة علي و حمزة رضي الله عنهما ، و مرافقتهماا لرسول صلى الله عليه و سلم في الغزوات و قد رثاه عبد الله بن رواحة:

بكت عيني و حق لها بكاها وما يغني البكاء و لا العويل

ثم ذكر مشاهير أبطال الصحابة مبتدئا بخالد بن الوليد رضي الله عنه و أشد ما عناه في عهد أبي بكر رضي الله عنه عندما واجه مسيلمة الكذاب ، ثم ذكر البعثة التي أرسلها الى العراق و هم خالد مراجعة بن الوليد رضي الله عنه بعد ما أرسل عمرا بن العاص لفتح مصر في أربعة آلاف ، فلما رأى جيوش أهل مصر كتب الى عمر يستصرخه فبعث اليه أربعة ألاف على كل ألف منها رجل يقوم مقام الألف و هم الزبير و المقداد و عبادة بن الصامت و خارجة بن حذافة و كتب اليه اعلم أن معك اثنى عشر ألفا ثم مدح الزبير بن العوام و ابنه عبد الله و الشجاعة التي أبداها حينما كلف عثمان رضي الله عنه ابن أبي سرح بفتح ، إفريقيا و وعد من قتل الملك النصراني جريرا، أن يعطيه ابنة الملك ، ففاز بذلك عبد الله بن الزبير .

كما ذكر شجاعة أخيه مصعب و ابنيه عيسى و طلحة بن عبد الله رضي الله عنهم و مرافقته لرسول الله صلى عليه و سلم خاصة في غزوة أحد و الضربات التي

نزولا إلى الصحابة والخلفاء الراشدين والعباسيين ، وقد ذكر التنسي رواية جود عبيد الله بن معمر التميمي القرشي كاملة و مفصلا فيها منبها إلى أن البعض ينسب الرواية إلى ابنه ، وفعلا كان الأبشيهي ممن نسبوها إليه حيث سرد الرواية مختصرة ، وكان له خلط وتغيير في الأبيات التي أوردها التنسي . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 186 ، 187 . أبو عبد الله التنسي ، مخ : نظم الدر والعقيان ، و84 ظ ، 85 و .

[1] - - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 78 ظ – 97 و .

[2] - خصص الأبشيهي الباب الأربعين في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان ، الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 235 .

تلقاها ووقايتــه لرسول الله صلى الله عليــه و سلم حتى قطع أصبعه كما أشار الى شجاعة أبي دجانة الأنصاري الذي كانت له مواقف شجاعة في الحروب و عصابته الدالة على الموت، كما ذكر البر بن مالك أحد أبطال الأنصارالمشهورين ، و عبادة بن بشر الأنصاري و عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق ، و ضرار بن الأزور و ميسرة بن مسروق الخزاعي أحد أصحاب أبي عبيدة رضي الله عنه و مالك بن الحارث و عبد الله بن حازم و أورد كثيرا ممن عرفوا بالشجاعة قبل و بعد الإسلام ثم قال إن الشجاعة باقية ببقاء الدهر في مر الزمان.[1]

الحلم:

هو من أشرف الأخلاق و أخفها لذوي الألباب ، لما فيه من راحة السر و سلامة العرض و وضع القدوة ، و في ذلك الأنبياء وضرب مثلا للنبي إبراهيم عليه السلام كما ذكر حلم الرسول صلى لله عليه وسلم عندما أذاه أهل الطائف و استأذان الملكين على أن يطبق عليهم الاخشبين فرفض راجيا أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ، و كان علي رضي الله عنه يوصي و يحرض علــى الحلــم و كان للحسين بن علي رضي الله عنهما غلام ، فجنى جناية أوجبت عليه عقابا شديدا ، فلما أقعده للضرب قال يا مولاي : و الكاظمين الغيظ ، قال: قفوا فقال يا مولاي ، و العافين عن الناس ، فقال عفوت عنك ، قال : يا مولاي و الله يحب المحسنين [2] وروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن المعروف بالباقر أنه كان يقول من" كظم غيظا يقدر على إمضائه حشى الله قلبه ايمانا".

و ذكر بعض العلماء أن حد الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب و ذكر أنه أوتى عبد الملك برجل فأمر بقتله فقال يأمير المؤمنين إنك أعز ما تكون و أحوج ما تكون إلى الله فاعف له فإنك به تعان و إليه تعود ، فخلى سبيله.

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 97 و – 110 ظ .

[2] - لقد ذكر الأبشيهي الرواية نفسها لكنه نسبها إلى جعفر الصادق رضي الله عنه على عكس التنسي الذي نسبها للحسين بن علي رضي الله عنهما إضافة إلى أن الغضب كان عند الحسين رضي الله عنه جناية غلامه التي أوجبة عقابا ، أما جعفر الصادق فكان غضبه بسبب أن غلامه قد أوقع الإبريق على الطست عندما كان يصب الماء فطار الرشاش في وجه جعفر . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 213 .

و كان عمر بن عبد العزيز يقول : " ما قرن شيئ أفضل من حلم إلى علم و من عفو إلى قدرة " و قال ثلاثة من اجتمعن فيه فقد سعد بهن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحــق و إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، و إذا قدر عفا وصفح ، و أسمعه رجل يوما كلاما يكرهه فقال له عمر : " لا عليك إنما أردت أن يستفزني الشيطان ، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا انصرف غفر الله لك ورحمك " ، فانصرف الرحل و ذكر أمثلة كثيرة في هذا المجــــال[1].

الباب الثالث : " في الخصلة التي هي روح خصال الملك المحمودة ، العدل "

اعلم أن العدل هو قوام الملك و به دوام الدول اذ هو اساس الولاية [2] قال الفهري : العدل ميزان الله في الأرض به يؤخد للضعيف من القوي و للمحق من المبطل فمن رفع ميزان الله الذي وضعه بين عباده فقد تعرض ، لسخط الله [3] ، و قالت الحكماء مملكة لاعدل فيها كجسد بلا روح ،و من النفوس من لا يصلح بالعدل مفردا حتى يكون معه إحسان و لذلك امر الله بهما جميعــا فقــال "إن الله يأمــر بــالعدل و الإحسان " و ذكر أحاديث نبوية شريفة أظهر فيها منزلة الامام العادل قال عليه الصلاة والسلام " عدل الإمام في رعيته يوما خير من عبادة خمسين سنة بقيامها وصيامها " [4] ، كما ذكر أن بالعدل تصلح الدنيا و تعم البركة ، و تكثر المنافع ، ثم أتبع ذلك قصة الهرمزان الذي جيئ به الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يجده في بيته ، ولما قيل إنه بالمسجد قال الهرمزان اما له بواب ، أما له حاجب ، فقيل له : لا ، فلما أتوا المسجد وجدوه مستلقيا ، و ما معه أحد فقال له الهرمزان : عدلت ، فسلمت ، فنمت . كما ضرب مثلا عن الصحابة عثمان و علي رضي الله عنهما و ذكر مقولة علي رضي الله عنه : " إمام عادل خير من مطر وابل " ، و يوم العدل على الظالم أشد من

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 110 ظ – 121 و.

[2] - خصص الأبشيهي الباب التاسع عشر في العدل والإحسان والإنصاف وغير ذلك مثل ما خصص التنسي الباب الثالث من القسم الثاني للعدل ووصف أن هذه الخصلة هي روح خصال الملك المحمود وكانا يبدآن بالكلمة نفسها " اعلم "

[3] - ذكر الأبشيهي هذه المقولة لكنه لم يورد قائلها بل كانت في سياق كلامه . الأبشيهي ، المستطرف ، ص :121 .

[4] - ذكر هذا الحديث كل من الأبشيهي والتنسي لكن بلفظ مختلف بينما المعنى واحد ، الأبشيهي ، المستطرف ص : 121 .ونشير هنا أن التنسي كا ن أكثر توسعا وسردا من الأبشيهي في هذه الخاصية .

يوم الجور على المظلوم " و روي عن عامل حمص كتب الى عمر بن عبد العزيز أن سور المدينة يحتاج الى تحصين ، فكتب اليه عمر رضي الله عنه حصنها بالعدل و نق طرقها من الجور[1] " و لما ولى المهدي بن أبي جعفر المنصور الربيع بن أبي الجهم على أرض فارس ، قال يا ربيع آثر الحق و الزم الصدق و ابسط العدل و ارتفق بالرعية و اعلم أن اعدل الناس من أنصف من نفسه و أجورهم و من ظلم الناس وجاء بقول المأمون إن أول العدل أن يعدل الرجل على نفسه ثم على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى.

و قيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق قال الخلد في الدنيا قال فما قيمة الكذب قال صوت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل فما قيمة الجود قال ذل الحياة.

ثم أتبع ذلك فوائد العدل فقال:إن به صلاح البلاد و العباد و القرب من الله و الفوز بالجنة أما الجور فيفسد البلاد و به ترتكب المعاصي المؤدية الى دار البوار ، ثم ذكر أن السلطان العادل في رعيته يؤجر على إقامة العدل و علة ما يتعاطاه الناس من فعل الخير بسبب عدله و ذلك اذا جار السلطانيبعاقب قال بعض الحكماء إن العدل وإن كان به أعلى درجة فهو مما يندرج في باب السياسة ، و بها الخصلة التي هي روح الخصال المحمودة و عليها مددها و فيها سرها وهي التوكل على الله و التفويض أمره و التسليم لقضائه و قدره ، و ذلك من عقائد أهل السنة اللازمة ، وأدرج أحاديث نبوية و أقوال علماء منها ان التسبب لا ينافي التوكل و أن الذي ينافيه الاعتماد على الاسباب و إنما الواجب الاعتماد على مسبب الاسباب ، كما أتى بقصص بعض الصحابة و أمراء بني العباس حـــول التوكـــل [2] و أنهى هذا الباب بأبيات شعرية كلها نصب تحث على التوكل و تقسيم الارزاق منه واقال بكر بن حماد:

تبارك من ساس الأمور بعلمه	و ذل له أهل الســمــوات و الأرض
و من قسم الأرزاق بين عباده	و فضل بعض الناس فيها على بعض

[1] ـ هذه الرواية ذكرها الأبشيهي مطابقة للمعنى باختلاف يسير في الكلمات ، الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 121 .

[2] ـ نلاحظ في هذا الباب أن التنسي انتقل من الكلام عن العدل إلى التوكل دون عنونته على خلاف الأبشيهي الذي خصص له الباب العاشر من كتابه أدرجه تحت عنوان التوكل على الله والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وقسمه إلى فصول ، الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 82 .

و قال الخولاني رحمه الله:

توكل على الله فهو الذي يسبب للرزق أسبابه
و يأتيك بالرزق من حيث لا تظن و يفتح أبوابه[1]

فمن خلال هذه الحكم والأقوال التي ساقها التنسي يبدو أنه كان حريصا على ترشيد السلطان ، والنصح له إذ جاء بكم كبير من الحكم التي تعد صمام أمان للحكم الراشد ودوامه ، فالمؤلف وإن بدأ في بعض فصول كتابه ملوكيا إلا أنه لم يتخل عن وظيفته كعالم وهي ترشيد الحاكم ورسم الدستور للدولة فلولا مدحه له لما قبل منه هذه النصائح.

القسم الثالث " في ذكرملح ونوادرمستظرفة رويت عن أجناس مختلفة"[2]

الباب الأول : " في ذكر ما روي عن ظرفاء الملوك " في هذا القسم ذكر ملحا ونوادر مستطرفة رويت عن أجناس مختلفة و تشتمل علـــى تـــة أبـــواب ، كما أدرج فـــي هذا الفصل فضل من هو أحسن خلق مع أهله واستدل على ذلك بأحاديث نبوية شريفة ، و ما روي عـــن الخلفاء فـــي حسن الطبائع و المعاملة و نماذج من الشعر عن ذلك ، و عن المحدين و أحوالهم و معاملة الخلفاء لهم و محبتهم للشعرو حفظهم له فكانت الأبيات بماتحمل من معاني قوية الدلالة و كلماتها معبرة و كان لها أثر بليغ في الحرب و الحب و الوفاء و غيرها و قد جاء بنماذج كثيرة منهاما قاله عمر بن عبد العزيز:

اذا كنت تعلم أن الله يا عـــمـــر يرى و يسمع ما تأتى و ما تـــذر
و أنت بغفلة عن ذلك ترتكب ما عنه نهاك فأيـــن الخوف و الحـــذر
تجاهر الله إقداما علـــيـــه ومن حثالـــة الناس تـــستحي و تستتـــر
فأنظر لنفسك يا مسكين في مهل ما دام يـــنفعك التفكـــــير و النظر

---

[1] - - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، 121 ظ - 128 و .

[2] - خصص ابن عبد ربه كتاب اللؤلؤة الثانية في الفكهات والملح حيث أتى بمجموعة من الأحاديث التي تنصح بالترويح على النفس ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 6 ص ص : 392 – 475 .

قف بالمقابرو انظر ان وقفت بها   للـــه درك مـــاذا تســـتر الحـــفـــر
ففيـــهـــم لك يامـــغرور موعظة   و فيـــهـــم لك يا مـــغـــرور معـــتبر

و أدرج بعد ذلك أبياتا لشعراء وفدوا عليه كما كانوا يفدون على الملوك من بينهم جرير و عمر بن أبي ربيعة و الفرزدق و الأخطل و كلهم رفض مقابلتهم للمعاصي في شعرهم إلا جرير لحسن أدب شعره [1] و أدرج بعدها أبياتا شعرية و ذكر أن الشعراء كانوا يفدون الى يزيد بن عبد الملك و أخيه و غيرهـــم وذكرالأصمعي الذي استدعاه الرشيد و قد علق المؤلف على مجموعة من الأبيات موضحا فيها رأيه و كان حوار بين الرشيد و الأصمعي حـــول الشعر و ما يتضمنه من تشبيهات و استعارات و أتبعها بقصص عن المأمون و أورد له شعرا حول جارية تمنعت عنه و جعل المأمون عهده بالخلافة لعلي بن موسى و هو مـــن ولد الحسين بن علي رضي الله عنهم فاعدلهم ذلك عند ابن العباس و دافع عن ذلك بمن ولي من أبائهم على ولايات كانت السبب في أخذ الخلافة و أدرج بعض الأبيات قالها الأمراء و الشعراء منهم ابن المعتز و الرضي حول الجواري كما ذكر في هـــذا الباب و لأول مرة أبياتا شعرية لأبي حمو موسى بن يوسف جد المتوكل و قد دعاها بالقصيدة الملوكية :

خليلي قد بان الحبـــيب الذي صـــد   و قد عاقني صبر فلم أستطع ردا

و له أيضا :

الحب أضعف جسمي فوق ما وجب   و الـــشوق رد خـــيالي بالسقـــام [2]

الباب الثاني: " في ذكر شيئ من طرف العلماء و أهل الظرف من كبار الصلحاء "

و قد بدأ بما روى ابن رواحة لرسول الله صلى الله عليه و سلم إذ كانت زوجته تتابعه و كانت له جارية يزورها من حين لآخر فدخلت و قد و جدته معها فأنكرت عليه ذلك فطلبت منه قراءة القرآن فهي كما تعودت عليه لا يقرأ القرآن ، و هو جنب فذكر لها ما حسبت أنه من الكتاب:

شهد بأن وعـــــد الله حـــق   و أن النار تشـــوي الكـــافريـــن

---

[1] - أدرج الأبشيهي هذه الرواية في كتابه المستطرف كما أتى بها التنسي ، ص : 80 .
[2] - - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 129 و – 139 ظ .

و أن العرش فوق الماء طاف   و فوق العــرش رب العالميــن

فقالت آمنت بالله و كذبت ظني ، و لما كلم به رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له مبتسما بأنه من معارض الكلام ، يغفر الله لك يا بن رواحة و " أتبع ذلك بأبيات شعرية حول المحبة ، و ذكر عن الفضيل بن عياض[1] قوله :لو رزقني الله دعوة مستجابة لدعوت الله بها أن يغفر للعاشقين ، لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية ثم أدرج قصة عمر بن ربيعة و مساعدته للفتى العاشق الذي رفض عمه تزويج ابنته الا بأربعمئة دينار فتكفل بذلك كما أدرج قصة جار الامام أبي حنيفة [2] و ما وقع منه و كيف عالج الامام القضية معه كما أدرج قصة ابراهيم بن سعد عند قدومه للعراق و اباحته للغناء و أبيات للشافعي و عبد الملك بن الماشبون و من نظم امام الحرمين الى المعالي الجويني و أبي حامد الغزالي.[3]

الباب الثالث : " في ذكر شيئ من محاسن الشعر " [4]

و روى فيه ما كان من الزبرقان من تقديم صدقات قومه الى أبي بكر الصديق و ما وقع بينه و بين الحطيئة و بني الشماس و عمــر بن الخطــاب و رق قلبه بعد سماع شعره حيث قال:

بسم الذي تبتدأبذكره الســور	و الحمد لله أنما بعد يا عمــــر
ماذا تقول لا فراخ بذي مرخ	حمر الحواصل لا ماء و لا شجر
ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة	فاغفر سلام الله عليك يا عمــــر

ثم أدرج بعدها قصة خلاف عبد الرحمان بن الحكم و عبد الرحمان بن حسان الذي أدى هجاء أحدهما الأخر و كان مما افتخر به ابن الحكم كون الخلافة في قريش و هو

[1] ـ الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، التميمي ، ثم اليربوعي ، خراساني من ناحية مرو من قرية يقال لها فندين وقيل أنه ولد بسمرقند ، أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ، طبقات الصوفية ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط / 2 2003 م ، 1424 هـ ص : 22 .

[2] ـ أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، أخذ عن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة و سهل بن سعد الساعدي بالمدينة ، أبو الطفيل بمكة ، توفي في رجب سنة 150 هـ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، بيروت دار صادر ، ط : 1397 هـ / 1977 م ، ج : 5 ، ص ـ ص : 405 - 414 .

[3] ـ ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 139 ظ - 145 ظ .

[4] ـ لقد خصص كل من الأبشيهي والتنسي أبواب خاصة بالشعر لكن الملاحظ أن الأبشيهي أكثر في إدراج الأبيات الشعرية إذ غلبت هذه الخاصية على الروايات على عكس التنسي الذي وازن بينهما . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 77 ، 445 .

قرشي الى أن وصل الأمر الى معاوية فانزعج لذلك ، و طلب تأديبهما ، كما أدرج ما وقع بين الفرزدق و ابنة عمه نوارة حول الزواج ، و ما قاله من الشعر فيها ، و نصيحة أبي هريرة رضي الله عنه بعد ملاطفته إذ أثر فيه ، فكانت توبته ، و عزم على حفظ القرآن الكريم كما أتبع ذلك معاتبته عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة لقلة توبته و تتبعه لنساء قريش و عبد مناف ثم أدرج بعد ذلك مجموعة من الأبيات الشعرية حول الجواري و المشاعر فقد قدم مسلم بن الوليد المعروف بصريح الغواني على الفضل بن يحيى ، فأقام عنده مرة حتى رأى وصيفة تستقي سبلها كأنها فلقة قمر فلما لمح الفضل مسلما ينظر اليها طلب منه شعرا فيها و تكون له فكان له ذلك ، ثم أدرج بعد ذلك المطاردة الشعرية بين أبي نواس و دعبل الخزاعي و أبي الشيحي [1].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : لمأدرج التنسي هذه القصص ،وهو شيخ الأشياخ ، انها تدل على أنه شيخ غير متعصب ولا متزمت ، انها للفرحة وإدخالا لمسرة على المتوكل وعلى كل قارئ.

الباب لرابع : " في ذكر ظرف من أخبار المحبين " [2] :

وقال فيها إن الحب من الخصال الشريفة الدالة على كمال التركيب و السلامة من الانحراف و ذكر بعد ذلك محاسن الحب ، و ما تفعله المشاعر في المحب ثم ذكر أسماء وصفات و نعوت للحب كما أورد قصص من أنهكه الهوى من بينها الغني الذي سأل معاوية في مجلسه أن يعينه في أمر زوجته حيث كان بينهما خلاف و كاد فراقها يقتله إذ أنشد :

في القلب من النار و النار فيها شرارة و الجسم من نحيل و اللون فيه اصفرار فرق له قلب معاوية فطلب في قضاء أمره وردت إليه زوجته ثم أورد قصة يزيد بن معاوية و هيامه بالجارية و لم يهنأ له بال حتى بعث من يحضرها له لكن وافته المنية قبل حضورها ، و أتبع ذلك قصصا أنهكت و أسقمت المحبين من بينهم عمر بن أبي ربيعة

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 145 ظ – 152 و .

[2] - خصص الأبشيهي الباب الحادى والسبعون في ذكر العشق ومن بلى به من الافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق مبتدئا بتعريف العشق مدرجا بعده فصولا أخرى أما التنسي فعرف الحب وذكر روايات اختلفت مع ما أتى به الأبشيهي ، الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 434 .

و قصة الفتى الذي كان مع المطلب في حرب الأزارقة فقد كان يهوى إبنة عم له فكتب إليها معبرا عن مشاعره و خوفه من بشر بن مروان الذي إن أغضبه أحد يعلقه على الجدران بمسامير ، و ينزع الكرسي من تحت رجليه حتى يموت ، أو يكفل فلما وصلتها ردت بأن المحب لا يخشى العقوبة حتى و لو كانت بالنار و أنشد يقول :

استغفر الله إذا خفت الأمير و لم أخشى الذي أنا منه غير منتصر

و قد وشي به و لما أحضر للعقوبة أنشد شعرا ، فرق قلب بشر بن مروان ، كما جاء بقصة قيس وليلى ، و معاناته من فراقها و زواجها ، و قصة جميل بن معمر و بثينة كما أدرج شعر ذي الرمة المعروف بغيلان أحد مشاهير الحب العذري و صاحبته و ثوبة بن الأحمر صاحب ليلى كما ذكر مجنون بن عامر و ما كان مع قومـــه و أبيه من قصص من بينها أنه سأل قومه أن يدعوا لابنه في الحج ، فكان ذلك و هو معه ، فقال أدع الله أن ينسيك ليلى فتعلق في ستار الكعبة و قال : اللهم زدني لليلى حبا وكلف و لا تنسيني ذكرها أبدا [1].

ولعل في هذه القصص ترويح للمتوكل وتحذير من الانزلاق في مثل هذه الأعمال لأنها تشغله عن خدمة الرعية ، وعبادة الله .

الباب الخامس : " في نوادر الأعراب و أخبار مطرفة وأحاديث معجبة " [2] :

من بين ما أدرج منها ما كان لعتبة بن أبي سفيان و الرجل الذي ظلمه من ولاه على الطائف فجاء يشكوه وبعد إستاذانه له قال :

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم فقد أتاكم غريب الدار مظلوم

فلما أطال الكلام قال له عتبة ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم و ليلة وقال له الأعرابي إن أنبأتك بذلك أتجعل لي أن أسألك على مسألتك فوقف وأنشد :

إن الصلاة أربع و أربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيع

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 152 و – 162 و .

[2] - خصص الأبشيهي الباب السادس والسبعين في النوادر لكنه كان أكثر توسعا وتفصيلا من التنسي حيث قسمه إلى فصول ولم تكن الروايات في هذا المجال متشابهة .الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 518 .

ثم أدرج بعد ذلك قصة فتى أحب جارية فكتم حبه إلى أن ظهر عليه حبها فطلب من أبيه أن يزوجها له لكن لقلة مالهم لم يستطع ذلك فنهض إلى عبد الملك بن مروان وتلطف في الدخول إليه و أنشد يقول :

ماذا تقول أمير المؤمنين من آوى إليك بـــــــلا قرب و لا نــسب
حوله عقله من حب جاريـــــــة موصوفة بكمال الظرف و الأدب
واقلت لـــي حسب عال و لشرف قالو الدراهم خير من ذي الحسب

فأمر له عبد الملك بعشرين ألف درهم ثم أدرج قصصا جلها قيلت للأمير فأضحنته فأعطى مقابل ذلك مالا ، و كان مما قيل في هذا الباب أبيات مستطرفة[1] قالها أهل البادية حيث كانت تطرب المسامع و تفرج عن القلب وحشته ، وتظهر محبة الأمراء للشعر وتلهفهم عليه

الباب السادس : " في ذكر شيء من أخبار أهل الكهانة " [2]

بدأ الفصل بتعريف أهل الكهانة فقال : " هم الذين لهم أصحاب من الجن يخبرونهم بما غاب عن الناس" وذكر استعانة ملك اليمن ربيعة بن نصر بهم بعد الرؤية التي أفزعته فاستدعى سطيحا و شقا و هما أشهر الكهنة ففسراها له وكان لهما تفسير واحد إذ رأى جمجمة فاخبراه بزوال ملكه من بعده و مجيء رسول يدعو إلى الصف [3] و أدرج بعدها قصصا تحكي عن أشخاص كانت لهم حكاية و سماع من الجن من بينهم سواد بن قارب وقصر بن مالك في لهب ، حيث قال لقومه بعدما رأوا قذف النجوم أن النبي الذي يأتي يبطل عبادة الأوثان ، كما ذكر الأمر نفسه الكاهن خنافر بن التوام الحميري ثم أتبع ذلك أهل القيافة فهم الزاجرون و الحاكمون بالفأل فقال الشاعر فيهم

سألت أخا لهب ليزجروا زجرة
و قد صار زجر العالمين إلى لهب

---

[1] -- أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 162 و – 165 ظ .

[2] - خصص الأبشيهي الباب الستين في الكهانة والقيافة والجر والرافة والفأل والطّيرة والفراسة والنوم والرؤية لكنه لم يقسم هذا الباب إلى فصول كعادته بعد ذكر عناوينه كما شرح كل من المصطلحات السابقة الذكر .

[3] - هذه الرواية ذكرها ابن اسحاق في كتابه السيرة النبوية كما هي باختلاف يسير في بعض الألفاظ ، كما خصص الأبشيهي لهذا الموضوع الباب الستين في كتابه الكهانة ، وقد اختلف معهما في بعض الألفاظ وبدل ربيعة بن نصر ذكر ربيعة بن مضر اللخمى . ابن اسحاق ، السيرة النبوية ، ج : 1 ، ص ص : 15 ، 19 . الأبشيهي ، المستطرف ص : 356 .

و كانوا إذا رأوا غرابا تطيروا لذلك ، ووقعت المصائب كما يظنون ، وقد أورد التنسي قصصا عديدة منها قصة من لم يكن له حظ في من يخطبها ، إذ كان كلما تقدم لخطبتها رأى غرابا فتموت المرأة أو تتزوج ، ثم أدرج بعد ذلك الفأل و احتج بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره سيء الأسماء و يعجبه الفأل الحسن [1] فقد روى المؤلف مجموعة من القصص فحواها نجاة أو مصيبة بالاسم فإذا كان حسنا فقد نجا و إذا كان قبيحا هلك ، و من بين ما أورد أن معاوية أمر بقتل حجر بن عدي في ثلاثة عشر رجلا ، و كان السياف أعور ، قال رجل منهم إن صدق الفأل سلم نصفنا فلما قتل سبعة منهم ورد الأمر بتخليهم فنجا [2].

والعجيب أن المؤلف يورد هذه القصص دون تمحيص عقلي فهو خاضع للرواية والنقل وكأن كل ما جاء من الماضي مقدس لا تجوز مناقشته أو أن الهدف من ايرادها هو إطراب السلطان ولذلك فهو لا يغيّر منها.

الباب السابع : " في ذكر شيئ من أخبار المغنين " [3]

بدأ هذا الباب برأي بعض الحكماء في الغناء [4] بأنه يلين الطبع و يبهج النفس و يسجع القلب و يسخي البخيل و يحدث النشاط ن و يذهب الغم ، وقال إن فيه اختلافا بين العلماء في جوازه بآلة أو بدونها [5] كما ذكر أن عهد بني أمية كثر فيه الغناء و المغنون و ذكر أشهرهم و هو معبد [6] الذي كانت له قصة مع جارية ماتت و كـــان ذا صـــوت

---

[1] ـ ذكر الأبشيهي الفأل باختصار واشترك مع التنسي في أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الحسن ، وقد كان الأبشيهي أكثر تبحرا من التنسي في هذا المجال لتطرقه وشرحه لكل من القيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك .الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 356 .

[2] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان : ورقة : 165 و – 169 و.

[3] ـ لقد خصص أبو الفرج الأصفهاني مصنفا احتوى خمسة وعشرين جزءا خصصه لذكر الغناء ومن اشتهر من المغنين فكل من أراد التطرق لهذا الباب يجد منهله ومبتغاه فيه ، أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني شرحه سمير جابر ،علي مهنا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط / 2 سنة 1412 هـ / 1992 م ، ج : 1 ، ص : 43 .

[4] ـ ذكر ابن عبد ربه أصل الغناء ومعدنه في كتاب الألحان حيث كان التشابه كبيرا مع ما أتى به الأبشيهي في كتابه على خلاف التنسي الذي حكى وقعه على النفس وتأثيره فيها لكنه لم يتوسع توسع ابن عبد ربه الذي ذكر أخبار المغنين بدأ من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كما ذكر آلات الغناء والشعر الذي كان يتغنى به الشعراء ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج : 6 ص ص : 35 – 90 .

[5] ـ ذكر في هذا الصدد الأبشيهي اختلاف الناس في الغناء عموما إذ يقول إن أهل الحجاز أجازوه بينما كرهه أهل العراق عامة وذكر حجج كل من الفريقين . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 420 ، 421 .

[6]ـ خصص له أبي الفرج الأصفهاني تعريف مطول ، الأغاني ، ج : 1 ، ص : 43 .

شجـــي و سافر من أجلها إلى الأهواز و علم الجواري اللواتي كن معها إكراما لهـــا ولسيدهـــــا و انصرف إلى الحجاز.

كما ذكر قصة عطاء بن أبي رباح مع ابن سريع أحد المشهورين في الغناء و أمره أن يمسك غناءه دراءا للفتنة ، فانشد له أبياتا طرب بها و حدث به كل من لقيه و قد أدرج روايات تضمنت الصوت الشجي للمغني و إكرامه بالمال الوافر من المستمع ، كما ذكر رواية يونس الكاتب والجارية التي باعها لولي العهد الوليد بن الزبير الذي أغرقه بالأموال والهدايا ثم ذكر أشهر المغنين في العهد العباسي و هم أربعة : إسحاق الموصلي و إسماعيل بن جامع و مخارق و عمر بن بانة و ذكر أكثر هؤلاء شهرة إسحاق الموصلي حيث اجتمعت فيه كل الخصال و كان أسبق الناس وأكثرهم اتقانا فهو أول من استدعي من الجند و القضاء و الفقه والشعر و الرمي حتى قال المأمون فيه لولا ما سبق إسحاق على ألسنة الناس من اسم الغناء لولايته قضاء القضاة لعفته و صدقه و قد نال مكانة عند الأمراء و قد ذكر قصة بن جامع و كيف سار إلى قصر الخليفة وانفكت عنه ضيقته المالية والفضل لغنائه الشجي الذي أطرب به الرشيد و خدمه و جواريه.[1]

الباب الثامن : " في ذكر شيء من أخبار النبذين [2] :

وقد قرأها خطأ محمود بوعياد النسابين ولكن المحتوى يدل على الخمارين أي النبذين و من أهم ما ذكر أن عمر بن الخطاب قد دخل على قوم يشربون الخمر فهم بمعاقبتهم فذكّروه بأنه قد تجسس عليهم فانصرف وهو يقول :" كل الناس أفقه منك ياعمر" كما أدرج ما حدث لأخ عثمان بن عفان رضي الله عنه الوليد بن عقبة حيث سكر ذات ليلة وصلى بالناس الصبح بأربع و لما انهى التفت ، وقال : أزيدكم ؟ فركض الناس إلى عثمان و أبلغوه ما كان منه فعزله و أقام عليه الحد ، و روى قصة بشر بن مروان الذي ولاه أخوه عبد الملك الكوفة و كان يريد إشباع ملذاته من السماع و الغناء وقد

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 169 و – 174 و .

[2] ـ خصص الأبشيهي الباب الرابع والسبعين في تحريم الخمر وذمها إلا أنه كان أقل توسعا من التنسي في ذكر الروايات والتفصيل فيها و لم تتشابه رواياتهم في هذا المجال ، الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 513 . كما تطرق ابن عبد ربه عنوان خاص عرف فيه الخمر ومراحل نضوجه وتحلله ، كما فرق بين الخمر والنبيذ وذكر أقوال احتجاج المحرمين للقليل من النبيذ وكثيره . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 6 ، ص ص : 327 – 352 .

بعث معه روح بن زنباع حيث كبت عنه ما يريد فحيكت ضده مؤامرة أرجعته إلى العراق ، و أورد أخبارا عن الخمر وعواقب شربها وما تثيره من مصائب عشق النبيد و جزائه و الشعر الذي قيل من أهله و هـم سكارى قـد أدرج ولعله كان يثبت بهذه القصص العواقب الوخيمة لأم الخبائث وذكر ما كان من الأمين والمأمون الرشيد إذ كان الأول أكثر معاقرة للخمر الأمر الذي أدى إلى نفور الناس منه وميلهم إلى المأمون لأنه لم يكن يشرب علانية كما عرج على أبي نواس الذي كان مغرما بالخمر مولعا بدلا من الوقوف على الأطلال على عادة شعراء العرب وفي الأخير ذكر الأبيات التي تفيض توبة واستغفارا مخاطبـا من يلومـه علـى حالته تلك :

تدري من تـلوم على المـرام

فـتى فيها أصم عن المـلام

يارب أن عظمت ذنوبي كثـرة

فلقد علمت أن عفوك أعظـم

أدعوك ربي كما أمرت تضرعا

فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم [1]

الباب التـاسع : " في ذكر شيء من أخبار النهماء " [2]

وقد قرأها خطأ الأستاذ محمود بوعياد " الفقها "ولكن المضمون يدل على النهماء .

بدأ هذا الباب بروايات جلها تتحدث عن الآكلين ، من بينها العبد الذي دعاه معاوية و أتى له بعجل مشوي وجدي ، فأكلهما ثم زاد على ذلك رطلا من الفول الأخضر فالتهمه كما تحدث عن عبيد الله بن زياد الذي كان يأكل في اليوم خمس أكلات ، ومر يوما بالطائف ، وهو يريد الكوفة ، فقال له رجل إن الغداء عندنا فنزل وقدم إليه عشرين إوزة مشوية فأكلها وزاده عشرين بيضة مسلوقة و تينا ثم ذكر ما كان يأكله سليمان بن عبد الملك ، و ما كان معه مع شمردل و كيل عمرو بن العاص حيث قدم

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 174 و – ، ورقة 177 ظ .

[2] - لم يذكر ابن عبد ربه أو الأبشيهي عنوان مشابها لما جاء به التنسي لكن رويت في كتابيهما قصص ضمن عناوين مختلفة تشابهت مع ما أتى به التنسي في هذا المضمون فقد خصص على سبيل المثال ابن عبد ربه عنوان سماه الطعام والشراب . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 6 ، ص : 313 .

إليه في الطائف و ذهل ، ثم ذكر أسماء الأكالين ومنهم : هلال بن الأسعد المازني وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز و مزرد أخو الشماخ و الواثق بن المعتصـــم الذي كان أفضل طعامه الباذنجان و حميز المهبلي [1] و من الشعر في هذا الباب ذكر:

إن الدجاج إذ كانت على الثريد مثل العرائس في أثوابها الجدد[2]

والتنسي حريص على تسجيل كل ما يقع تحت يده من قصص ، وبهذا فقد قدم خدمة كبيرة للمكتبة العربية ، فالحرص على إيراد هذه القصص تمكن من الوقوف على تفاصيل الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية وغيرها لكل الفئات والطبقات وهذا مما يساعد على دراسة تراثنا والوقوف على بنياته، الثقافية ومدى تحكمها في العقل الإسلامي ، كما تعكس نوع الحياة التي كانت يفضلها العلماء والأمراء والفقهاء وغيرهم .

الباب العاشر: " في ذكر شيء من أخبار الطفيليين " [3]

بدأ هذا الباب بذكر مصدر صفة الطفليين حيث نسبها إلى رجل من الكوفة من بني هلال [4] يقال له طفيل ، فما سمع هذا الأخير بوليمة إلا أتاها من غير دعوة و قد ترك لأبنه وصية أوضح له فيها كيف يدخل الأعراس بدون أن يعرفه أحد و كان قد سئل ما يحفظ من القرآن فقال نسيته إلا أية واحدة و هي: " و إذ قال موسى لفتاه " آتنا غداءنا" ثم أدرج بعدها أخبارا كثيرة عن الطفيلين ، و من بين ما أورد قصة رجل إشترى سمكا فلم يتركه واستعمل معه حيلا و نكتا جعلته يكرمه بما اشتراه منه [5] ، ثم أدرج قصة ابن الدراج الطفيلي مع إبراهيم بن المدبر و نصائح الطفيلي لأشباهه وقصة أخرى

---

[1] - خصص الأبشيهي الباب الخامس والثلاثين كاملا في هذا الموضوع تضمن الطعام وآدابه والضيافة و آداب المضيف وأخبار الأكلة وغير ذلك وقد تنوعت رواياته أكثر من التنسي الذي كان قد اختصر رواياته ، الأبشيهي ، المستطرف ص : 198 - 207 .

[2] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة 177 ظ – ، ورقة 179 و .

[3] - لقد خصص ابن عبد ربه عنوانا خاصا للطفيليين ، حيث تشابهت عدة روايات بينهما مما يدل على أخذ التنسي منه . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 6 ، ص : 218 .

[4] - اختلف التنسي مع ما ذكره ابن عبدربه حبث ذكر أن هذا الرجل من الكوفة من بني غطفان كما اختلفا في التعريف بالطفيليين وقد أشير في هامش كتاب العقد الفريد ، ج : 6 ، ص : 218 إلى أن هذه الرواية موجودة في كتاب الأذكياء الذي ذكره التنسي ولم يذكر أنه لابن الجوزي ، ج : 6 ، ص : 210 .

[5] - الرواية نفسها أدرجها ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 6 ، ص : 219 .

مضحكة ملخصها أن المأمون طلب جمع عشرة زنادقة [1] من البصرة فرآهم الطفيلي فظن أنهم مدعوون لوليمة ، فركب معهم زورقا ظنا منه أنهم في نزهة و لما وضعت القيود على أرجلهم سأل عن الذي هو فيه ، فأخبروه بمذهبهم و مسارهم و ما ينتظرهم من المأمون ، فلما وصلوا رفضوا التخلي عن مذهبهم فقتلوا بعد رفضهم لذلك ، و لما وصلوا إلى الطفيلي ذكر له قصته ، و فعل ما أمره المأمون من سب و شتم المذهب ، فصدقه المأمون و ضحك كثيرا و لكنه طلب تأديب الطفيلي لأنه غامر بنفسه فطلب منه أن يضرب بطنه ، لأنها السبب فيما هو فيه ، فضحك المأمون [2] و أتبع ذلك قصصاأخرى مشابهة وكيف أدى بهم فضولهم إلى جزاء أو عقوبة[3].

الباب الحادي عشر: " في ذكر شيء من أخبار النساء "[4]

بدأ بالحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، إذ ذكر أنها كانت من أعلم النساء بأخبار من تقدم ، و أحفظهم للشعر وكانت تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم بهاو هي التي حدثت بحديث أم زرع المشهور ، كما روى أخبارا توضح تفوقها و أخبارا عن السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وعن عاتكة [5] و قصصها مع من تزوجتهم [6] حتى حتى قال علي رضي الله عنه من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج عاتكة ، كما أورد أخبار نساء كثيرات وردن على معاوية يطلبن إنصافهن ممن ظلمهن و كان لهن ذلك ،

---

[1] - وللزندقة عدة معان تختلف باختلاف العصور: فقد كان العرب يطلقون لفظ " زنديق" على من بنفي وجود الله سبحانه ، أو يقول إن له شريكا . وقيل إن الزنديق من يبطن الكفر ويظهرالإيمان ، ويرجع تاريخ الزندقة إلى آواخر العصر الأموي، ومن الأسباب التي أدت إلى انتشار الزندقة ، أنها كانت وسطا بين النصرانية والزرادشية أتباع زرادشت أحد أنبياء الفرس (وأشهرهم زرادشت وماني ومزدك) ، وأن ذلك كان سببا في تأثير الزندقة في أهل هذه النحل . كما أن شعائرها كانت قريبة الشبه بشعائر الإسلام ، فإن المانوي كالمسلم ، له عدد من الصلوات في اليوم والليلة كما كانت لهم طهارة فبل الصلاة كالوضوء عند المسلمين .حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، الديني ، الثقافي ، الاجتماعي ، دار الجيل بيروت ، مكتبة النهظة المصرية ، القاهرة ، ط/ 15 ، 1422 هـ - 2001 ، ج : 2 ، ص : 96 ، 97 .

[2] - ذكر ابن عبد ربه هذه الرواية بسندها المتمثل فيما يلي : قال محمد بن أحمد الكوفي حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أبيه قال ، ثم يأتي بالرواية نفسها التي تثبت نقل التنسي عنه والذي بدوره حجب عنّا سند الرواية . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 6 ، ص : 120 - 121 . .

[3] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 179 و - ورقة : 182 و .

[4] - لقد خصص الأبشيهي الباب الثالث والسبعين في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وقسمه إلى فصول على خلاف التنسي ، ص : 502 .

[5] - عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نوفل أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وهي أحد العقائل المشهورات ذات عقل وأدب تزوجت عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . مخ : أبو عبد الله التنسي ، نظم الدر والعقيان ، و : 183 ظ

[6] - ذكر المستطرف هذه الرواية إلا أنه اختصرها وغيّر في ألفاظها على خلاف التنسي الذي أكمل لنا الرواية مع من تزوج بها أو أراد ذلك حتى وافتها المنية . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 505 .

ثم أورد ذكر الخنساء و أخبار إخوتها و شعرها ، و ذكر ليلى الأخيلية صاحبة ثوبة ابن الحمير التي كانت تضاهي الخنساء في الفصاحة ، و ما كان من قصتها مع معاوية و خبر سكينة بنت الحسين بن علي[1] التي كان الشعراء يحتكمون إليها ، و أدرج بعدها عقائل النساء من قريش و غيرهن ، كسكينة آم عبد الله الكامل و عائشة بنت طلحة و فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز و علية بنت المهدي .

و أظرف ما جاء في هذا الباب ما روي أن فتى من بني تميم ورد على حي من بني عامر فجعل لاينيخ جملا ، ولا يحط حملا ، ولا يقضى أمرا إلا و هو يباهي بنسبه ، فأتته فتاة ذات حسن و أدب ، فسألته من أي العرب هو ، فذكرلها أنه من تميم فذكرت أبيات كأنها تسأل عن قائلها تذم القبيلة المذكورة ، و لما سمع ما كان منها نفى وانتقل إلى قبيلة أخرى واستمرت هذه المسألة و الذم و الإنكار حتى وصل إلى بني هاشم فمدحتهم فذكر انتماءه إلى خلق كثير ، فذكرت أبياتا شعرية ذمت كل ذلك ، و ما توقفت حتى ترجاه ،ا و أخذ الأمان أن لا تهجوه ، ثم أدرج أحسن الجواري اللواتي كانت تتنافس على رضى الأمراء بالشعر ، و نساء أخريات كثيرات عرفن بالوفاء لأزواجهن[2] من بينهن نائلة [3] زوجة عثمان رضي الله عنه.[4]

الباب الثاني عشر: " في ذكر شيء من أخبار الصبيان "

بدأ هذا الباب بذكر أخبار الصبيان مع الصحابة و الرسول صلى الله عليه وسلم و ذكر على رأسهم عبد الله بن الزبير الذي لم يبرح مكانه بعدما فر أصحابه لرؤية عمر ، و لما سئل عن ذلك رد: لم أجرم فأخافك ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك . وروايات أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في سن صغيرة ، وقصة عبد الله بن جعفر و عمرو بن العاص و يزيد بن معاوية و يزيد بن المهلب و عمر بن عبد العزيز و الغلام الذي أعجب بكلامه و شعره وفصاحته حتى أقبل على الغلام بنفسه و طلب

---

[1] ـ سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، نبيلة أجمل نساء عصرها و أطيبهن ، توفيت سنة 117 هـ . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 80 .

[2] ـ لقد اشترك كل من التنسي و الأبشيهي في ايراد أخبار النساء ، لكن ابن عبد ربه كان أكثر توسعا منهما حيث خصص كتاب المرجانة الثانية لصفات النساء وأخلاقهن . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج : 6 ، ص : 91 .

[3]ـ ذكر ابن عبد ربه هذه القصة . في العقد الفريد ، ج : 6 ، ص : 100.

[4] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 182 و – 194 ظ .

منه موعظة حتى جعل عمر بن عبد العزيز يبكي حتى خيف عليه [1] وروى ما قاله معاوية لأبنه يزيد عن ضرب المعلم له ، فقال يزيد لا ياأمير المؤمنين ، قال: ولم ليضربك ، قال لأنه استن بسنة أمير المؤمنين في العدل . كما جاء بقصص كثيرة هذا موجز آخرها: لقي ملك صبيا يسوق حمارا سوقا عنيفا ، فقال أرفق به يا غلام فقال أيها الملك إن في الرفق به مضرة عليه ، قال: و ما مضرته قال: يطول طريقه و يشتد جوعه ، و في العنف عليه إحسان إليه ، يخف عمله و يقصر طريقه ، و يطول أكله فأعجب به الملك ، وقال قد أمرت لك بألف درهم فقال: رزق مقدور و واهب مأجور قال: وقد أمرت بإثبات اسمك في حشمي ، فقال: كفيت مؤنه ورزقت منه معونة ، قال لولا صغرك لاستوزرتك ، فقال لم يعدم الفضل من رزق العقل ، قال أفتصلح لذلك فقال إنما يكون الحمد والذم بعد التجربة ، فاستوزره فوجده ذا رأى صائب.[2] وبهذه القصة كأن التنسي يشير الى أهمية العقل في توليه المناصب

الباب الثالث عشر: " في ذكر ظرفاء المجانين "

ذكر في هذا الباب مجانين وقعت لهم مواقف ظريفة و مؤلمة ، من بينها القصة التي أوردها المأمون عند زيارته لدير المجانين ، حيث وجد شابا حسن الوجه و الملبس ولما سئل عن حاله ، قيل له: وسوس بعد تفريقه بينه وبين ابنة عمه كان يهواها و تهواه و قد وسوست هي أيضا ، و كان قد أنشده أبياتا في حبه ، فأعجب بها المأمون و طلب من يرقي لهما ، فشفيا و زوجهما، و أتبعها قصة مشابهة ، فقد دخل خالد بن يزيد إلى دير ، فوجد شابا تبادل معها لحديث و أنشد له أبياتا فردّ الشاب بأبيات ذهل بها خالد و لم يستطع أن يزيد عليها بعد محاولات كثيرة ، و قد كانت معظم القصص الواردة عن المجانين و طرفهم مع الأمراء ، و أحسن و أعجب ما كان منهم هو حفظهم الشعر ، و تأدبهم في المجلس و الكلام و الفصاحة و الرد الجميل ، فمن لا يقرأ عنوان هذا الباب لا يحسب أنه حوار المجانين بل حوار عقلاء و قد كان يشار في

[1] ـ ذكر الأبشيهي الرواية نفسها بألفاظ مختلفة ومختصرة من التي ذكرها لنا التنسي لكن الأبشيهي لم يخصص بابا في أخبار الصبيان بل ذكر هذه الرواية ضمن الباب السابع في الفصل الخاص بذكر الفصحاء من الرجال . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 63 .

[2] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 194 ظ ـ ورقة : 197 ظ .

مواضع كثيرة للمجنون بالموسوس ، و الأظرف من هذا كله أن المستمع للشعر يدرك إدراكا تاما أنهم كانوا مولعين بالهوى ، فمعظم أبياتهم الشعرية كانت تنطق بالحب[1].

وفي هذا إشارة خفية إلى العناية بهؤلاء وبأحوالهم وعدم الركون للعادات القبلية التي تحول دون تزويج الأجانب ولو كانوا متدينين وخلوقين

الباب الرابع عشر: " في ذكر شيء من أخبار الثقلاء "

عرّف في البداية بالثقلاء [2] قائلا: إنهم أشد الخلق ضررا على العقلاء ، و أثقل من رواسي الجبال على قلوب النبلاء ، و قد أرجع بعضهم هذا الثقل إلى تفويت صلاة الفجر ، كما أورد قول جالينوس أن لكل شيء حمى و حمى الروح النظر إلى الثقلاء كما أدرج قول ابن سرين ، قال : سمعت رجلا يقول نظرت مرة إلى ثقيل فغشي عليّ من النظر إليه لأنه أثقل من الجبال ، و كان حماد بن زيد إذا استثقل جليسا قال : ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، و أتبعه مجموعة من القصص في نفس المضمون نفسه لكل من أبي العتاهية و زياد بن عبد الله و الشافعي ، و ممن ذكر اسمه من الثقلاء أبو عمار الذي كان أكثر من شدة الأسقام في الأسفار على نفس العباس بن الحسن ، و مما قيل في الشعر عنهم ما أنشد عبد الله بن خلف أبو علي في صفة الثقيل

و ثقيل أشد من ثقل   الموت و العذاب الأليم[3]

وهذا النوع من القصص يعالج هذا السلوك ، ويحذر منه ويطهر المجتمع ويرفع من سلوكه .

الباب الخامس عشر: " في ذكر شيء من أخبار المغفلين " وذكر في هذا الباب أخبار عديدة للمغفلين هذه بعضها بايجاز : كان شاب يكثر مجالسة الاحنف ويطيل الصمت ، فأعجب به الاحنف ، فقال له: يا بن أخي ، مالك لا تتكلم ، فقال يا عم

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، . ورقة : 197 ظ - ورقة : 200 ظ .

[2] - ألف في هذا المجال العديد من بينهم ابي مزاحم الخاقاني أبي النعيم وغيرهم حيث تشابهت عناوين كتبهم " أخبار الثقلاء " ، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة ، يحتوي على أسانيد 1960 كتاب في مختلف العلوم قرأهاالمؤلف أحمد بن علي بن محمد بن علي ابن حجر العسقلاني (م ، ت 856 هـ) تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط : 1 ، 1425 / 2004 م ، ص : 159 .

[3] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،. ورقة : 200 ظ - ورقة : 202 و .

أرأيت لو أن رجلا سقط من شرفة هذا المسجد أيضره شيء ، فقال ليتنا تركناك يا بن أخي مستورا وانشد متمثلا :

و كأين من صامت لـــك معجـــب   زيادته أو نقـــصه في الـــتكلـــم

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده   و لم يـــبق إلاصورة اللحم و الدم

ثم أتبعها بقصة الماوردي حيث دخل عليه رجل ناهز الثمانين و هو يلقي درسه بالبصرة ، فسأله عن طالع إبليس و آدم من النجوم لعظمة شأنهما ، و قال إن هذا الأمر لا يسأل عنه إلا العلماء ، فأنكر ذلك عليه مجلسه ، فقام و أجابه على حد عقله ، فقال له إذا أراد الجواب فيأتيه بمن يعرف ميلادهما حتى يخبره بطالعهما فسر و انصرف ثم أدرج بعد ذلك أخبار من طالت لحيته ، و ذكر ما أخبر به المأمون أصحابه عن قصر عقل كل من طالت لحيته ثم أورد بعدها قصصا أخرى للمغفلين تميل معظمها إلى الطرفة ، ثم ذكر بعدها قبّح الصورة ، و الغرض من ذلك أنه من سلم من ذلك الكمال المعنوي يغطي ذلك لتكون له فيهم أسوة ، و كان عالم بالقضاء كما أعطى وصفا لعطاء بن أبي رباح ، فقد ذكر أنه كان أسود أعور أفطس أعرج ثم أعمى و كان مع ذلك من سادات التابعين علما و دينا ، كما أعطى وصفا مشابها للأحنف بن قيس إلا أنه كان سيد قومه و به يضرب المثل في الحلم و أتبع ذلك أوصافا خلقية لرجال أفذاذ عظام من بينهم أبو الأسود الدؤلي و الأصمعي و أبو نواس و الجاحظ وغيرهم.[1]

الباب السادس عشر: " في المضحكات "

ذكر أحاديث كثيرة عنها ، و قال إنها تروح عن النـــــــــفس لقول علي رضي الله عـــــــــنه: روّحوا عن هذه القلوب ، فإنها تمل كما تمل الأبدان ، و قول ابن مسعود رضي الله عـــــــنه : إن للقلوب شـــهوة و إقبالا و إدبارا فاغتنموها عند إقبالها وروّحوها عند إدبارها ثم أتبع ذلك بأخبار حدثت مع أمراء بني العباس، ضحكوا لها كثيرا ، كما أدرج قصة الأعمش ، فقد كان كثير الضجر و كثر يوما عليه شعره فأشار عليه أصحابه بتخفيفه فرد: بأنه لم يجد حجاما ساكتا ، فأحضروا له حجاما اشترطوا عليه عدم الكلام ، فلما جاؤوا به ، و وصلوا نصف رأسه سأله مسألة ، فنفض ثيابه

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، 202 و – ورقة : 205 و .

ودخل بيته ولما رآه أصحابه أرادوا المجيء له بآخر ، فاشترط أن يحلفوه بالطلاق الثلاث إن تكلم، فكان له ذلك ، وأتبع هذا بحكايات مضحكة وقعت مع الحجاج بن يوسف هذه واحدة منها: خرج يوما متصيدا فابتعد عن الجيش فوقف على أعرابي يرعى إبلا ، فقال له كيف سيرة الحجاج فيكم ، فقال ظلوم غشوم واسع البلعوم ، فقال هلا شكوتموه إلى عبد الملك فقال أظلم منه و أغشم ، فقد أخطأ خطيئة تملأ ما بين السماء والأرض في توليته الحجاج على المسلمين ، فانصرف الحجاج فإذا بخيل تركض نحوه فسألهم الأعرابي عنه ، فقالوا الحجاج ، فحرك دابته إليه ، وقال يا حجاج قف ، فوقف وقال ما تريد ، فقال السر الذي كان بيني وبينك أحب أن يكون مكتوما ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة [1] ، ثم أتبع ذلك أخبارا مضحكة عن الشعراء والقضاة منهم الشاعر أبو القاسم الأزرق والشافعي[2] .

القسم الرابع : " في محاسن الكلام المستعملة في النثر والنظم "

الباب الأول : " في بيان فضل الشعر وفوائده "

بدأ التنسي في بداية هذا القسم بايراد أحاديث شريفة لاظهار قيمة الشعر من بينها ما رواه أبيّ بن كعب يبين من خلاله فضل الشعر قال صلى الله عليه وسلم :" إن من الشعر لحكمة " وقوله : " إن من البيان لسحرا " وإن من الشعر لحكما " بضم الحاء وسكون الكاف – وأورد الحافظ التنسي روايات كثيرة تبين فضل الشعر ودوره في نصرة الدعوة الإسلامية كما جاءت بأبيات محرضة على الشجاعة ، من بينها أن معاوية كاد يفر في الصفين لولا تذكره أبيات ابن الاطنابة :

أبت لي عفـــــتي وأبى إبائـــي   وأخذي الحمد بالـــثمن الربـــيع [3]

وإقحامي على المكروه نفســـــي   وضربي هامة البطل المشيـــح

---

[1] ـ ذكر هذه الرواية الأبشيهي في الباب الثامن في الأجوبة المسكتة والمستحسنة ورشاقات اللسان وما جرى مجرى ذلك وكما سبق من الروايات كان الاختلاف في الألفاظ مع توحد المعنى واختصار في السرد وحذف بعض الجمل .الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 75 .

[2] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 205 و ـ ورقة : 209 و .

[3] ـ جاء في كتاب العمدة : أبت لي همتي وأبى بلائي   وأخذي الحمد بالثمن الربيح

أبو علي الحسن بن الرشيق القيرواني ، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه ، شرح وظبط : عفيف نايف حاطوم ، ط : 1 ، 2003 ، دار صادر بيروت لبنان ، ص : 20 .

وقولي كلاما جأشت [1] وجـــاشـــت   مـــكانك تحمدي أو تستريحـــي

و إنمن يطلع على الكتاب يدرك لماذا أطلق على صاحبه الحافظ ، فهو مكتبة متنقلة فالروايات والأقوال التي أوردها بأصحابها كثيرة يعسر حفظها ، وإن افتقد القائل أورد القول دون صاحبه بعبارة: وقال آخر وهذا يدل على تركيزه على القول إن لم يعرف صاحبه.

وقد أدت كثرة روايات السند إلى إضعاف التسلسل ، ولعل هذا يعود إلى تركيز المِؤلف على مصدر المعلومة ذاتها، أي إنمصدافية وقيمتها تكمن في المصدر لا فيها .

أورد قصة الأعشى والمحلق التي مفادها أن المحلق كانت له بنات وكان قد أكرم الأعشى وما إن مدحه بعكاظ حتى تقاطر الخطاب على بناته[2] ، كما أورد قصصا من العصر الجاهلي تبين دور الشعر في رفع قوم وحط آخرين.

والقصص التي أوردها من العصر الجاهلي تبين قيمة الشعر وقد بدأ التنسي بالأحاديث الشريفة دون مراعاة الترتيب الزمني لأن قيمة الأحاديث في إظهار دور الشعر أقوى من القصص وإن كانت جاهلية.

أورد قصة بني العجلان وشكواهم لعمر.

وفي هذا القسم تأريخ للشعر ، وفضله عند العرب إذ لم يترك شاردة ولا واردة عن الشعر إلا وأوردها. ومن فضائل الشعر "التوصل الى الأغراض المهمة بطريق سهل يستنتج من الشواهد التي أوردها التنسي ، فخلفاء الأمة الإسلامية كانوا يجلون الشعر والشعراء ويخافون من الهجاء فاغدقوا عليهم أموالا طائلة ، وكذلك فعلوا بالمدح كما بيّن أن الشعر قد ساهم في تحرير رقاب بعض العبيد .

كما أورد أمثلة لحمل الشجاع على الإقدام والجبان على الثبات ، وكان هنا يهمه الشعر أكثر مما يهمه التثبت من سند القصة .

---

[1] ـ جأشت نفسه كجعل جشوّا نهضت جاشت من حزن أوفزع وثارت للقي .ابن الرشيق القيرواني ، المصدر نفسه ، ص : 20 .

[2] ـ أورد ابن الرشيق هذه الرواية كاملة لكن التنسي اختصرها ولم يوردها حرفيا بل غيّر في الألفاظ وحذف بعض الكلمات والجمل ، ابن الرشيق القيرواني ، العمدة ، مج : 1 ، ص : 37 .

ولم ينس ذكر ذم الشعر ، منها أبيات لناصر الدين الخزامي:

لاتحسبن الشعر فضلا بارعا   مـــا الشعر إلا محنة وخبال

الـــهجو قذف والرثاء نياحة   والعتب ضغن والمديح سؤال

كما أورد مباريات بين عبيد بن الأبرص وامرئ القيس ، ولم يتورع في إيراد بعض القصص الغزلية الماجنة من ذلك قصة الشاعر دعبل الخزاعي مع إحدى الجواري. [1]

الباب الثاني :في ذكر التشريع ، وهو أحد أنواع الاقتدار "

ويظهر التنسي في هذا القسم بلاغيا إذ بدأ بالحديث عن الوصل والفصل ، ممثلا له بشعر لأبي محمد الحريري في المقامة البغدادية ، والتعريف منقول من كتاب الرندي[2] في كتاب الكافي المفقود.

كما تبرز كفاءة التنسي ومكنته في علوم البلاغة والعروض إذ يورد أبياتا كثيرة إلا أنها لم تحترم قانون أوزان الشعر العربي وقاعدته في رفض هذه الأشعار الجديدة هو عدم سماعها عن العرب ، فهي لاتستقيم على قانون أوزان الشعر العربي "وهؤلاء الفضلاء غير جاهلين بهذا ، وإنما مقصودهم إظهار قوة الملكة لاغير "

فالتنسي يرفض التجديد إلا ماجاء على قواعد العرب مع أن ما ذكر من أشعار لا يخلو من جمال وإن خالفت أوزان الخليل قال بعضهم :

يرنو بطرف فاتر مهما رنا   فهو المنى لاتنثني عن حبه

قال القرافي :

بقلبي حبيب مليح ظريف   بديع جميل رشيق لطيف

وعارضه المؤلف ببيت من الوزن نفسه

هويت لبيبا ذكيا نبيلا   مكينا كريما شريفا جميلا

كم أظهر التنسي قدرته فيضيف :

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، .ورقة : 209 و - ورقة : 225 و.

[2] ـ ذكر ابن مريم في كتابه البستان الرندي ضمن أساتذة محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمان القرشي التلمساني الشهير بالمقري ، ولم يذكر اسمه في موضع أخر في الكتاب ، ابن مريم ، البستان ص : 156 .

قال القرافي :

بقلبي حبيب مليح ظريف　　　　بديع جميل رشيق لطيف

قال التنسي :

بقربي رقيب وقيح عنيف　　　　رقيع رذيل دليق سخيف

هويت لبيبا ذكيا نبـــــيلا　　　　مكينا كريما شريفا جليلا

ولكن المعارضة لم تخرج عن البحث عن صفات لها الوزن نفسه وهذا سهل بالنسبة له لأنه حافظ لغوي.[1]

الباب الثالث : " في التجنيس "[2]

بدأ المؤلف بتعريف التجنيس بقوله : رسمه بعضهم بأنه اتفاق لفظين أو ألفاظ في جميع الحروف أو أكثر مع اختلاف المعنى وشرطه ألا يبعد ما بين اللفظين بل يكونا في جملة أو جملتين متصلتين والجناس المقبول هو غير المتكلف .

ويورد ما قاله صاحب الطراز :

إنما بدأ به لأنه أشرف تلك الأنواع وأكثرها استمالة للطباع قد كلفت به النفوس ونزل من الكلام منزلة الحلي من العروس.

وقد اعتمد المؤلف على مقامات الحريري كثيرا في أمثلته عن الجناس :

نهاني الشيب عما فيه أفراحي　　　　فكيف أجمع بين الراح والراح

ثم أورد المؤلف جناس التركيب ممثلا بأبيات شعرية يدور أغلبها حول الغزل كقول أحد الشعراء يقال له البستي

إلى حتفي سعى قدمي　　　　أرى قدمي أراق دمي

فما انفـــــك من ندمي　　　　وهان دمي بها نـــدمي

ومثال ما كان التخالف فيه من الجهتين قوله صلى الله عليه وسلم "اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي " وقول بعض الحكماء : " البدعة شرك الشرك "

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 225 و - ورقة : 227 ظ .

[2] ـ خصص ابن الرشيق باب كاملا في التجنيس لكنه لم يلتقي مع التنسي في سرد الأمثلة إلا نادرا ، ابن الرشيق ، العمدة ، مج : 1 ، ص :272 .

ومنه قول أبي علاء المعري :

حسنت نظم كلام توصفــين به ومنزلا بك معمورا من الحضـــر

فالحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشِّعر أو بيت من الشّعر

ومن الجناس الناقص أورد بيتين لمحمد بن يوسف الثغري :

في كل غصن للرياض رطيب نور أعار الجو نفحة طيب

ويبدو أن المؤلف قد شغف بالشعر أكثر من شغفه بالقواعد البلاغية وربما كان القصد تشنيف أذان السامعين بالبيان الساحر وادخال المتعة على السلطان واظهار براعته ومقدرته : الورد بوجنتيك زاه زاهـــــر والسحر بمقلتيك واف وافر

والعشيق في هواك ساه ساهــر يرجو ويخاف شــاك شاكر

وإن لم يجد شعرا نظم هو ما يستعين به على الجناس ومنه قوله :

هويت رشا زمامي في يديه وقلبي والمشارهن لديـــه

أغارعلى القلــوب بمقلتــيه وغارت شمسنا من وجنتيه

كما أورد الأحاديث الشريفة المجنسة:" اللهم أعوذ بك من الأيمة والعيمة ، والغيمة" وكأنه أدرك صعوبة الكلمات فبادر إلى شرحها فالأيمة: موت الزوجات والعيمة شوق اللبن ، والغيمة العطش [1] كما أورد بعض أقوال الحكماء : "من سعادة جدك وقوفك عند حدك "

كما يحرص التنسي على إيراد الأحاديث النبوية الشريفة التي يرى فيها بلاغة وترشيدا للسلوك.

قال صلى الله عليه وسلم :" اللهم إني أعود بك من طمع يهدي إلى طبع " أي عار .

قال أحد الحكماء :" من لم يكن نسيبا فلا ترج منه نصيبا " ثم يواصل المؤلف تفصيله في أنواع الجناس وكأنه يظهر براعته البلاغية وفي هذه البراعة إظهار للقدرة التي

---

[1] ـ أورد ابن الرشيق هذا الحديث وكان له نفس شرح التنسي للألفاظ ، وقد زاد ابن الرشيق كلمتين في الحديث وقد شرحهما كما يلي :

الكزم : قصر البنان خلقة أو البخل ، ويقال : الكوم شدّة الأكل ، والقزم شهوة اللحم .ابن الرشيق القيرواني ، العمدة مج : 1 ، ص : 278 .

تثبت مكانته عند السلطان والحقيقة أن هذا القسم قد بين أنه بالفعل حافظ لتراث الأقدامين .[1]

الباب الرابع : في التوجيه :

ويعرفه أبو عبد الله التنسي بقوله : " وحقيقته أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين أحدهما مدح والآخر ذم ومنه هذه القصة :" روي أن رجلا أراد الشكوى إلى المأمون بظلامة فتعذر عليه الوصول اليه ، فصاح على باب المأمون : أنا أحمد المصطفى النبي المبعوث فأخذ وأدخل على المأمون : وقيل له : إنه نبي ، فسأله عن أمره فذكر ظلامته فقال : ما تقول فيما حكي عنك ، قال وما هو ، قال : ذكروا أنك تنبأت ، قال معاذ الله ، إنما قلت انا أحمد المصطفى النبي المبعوث ، وأنت يا أمير المؤمنين تحمده ، وكذلك هؤلاء ، فاستظرفه المأمون وأمر بإنصافه.

ومما جاء من ذلك نظما ما روي أن بشار بن برد خاط له خياط أعور قباء ، وكان اسمه عمود ، فلما أتاه به يعجبه ، فقال له ما هذه الخياطة فقال : خطته لك كذلك لتلبسه إن شئت على وجهه وإن شئت من باطنه ، فقال له بشار : وأنا قلت فيك شعرا إن شئت جعلته مدحا وإن شئت جعلته هجوا ثم أنشد :

جاء من عمرو قباء	ليت عينيه سواء
فأحاجي الناس طرا	أمديح أم هــجاء

فإن قوله :" ليت عينيه سواء " موجهة الى الدعاء له بصحة العين العوراء استحسانا والى الدعاء عليه بتعوير العين استقباحا.

وفي رواية أخرى : خاط لي عمرو قباء	ليت عينيه سواء
فاسأل الناس جميعــا	أمديحا أم هجـــاء

وهي على لغة من ينصب الجزأين ، لما رفع " مديح " وما عطف عليه في الرواية الأولى فعلى اضمار المبتدأ بعد همزة الإستفهام ، أقولك ونصبه في الرواية الثانية على اضمار فعل تقديره أقلت .

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 227 ظ - ورقة : 237 ظ .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لأزواجه :" أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا " إن قوله أطولكن يدا موجه الى طول اليد حسا ، وهو الذي فهمه أمهات المؤمنين فصرن يقايسن أذرعهن والى طولها بالصدقة ، وهو الذي ظهر لما ماتت زينب رضي الله
عنها قبل سائرهن إذ كانت كثيرة الصدقة .

ومنه سئل رجل آخر عن آخر فقال :إنه رزين المجلس نافذ الطعنة فظنوه سيدا فنظروا فوجدوه خياطا ، فقيل له في ذلك ، فقال ماكذبت ، إنه لطويل الجلوس لصنعته نافذ الصنعة بالإبرة ، ومنه ما روي أن القاضي شريحا خرج من عند زياد في مرضه ، وقد تركه يجود بنفسه ، فسأله الناس عن حاله ، فقال تركته يأمر وينهى فجزعوا لسلامته ، فما راعهم إلا صياح النائحات عليه فقيل له في ذلك فقال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

ومثاله ما روي عن الربيع بن عبد الرحمان ، قال: قلت لأعرابي أتهمز إسرائيل ، قال إني لرجل سوء. فإن لفظ الهمز موجه الى النبر ، وهو مراد السائل ، وإلى الغيبة كما في قوله تعالى :" هماز مشاء بنميم " وفي قوله :" همزة لمزة " وعلى هذا بنى الأعرابي جوابه . وقال بعضهم يكون التوجيه حتى في الضمائر ، ومثلوا له بما روي أن الإمام أبا الفرج بن الجوزي حضر جمعا فيه السنية والشيعية ، فسأله سائل : أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر أم علي ، فتغافل ، فقيل له ما عندك فقال : أحبهما إليه من كانت ابنته تحته – ويروى أن السؤال كان عن الأفضلية فقال : أفضلهما عنده ما كانت ابنته تحته ، فأتى بكلام موجه في الضمير ففهم السنية أن ضمير ابنته لأبي بكر وضمير تحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم الشيعة أن ضمير ابنته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير تحته لعلي فرضي الفريقان بقوله وإنما جاء هذا التوجيه في الحقيقة من لفظ من ،فإنها على المعنى الأول إن وقعت على أبي بكر ، وعلى المعنى الثاني على علي ويفرق المؤلف بين التوجيه والتورية :

فالتوجيه كما تقدم والتورية " أن يذكر لفظ له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ويراد البعيد ، فيورى بالمعنى القريب أي يستر به ، كأنه جعِل وراء القريب ولذلك يسميها

بعضهم الإبهام ، ثم ذكر المؤلف تفرعات التورية وأنواعها ، ومن الأمثلة التي أوردها قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " لأن الاستواء على معنيين أحدهما الإستقرار في المكان وهو المعنى القريب بحسب الاستعمال وهو المورى به وليس المراد ، و الآخرالاستيلاء بالقهر والغلبة وهو المعنى البعيد المورى عنه.

كما نقل قول الزمخشري عن التورية : ولم نر بابا في علم البيان ألطف من هذا الباب ولا أعون على تأويل المتشابهات من الكتاب والسنة منه .

ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم ، وكان مع أصحابه في سيرهم الى بدر للذي قال له : من أنتم : نحن من ماء ، أراد مخلوقون من ماء ، ورى عنه بماء اسم قبيلة –

ومن التورية قول القاضي أبي الفضل عياض يذكر سنة أخصبت في دجنبر بما شأنه أن يوجد في أبريل ، فقال معبرا عن دجنبر بكانون ، وعن أبريل بنيسان

كأن نيسان أهدى من ملابسه لشهر كانون أنواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرجت فما تفرق بين الجدي والحمل

فالتورية فيه من لفظ الغزالة ولفظ الجدي ولفظ الحمل فإن الغزالة تطلق على الحيوان المعروف و به وقعت التورية ، و الجدي يطلق على ولد الماعزة وبه ورى على أحد البروج السماوية وعنه ورى . والحمل يطلق على الضانية وهو الخروف وبه ورى على أحد البروج السماوية وعنه ورى.

ومنه قول بعضهم يصف قلما :

و راكع طول المدى ساجد مجتهد في خدمة الباري

يبادر الخــمس لميقاتهــا ودمعه من طرفه جــار

فإن الباري يصدق على الله تعالى إذ هو من أسمائه وهو المورى به ،و رشحه بقرينة الركوع و السجود لأنهما لا يكونان إلا لله تعالى ،ويصدق على الذي برى القلم لنكتب به وهو المورى عنه. [1]

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 237 ظ - ورقة : 241 ظ .

الباب الخامس " الطباق أو المطابقة " [1]

ويعرفه التنسي ب:" وحقيقته ذكر الشيء ومقابله أي منافيه" و يورد تفريعات الطباق ممثلا لها بالقرآن الكريم ، و الحديث الشريف و الشعر، ومما ذكر قوله تعالى: "وتحسبهم أيقظا وهم رقود" ، " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "

و مثل له أيضا بما روى أن أعرابيا سأل المأمون أن يعطيه يده ليقبلها ،فلما ناوله إياها امتنع عن تقبيلها ، فقال له المأمون :أتتقزز منها؟ فقال بل أتقزز لها.

لأن المعنى أتترك التقبيل احتقارا ، فقال بل تعظيما ، و ما ذلك إلا من حرفي الجر لأن المجرور لم يتغير وكذلك الفعل.

ومن الأمثلة قوله صلى الله عليه وسلم :" ما كان الرفق في شيء الا زانه ، ولا كان الخرق في شيء الا شانه "

وقول بعضهم :

اذا جاءت الدنيا عليك فجد بها	على الناس طرا قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت	ولا البخل يبقيها اذا هي ولت

ومن الشواهد التي جاء بها على المطابقة قوله تعالى : "سواء منكم من أسر القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار " [2]

ومعنى السارب : الظاهر. ومن أبلغ ماجاء منه قوله تعالى: " ومايستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور، وما يستوي الأحياء ولا الأموات[3] " فهو من المعجز الذي ما فوقه غاية " ومنه في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم في بعض مواعظه : " فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن شبيبته لكبره ، ومن حياته لموته ، فو الذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار "

---

[1] - خصص ابن الرشيق باب في المطابقة ولم تكن ألفاظهما متشابهة على خلاف المعنى أما الأمثلة الواردة من طرفيهما لم تتشابه . ابن الرشيق القيرواني ، العمدة ، مج : 2 ، ص : 295 .

[2] - سورة الرعد ، الآية : 10 .

[3] - سورة فاطر : 22 .

والطباق الخفي وهو أن يقابل الشيء بما ليس مقابلا له الحقيقة ، ولكنه يقابله بحسب متعلقه ، كقوله تعالى : " مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا" فان الإدخال ليس بمقابل الإغراق ، لكنه لما كان متعلقه النار التي هي محرقة والإحراق مقابل صار بسبب ذلك طباقا خفيا[1] .

الباب السادس : " في مراعاة النظير "

وربما سمي التناسب والإئتلاف ، وحقيقته أن يجمع بين أمر وما يناسبه دون تضاد ليخرج الطباق .

والمناسبة تارة تكون بين المعنى والمعنى كقول المتنبي :

فالعرب منه مع الكدري طائرة   والروم طائرة منه مع الحجل

فإنه لمّا تخيّل هروب العرب والروم من ممدوحه أراد أن يذكر معنى يناسب هذا المعنى فذكر مع العرب الكدري ، وذكر مع الروم الحجل ، لأنها تناسبهم في سكني سهل الأرض ، وذكر مع الروم الحجل لأنها تناسبهم في سكني الجبال . ولو أخبر أن العرب والروم . يفرون من ممدوحه فرار الحجل أو فرار الكدري أو فرار النعام أو الظباء أو غير ذلك بما شأنه الفرار من الإنس لتم الغرض , ولكن ماذكر أنسب .

ويضرب التنسي أمثلة كثيرة لتفريعات التناسب منها في قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي   ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فناسب بين المشرفي وهو السيف ، وبين مسنونة زرق وهي أسنة السهام وشبهها بأنياب الغول ، و هذا مما أجرت العرب فيه المعدوم مجرى الموجود . ومن الأمثلة التي أوردها قوله تعالى" في سدر مخضود وطلع منضود، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة " اذا هي كلها متتعم بها[2] .

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 241 ظ - ورقة : 244 ظ.

[2] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، 244 ظ - ورقة : 246 ظ .

الباب السابع " في العكس "

وربما سمي قلبا وتبديلا ، ومن أمثلته : عادات السادات سادات للعادات "
ومنه ما روي أن رجلا رأى الحسن بن سهل أعطى عطاء جزيلا، فقال له : الخير في السرف ، فاجابه الحسن بديهة له : الاسراف في الخير

ومنه قول المتنبي :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده .

وأما العكس فقد خصه بعضهم بعكس القلب ، بحيث تقرأ الكلمة والكلام من الآخر كما تقرأ من الأول ، وقد جاء المؤلف بأمثلة منها :
" رمح أحمر " . ومنه قوله تعالى : كل في فلك " " وربك فكبر " وقول بعضهم : " سور حماه بربها محروس " وقول العماد الأصفهاني للقاضي الفاضل : سر فلا كبا بك الفرس " وجواب القاضي له بديهية بقوله : " دام علا العماد "[1]

الباب الثامن " في الإقتباس "

ويعرفه المؤلف : " حقيقته عند الجمهور أن يؤتى في الكلام المنثور أو المنظوم بألفاظ تشبه ألفاظ القرآن أو الحديث غير مراد بها أنها لفظ القرآن أو الحديث ، وبهذا القيد يتخلص من درك تغيير القرآن ومعانيه حتى لايلزم فيها تشنييع كفر ولا غيره" .
وقد أورد في هذا الباب أمثلة كثيرة ، قال بعضهم يشير إلى مطر أصاب بعد قحل وظهور صحو بعد ذلك :

الله يلطف بالعبـــاد فواجب أن يشكروا في كل حـــال نعمته
وهو الذي فيهم ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشرو رحمته

فقد قيل إن ذلك معنى الآية المقتبس منها وتارة يخالف معناه معنى المقتبس منه كقول ابن الرومي يخاطب رجلا كان قد مدحه فلم يثبه :

لـــئن أخطأت في مدحـــك ما أخطأت في معنـــى
لـــقد أنزلـــت حـــاجتـــي بواد غير ذي زرعـــي

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 246 ظ ـ 248 ظ .

فكأنه كنى به عن الرجل الذي لا يرجى خيره ، وليس ذلك هو المراد في الآية كريمة.[1]

القسم الخامس:

الباب الأول : في الحكم النبوية :

وقد ذكر في هذا الباب أحاديث نبوية شريفة كثيرة كلها تصب في خلق المسلم مع ربه ومع أخيه المسلم ، فقد ذكر أن الأنبياء عليهم السلام ينابيع الحكمة ومعادن العلوم وأن الناس يتفاوتون في إدراك ذلك حسب عقولهم ، وكان أكثر تركيزه على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامه لأنه لم ينطق إلا عن حكمة ولم يأت إلا بكلام حق بالعصمة وقد أدرج أحاديث له ، عليه الصلاة والسلام مع حكم توازيها في المعنى وهي تدور حول العلم والحلم والعدل والرفق والصبر [2] ، وخلق المسلم عموما مع أخيه المسلم ومع خالقه[3].

الباب الثاني : في الحكم غير النبوية

الفصل الأول:

وقد خصه ببعض الحكم للخلفاء الراشدين ، وأولهم الصديق (رضي الله عنه) ومن أقواله : " إن الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبا راهبا ، وقال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله رضي الله عنهما ، أما بعد : فإنه من اتقى الله وفاه ومن توكل على الله كفاه ومن شكره زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك ومن حكم علي رضي الله عنه قال : " الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يرخص لهم في معاصي الله " ، ثم أدرج بعد ذلك مجموعة من أقوال الصحابة رضي الله عنهم جلها تحث على الخلق القويم للمسلم ، ثم أورد أقوال بعض الصحابة (رضي الله عنهم) ، كالعباس رضي الله عنه ، والحسن بن علي والحسن البصري والشعبي ، وأدرج أيضا قصة الحجاج والمنصور وهي تميل

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 248 ظ – 253 و .

[2] - تضمن كتاب المستظرف كم هائل من الأمثال جلها تصب في العلم والحلم ، والعدل وغيرها في أبواب مختلفة انتقى التنسي منها مايخدم مراده .

إلى القصص المضحكات منها إلا أن فيها حكمة ، وأتبع ذلك بحكمة للشافعي ولمالك بن أنس ليحيى بن يحيى الأندلسي فقد قال له عند انصرافه إلى البلدة :

أوصيك بثلاث : الأولى أجمع لك فيها علم العلماء ، والثانية أجمع لك فيها حكمة الحكماء والثالثة اجمع لك فيها طب الأطباء ، وهي وصية جامعة كاملة شاملة وقد فصل في معانيها و أتى في كل واحدة منها قصة ، ودليلا على دقة ما قال ، ثم أتبع ذلك وصية عبد الله بن شداد للأبناء ، ثم أدرج بعض مسودات الحكم ، ذكر بأنها لم يعرف قائلها وتصب في الأدب والسياسة والعدل و منها : آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة ، و آفة الجند مفارقة العادة ، و آفة الرعية مفارقة الطاعة و آفة الزعماء ضعف السياسة ، وآفة العلماء حب الرئاسة ، و آفة القضاة شدة الطمع، و آفة الشهود قلة الورع ، وآفة العمل ميل الولاة ، و آفة الملك ضعف الحماة ، ، و آفة المذنب حسن الظن" وهذه الحكمة دستور ساقه التنسي للسلطان ، وفيها جرأة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن بذكاء فائق ثم أتبع ذلك حكما وأشعارا تخص سياسة الملك وحاشيته حول رسلهم ومجالستهم وأخرى حول الإيمان والعلم منها : من صاحب العلماء وقر ومن خالط السفهاء حقر ومن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره ، ومن اختال بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة ، ومن آنسته تلاوة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان .

وحكم أخرى كثيرة كلها تصب في تقويم النفس تقويم العقل قال الفضيل بن عياض رحمه الله:

رأيت وجوه الرزق أمدا مقدرا حضوضا وأقساما من الله في البشر [1]

الفصل الثاني : " في الحكم المروية قبل الإسلام "

بدأ هذا الفصل بلقمان الحكيم ، و ذكر أنه كان مملوكا ، فطلب منه سيده يوما ذبح شاة و إتيانه بأطيب ما فيها ، فأتى له بالقلب و اللسان ، ثم كرر معه ذلك مرة ثانية فأتى بالقلب و اللسان ، فسأله عن الخلاف ، فقال ليس أطيب منهما إذا أصاب ، و لاشيء أخبث منهما إذا خبث ، ثم أدرج بعد ذلك وصية لابنه ، وقد ذكرت في القرآن الكريم

---

[1] - أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 256 و - ورقة : 244 و.

ثم أورد حكما تتحدث عن الشرف و المجد و الكرم و العز و السماحة و حكما أخرى في الخلق من بينها : من غضب من غير شيء رضي بلا شيء ، و من لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالبهائم ، و من طلب ما عند البخيل مات جوعا ، إن انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك [1].

ومن أجمل ما أورد قول السمؤل :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميـــل

الباب الثالث : " في المواعظ النبوية "

واكتفي بذكر المؤلف حديثا من صحيح مسلم ، قال : خرّج مسلم في صحيحه من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه جل وعز أنه يقول يا عبادي إني حرمت الظلم علي وجعلته بينكم محرما فلا تظلموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهد وني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل وأنا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنس كم وجنكم كانوا على فجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنس كم وجنكم قاموا فسألوني فأعط كل إنسان مسئله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر يا عبادي خير فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يولمن إلا نفسه " وأحاديث اخرى كثيرة تصب جلها في الموعظة[2]

الباب الربع : " في مواعظ غير النبوية "

ذكر جملة من القصص منها :قصة ذي القرنين : إذ مرّ بمدينة تداول عليها ملوك كثر، فهلكوا كلهم ، فسأل : هل بقي من نسلهم أحد ، فقيل له : بقي رجل منهم لا يفارق المقابر ، فأرسل إليه : أن أحضر ، فلما جاءه ، قال له : ما دعاك إلى لزوم المقابر ،

---

[1] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ص : 244 و، 267 و .
[2] ـ أبو عبد الله التنسي، مخ : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، ورقة : 267 ظ – 270 ظ .

فقال : أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت ذلك سواء، لا يميز لي بعضها عن بعض، فقال له هل لك لي أن تتبعني حتى أجدّد لك شرف أبائك إن كانت لك همّة ، فقال : إن همتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك ، فقال وما بغيتك قال : حياة لا موت فيها ، وشباب لا هرم معه ، وغنى لا يتبعه فقر ، وسرور لا يكدره حزن ، قال : لا أقدر على هذا ، قال فامض لشأنك ، وخلني أطلب بغيتي ممن هي عنده ، فقال ذو القرنين هذا أغرب من رأيت ، وانصرف وتركه.

وهذا غيض من فيض القصص التي رواها التنسي ولم يعمل فيها عقله ولم يعرضها على قواعد الجرح والتعديل ولعلّها من آثار بني إسرائيل .[1]

ثم أورد مواعظ لبعض الصحابة والتابعين منها قول عمر (رض) في خطبة : " أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإنه أيسر لحسابكم ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتجهزوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى خافية " .

ومنها قول سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ، فقال : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم آخرتكم ، فأنتم تكرهون النقلة عن العمران إلى الخراب"[2]

وفي هذه المواعظ تنبيه للمتوكل لمحاسبة نفسه و الاستعداد ليوم القيامة ، ولن ينجو يوم الحساب إلا إذا عمل فأحسن ، واتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه كانت بغية المؤلف ، وإلا لم كان يسوق هذه الحكم والمواعظ وغيرها ، فجدير بمن انتسب لآل البيت أن يتبع ملتهم وإلا كان من المفرطين في أصله ونسبه.

---

[1] ـ تشابهت قصتان ذكرها الأبشيهي مع ما أورده التنسي في هذا الباب وقد أدرجهما في الباب الثالث والثمانون ، في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 562 .

[2] ـ تشابهت قصتان ذكرها الأبشيهي مع ما أورده التنسي في هذا الباب وقد أدرجهما في الباب الثالث والثمانون ، في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها . الأبشيهي ، المستطرف ، ص : 562 .

الــخـاتــمـــــة

الخاتمة:

إن البحث في التراث ومساءلة أعلامه لا يمكن الاستغناء عنه ، ذلك أن أولئك الأعلام قد ساهموا في تشكيل ذاكرة هذه الأمة وهويتها وهذه المساءلة ضرورية للكشف عن عيوب ومحاسن هذا الماضي حتى لا نبقى نجتره بلا فائدة ، ومحاورة الماضي هي محاورة للذات والكشف عن عيوبها ، ذلك أن أي تأسيس للحاضر أوالمستقبل لا يمكن أن يقفز على الماضي ، فكل جديد لابد له من ماض يؤصله ومن هنا قمت بهذه الرحلة في كتاب "نظم الدر والعقيان" فهو مخطوط مازال يحتاج إلى قراءات لأن البحث في التراث مشروع مفتوح ، وإعادة قراءته ضرورة حضارية وثقافية، ذلك أنه مازال يتحكم قي كثير من أرائنا و أحكامنا ومن هنا حاولت إبراز نتائج هذه الرحلة رفقة علم من اعلام المغرب الأوسط لعلها تفيد أو تنبه قارئ آخروقد حاولت حصر ما توصلت إليه من نتائج في النقاط التالية

1 ــ ازدهار النشاط الفكري والعلمي في القرن التاسع الهجري بالرغم من الصراعات السياسية التي عرفها المغرب الإسلامي .

2 ــ إن ملوك دويلات المغرب الإسلامي لم يستفيدوا من سقوط الأندلس وأسبابه إذ استمروا في الصراع على الملك .

3 ــ احتفاظ لؤلؤة المغرب الإسلامي تلمسان بمكانتها العلمية واستقطابها للكثير من العلماء .

4 ــ تشجيع ملوك بني زيان للعلم والعلماء و قد ظهر ذلك من خلال النشاط العلمي الذي عرفته تلمسان و ازدهار الحياة العلمية وتشييد المدارس .

5 ــ قال عنه الونشريسي : " الفقيه الحافظ التاريخي الأديب الشاعر " ، نعوت كثيرة ومتنوعة أطلاقها عليه علماء عصره لها دلالة واضحة على نبوغ التنسي وتميزه كما تظهر من خلال آثاره عظمة شخصيته الفقهية والعلمية الفذة ، حيث شهد له الكثير من العلماء بالعلم والحفظ والجرأة في الفتوى ، الأمر الذي جعله

يتوج برئاسة مجلس الأشياخ بالمدرسة اليعقوبية ، وقد رفعته منزلته العلمية إلى أن قربه المتوكل و رفع شأنه ، وممّا خلّد اسمه في التاريخ جرأته في فتواه التي ساند فيها المغيلي مع وجود بعض اليهود المتنفذين في الكثير من مناطق المغرب الإسلامي .

6 تأتي أهمية التنسي كونه أرّخ لفترة من فترات الدولة الزيانية ، وهي عصر المتوكل، إذ لولاه لحجبت عنّا الكثير من المعطيات ، وقد أظهر في الباب السابع من القسم الأول مدى ارتباطه بالحكّام الزيانيين ، وقد جاء ما عرضه التنسي عن تاريخهم خاليا من التكرار والحشو والإطناب ، كما غلب عليه الترتيب المنطقي والإختصار في تناول الأحداث و فترة الحكّام الزيانيين مكتفيا بذكر أشهر الوقائع وأهم الأسماء ، أما القضايا التي تستحق التفصيل والتدقيق في معطياتها فقد مرّ عليها مرور الكرام مكتفيا بإشارات مختصرة أما باقي أبواب هذا القسم صبّت معظمها في إظهار نسب المتوكل من خلال ربطه بآل البيت ، و تضمّن القسم الثاني بعض ما يتعلق بشروط الإمارة وسلوك الملوك وقضائهم وعدلهم، حيث كان يضع في هذا المجال قدوته الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكأنه يرسل رسالة غير مباشرة إلى السلطان بالإقتداء به ، فهو من سلالته ، ثم نجده في القسم الثالث يسرد كم هائل من الملح والنوادر حتى يحافظ على نفسية الأمير المتوكل ويحول دون غضبه ليعود في القسم الرابع ليبرز ما في جعبته من محاسن اللغة العربية شعرا ونثرا ، أما القسم الخامس وهو الأخير فكان بمثابة مقالة في الأخلاق والفلسفة، وكان غرضه من ذلك الموعظة والنصح والإرشاد .

7 ـــ اتضح لنا من خلال دراستنا للمخطوط أن لقب الحافظ الذي اشتهر به التنسي لم يكن بسبب تبحره في علم الحديث ، وإنما كان في قدرة استعاب

ذاكرته من معلومات يقول السيوطي في هذا المجال " فاذا بلغ راوي الشعر الرتبة المطلوبة صار يدعى الحافظ ، كما ان من بلغ الرتبة العليا من الحديث يسمى الحافظ " فقد أحصينا كل الأحاديث التي أوردها وهي مئة وخمسين حديث تخللتها الكثير من الأحاديث الموضوعة والضعيفة ، وقد ساق التنسي بعضها لخدمة غرضه.

8 ــ عدم اهتمامه بذكر سند الرواية والكتب التي أخذ عنها جعل صعوبة كبيرة في التوصل إلى مصادرها .

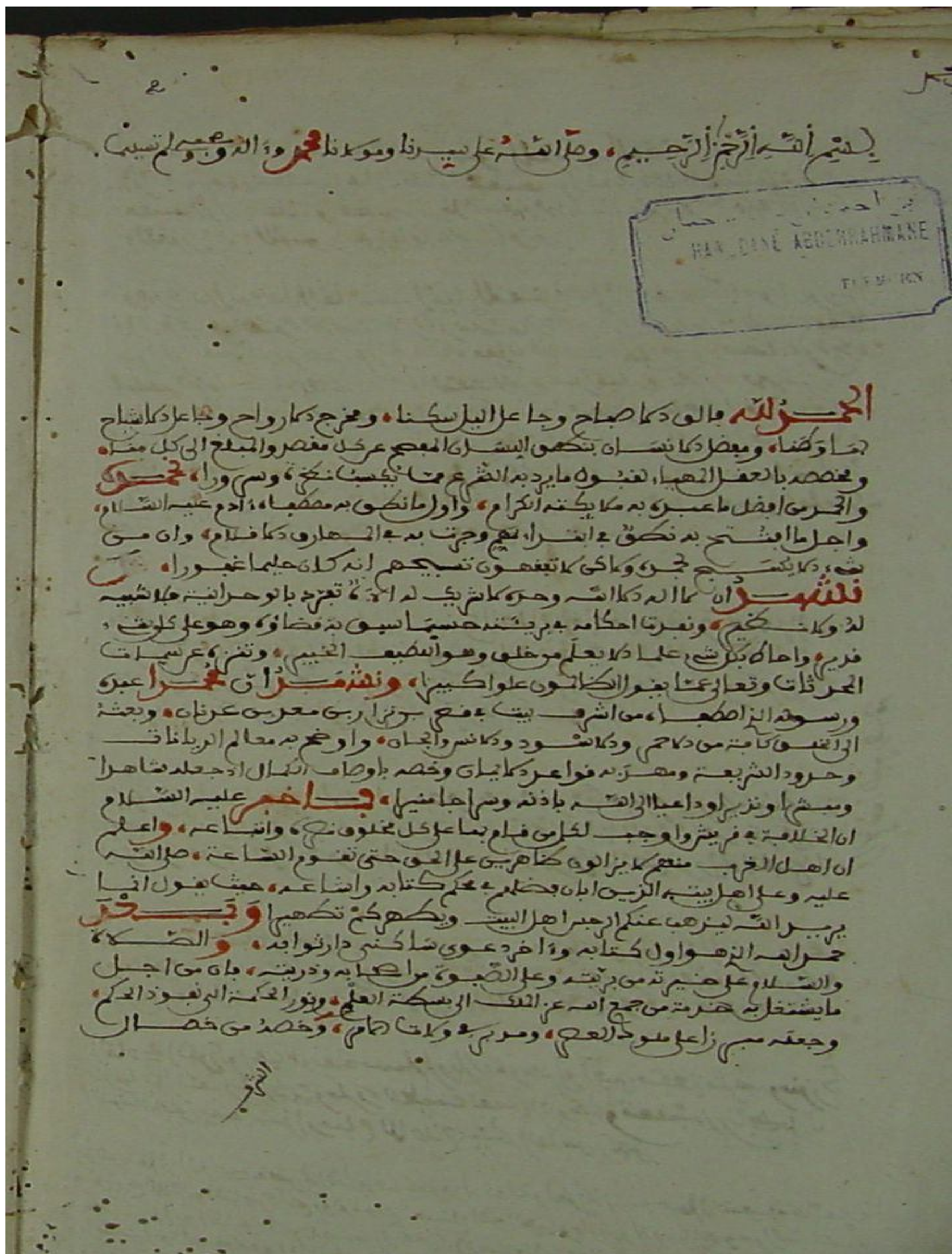
9 ــ لم يضبط التنسي ما أخذه بالتحديد من الكتب التي أشار إليها في مخطوطه إذ اقتصر على ذكر عنوان الكتاب فقط .

10 ــ كتاب نظم الدر والعقيان لايقل أهمية عن غيره فقد ضمنه معلومات تاريخية وأدبية كما ضمنه آراءه حول سياسة الملك وشؤون الحكم ، وأحاديث شريفة و أقوال الصحابة والصالحين منهم ، بحيث أصبح موسوعة في الثقافة الإسلامية أكثر منه تأليفا في موضوع التاريخ .

11 ــ لقد ظل التنسي وفيا للمتوكل إذ لم يمدح غيره من الحكام ولا أدل على ذلك أنه عاش أكثر من ربع قرن بعد انتهاء حكم المتوكل فلم يمدح غيره أو يرفع من شأن الحكام الذين حكموا تلمسان .

وفي الأخير فإن هذه المذكرة لاتزعم لنفسها أنها استنفذت محتويات المخطوط وقالت الكلمة الأخيرة فيه ، وإنما قدمت محاولة لاستقراء بعض الجوانب فيه ومازال ينتظر الاستنطاق مادامت القراءات تتجدد عبر العصور ، وأخيرا أجدد شكري لأستاذي الكريم الذي تجشم متاعب القراءة والتصحيح ، فإليه يعود الفضل في إخراج هذا العمل المتواضع للوجود .

الـــمـــلاحـــق



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

مقدمة نظم الدر والعقيان يشرح فيها التنسي سبب تأليفه للكتاب كما يوضح فيها عناوين أقسام الكتاب .

مقدمة نظم الدر والعقيان يليها الباب الأول من القسم الأول للمخطوط.

نموذج للباب الأول من القسم الأول لمخطوط نظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الثاني من القسم الأول لمخطوط نظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى من الباب الثالث من القسم الأول لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الرابع من القسم الأول لنظم الدر والعقيان.

الورقة الأولى من الباب الخامس من القسم الأول لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى من الباب السادس من القسم الأول لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى من الباب السابع من القسم الأول لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للقسم الثاني من نظم الدر والعقيان ويليه الباب الأول من القسم .

الورقة الأولى للباب الثاني من القسم الثاني لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى من الباب الثالث للقسم الثاني من نظم الدر والعقيان .

الذين اصطفى يتلوه القسم الثالث إن شاء الله
بحمده وحوله وقوته والحمد لله رب العالمين على توفيقه الجميل وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد أفضل الأولين والآخرين والحمد لله رب العالمين

القسم الثالث في ذكر ملح ونوادر مستظرفة ونتف عن أجناس مختلفة ويشتمل على ستة عشر بابا

الباب الأول

في ذكر ما روي من ذلك عن الخلفاء من الملوك والخلفاء وإنما ذكر من ذلك ما يشتمل على
نتف وملح وذكر جميع ما يجب روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
من أفكه الناس مع نسائه وكان يقول خيركم خيركم لنسائه ويقول اللهم أحسنت
خلقي فأحسن خلقي ويقول روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا كلت
عميت ويقول كل لهو يلهو به المؤمن باطل إلا ... وكان كثيرا ما يمزح مع نسائه
ويعرضهن ويعرضنه وقد قال لجابر حين تزوج ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
وروي أن أبا بكر رضي الله عنه مر وهو خليفة بدار من دور المدينة بجمع جارية
تنشد . وهويته من قبل قطع تمائمي . متمايلا مثل القضيب الناعم .
. وكأن نور البدر سنة وجهه . يبدو ويصعد في ذوائب هاشم .
فقرع عليها الباب فخرجت إليه فسألها هل هي حرة أو مملوكة فقالت مملوكة فقال لها
من هويت فبكت وقالت بحق الله إلا ما انصرفت عني يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال وحقه لا برحت حتى تعلميني فقالت
. وأنا التي لعب الغرام بقلبها . فبكت بحب محمد بن القاسم .
فقال ويحك إني أريد أن قالت وفتى من هاشم فلان صرفت فلا تعلمي ... الصغير
وبعث إلى مولاها فاشتراها منه وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب
وقال هؤلاء فتن الرجال وكم مات بهن من كريم وعطب بهن من سليم وكان
بلال رضي الله عنه عبدا لأمية بن خلف وكان يعذبه لنصرانيته ويقول ... على الله
عليه وسلم فلما اشتراه منه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه فلما كانت وقعة بدر ... رأى
أمية وابنه علي أسرهما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فلما رآه بلال صرخ يا أنصار
الله أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت إن نجا فقتلوه وعبد الرحمن يرقبهم
حتى قتلهما فقال له أبو بكر .
. هنيئا زادك الرحمن خيرا . لقد أدركت ثأرك يا بلال .
. فلا نكسا وجدت ولا جبانا . غداة تنوشك الأسل الطوال .

الورقة الأولى من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان ويليها الباب الأول منه

الورقة الأولى للباب الثاني من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

286

الباب الثالث في ذكر شيء من محاسن الشعر

الورقة الأولى للباب الثالث من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الرابع من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الخامس من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب السادس من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب السابع من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الثامن من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الباب التاسع في ذكر شيء من أخبار النهم

الورقة الأولى للباب التاسع من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب العاشر من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الثاني عشر من القسم الثاني لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الثالث عشر من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الخامس عشر من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب السادس عشر من القسم الثالث لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للقسم الرابع من مخطوط نظم الدر والعقيان ويليه الباب الأول .

الورقة الأولى للباب الثاني من القسم الرابع لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الثالث من القسم الرابع لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الرابع من القسم الرابع لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الخامس من القسم الرابع لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب السادس من القسم الرابع لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب السابع من القسم الرابع لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الثامن من القسم الرابع لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للقسم الخامس من مخطوط نظم الدر والعقيان ويلي عنوان الباب الأول .

الورقة الأولى للباب الثاني من القسم الخامس لنظم الدر والعقيان .

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

530

وقال عروة بن الورد العبسي ويعرف بعروة الصعاليك

ومن يكن مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال حاتم بن عبد الله الطائي

أكف يدي عن أن ينال التماسها ... أكف صحابي حين حاجتنا معا

أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا ... من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا

وإني لأستحيي رفيقي أن يرى ... مكان يدي من جانب الزاد أقرعا

وإنك إن أعطيت بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال علقمة بن عبدة الفحل

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له من ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال النابغة الذبياني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

وبعدها يقول: ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

ومن حكم ما جاء من ذلك قول زهير بن أبي سلمى المزني

ومن لا يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو نال أسباب السماء بسلم

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهذم

ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه ... إلى مطمئن البر لا يتجمجم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ... ولا يغنها يوما من الدهر يسأم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

الثالث

الباب الثالث في المواعظ النبوية

خرج مسلم في صحيحه من كلام ... أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه يقول يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته

الورقة الأولى للباب الثالث من القسم الخامس لنظم الدر والعقيان .

الورقة الأولى للباب الرابع من القسم الخامس لنظم الدر والعقيان .

مقدمة الطراز في شرح الخراز يوضح فيها سبب تأليفه هذا المصنف مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة تحت رقم **391** وعدد أوراقه **60** .

مخطوط الطرازفي شرح الخراز .

مخطوط الطرازفي شرح الخراز .

مخطوط الطرازفي شرح الخراز .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1 ــ **القرآن الكريم ، رواية ورش .**

أ / المصادر المخطوطة :

2 ــ التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم 2536 (283) .

3 ــ التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل ، الطراز في شرح الخراز ، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 392 ، (60 ق) .

ب / المصادر المطبوعة :

4 ــ الإبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد (ت : 790هــ) المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق : درويش الجويدي ، مكتبة العصرية دارالنموذجية ط1: (1419هــ/1999م) بيروت ، 476 ص .

5 ــ الإدريسي أبو عبد الله بن محمد الحسيني (ت:560هــ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق . مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2001 مج: 1 ،290 ص

6 ــ الأنصاري محمد بن صعد التلمساني ، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين تحقيق : يحيي بوعزيز ط : 1 ، 2002 م ، ص: 256 .

7 ــ الخزرجي ، ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان تحقيق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط : 1 ، 1421 هــ/ 2001 م بيروت ، ص:101

8 ــ البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد الله ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب .جزء من كتاب المسالك والممالك بغداد : مكتبة المثنى، 1857م. 213 ص .

9 ــ ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، دون سنة طبع ، بيروت لبنان .

10 ــ الوزان الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (ت 944 هــ 1537 م) وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر . بيروت : دار الغرب الإسلامي ط : 2 ، 1983 م ، ج : 2 ، 339 ص .

11 ــ الونشريسي أحمد بن يحي (ت:914 هــ / 1508م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب . خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي .دار الغرب الإسلامي ، ط : 4 (1405هــ/1985م) 547 ص.

12 ــ الزياني أبو القاسم (1147هــ ، 1734م / 1249هــ ، 1833م) الترجمانة الكبرى في أخبارالمعمور برا وبحرا ، تحقيق عبد الكريم الفيلالي الرباط ، دار النشر والمعرفة للنشر والتوزيع ، ط : (1412هــ/1991م) (660 ص) .

13 ــ ابن زيدان عبد الرحمان ، اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، تقديم عبد الهادي التازي ، المغرب ط : 2 ، (1410 هــ / 1990م) ، 323 ص .

14 ــ الزركلي خير الدين محمود الدمشقي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت : دار العلم للملايين ط : 5 1980م ، مج :4 ، ج : 7، 335 ص .

15 ــ الحاجي خليفة ، مصطفى أفندي ابن عبد الله أفندي ، كشف الضنون مكتبة المثنى ، بغداد 1360 هــ / 1941 م .

16 ــ حيدة الطيب محمد بن عبد الرحيم ، القول البسيط في أخبار تمنطيط . تحقيق فرج محمود فرج . الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية المؤسسة الوطنية للكتاب 1977م .

17 ـــ الحفناوي أبو القاسم ، تعريف الخلف برجال السلف ، بيروت مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، المكتبة العتيقة ، تونس : ، ط : 2 ، 1985م (ج1: 203) ، (ج 2: 624 ص) .

18 ـــ الحسيني السيد معزالدين محمد المعهدي ، أسماء القبائل وأنسابها ، تحقيق : سلمان الجبوري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ، ط : 1 ، 1420 هـــ 2000 م 432 ص

19 ـــ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط/ 1 1422هـــ 2001 م ، مج : 1 ، 579 ص .

20 ـــ الكتاني عبد الحي ، فهرس الفهارس ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، ط : 2 ، 1982 م ، ج : 1 .

21 ـــ الكتاني عبد الكبير ، زهرة الأس في بيوتات أهل فاس ، تحقيق: علي بن المنتصر الكتاني ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، ط : 1 2002 ، ج : 1 .

22 ـــ المقري شهاب الدين أحمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب حققه : إحسان عباس ، بيروت دار صادر لطباعة والنشر ، ط جديدة 1997 (ج : 2 ص : 717) (ج : 3 ص : 638) (ج : 6 ص : 526) .

23 ـــ المقري شهاب الدين أحمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، المغرب الأقصى ، الأمارات العربية المتحدة : أعيد طبعه تحت إشراف اللجنة المشتركة لإحياء الترا ث ، د ط : 1978م .

24 ـــ المقري شهاب الدين أحمد ، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق تح : محمد بن معمر ، مكتبة الرشاد لطباعة والنشر،الجزائر، 1425 هـــ/ 2004م 264 ص.

25 ــ ابن مخلوف محمد بن محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية دار الفكر للطباعة والتوزيع بيروت لبنان د تا ، د ط ، 559 ص .

26 ــ المغيلي محمد بن عبد الكريم (ت:909هــ/1503م) ، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي تقديم وتحقيق عبد القادر زبايدية .الجزائر : المكتبة الوطنية لنشر والتوزيع 1974م ، 67 ص .

27 ــ الناصري أحمد بن خالد (ت : 1315هــ/1897م) ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري .الدار البيضاء المغرب دار الكتاب 1956م ، 251 ص .

28 ــ السويدي ، أبو الفوز البغدادي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب .بيروت : دار الكتب العلمية ، 1409 هــ /1989 م . 467 ص .

29 ــ السلمي أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين (ت 412 هــ) ، طبقات الصوفية تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط / 2، 2003 م 1424 هــ ، 503 ص .

30 ــ السخاوي شمس الدين محمد ، الضوء اللامع لأهل القرن القرن التاسع بيروت لبنان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د ، ط .

31 ــ عبد ربه ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت.

32 ــ العدواني محمد ، تاريخ العدواني ،تحقيق أبو القاسم سعد الله ، دارالغرب الإسلامي ط : 2005 م

33 ــ العياشي أبو سالم (ت1090هــ/1679م) ، الرحلة العياشية (ماء الموائد) تحقيق محمد حجي ، الرباط : دار الغرب ، ط: 2 (1397هــ/1977م) (ج1 : 456) ، (ج2 : 489).

34 ــ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 318 ص .

35 ــ العسقلاني أحمد بن حجر ، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : 1 ، 1425 هــ ، 2004 م ، 623 ص .

36 ــ ابن أبي الزرع علي الفاسي (ت : 741هــ/1340م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة ، 1973م.

37 ــ القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ، الأمالي ، 1423هــ ، 2002 دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج :1 .

38 ــ الأصفهاني أبو الفرج ، الأغاني ، تحقيق وشرح ، سمير جابر ، علي مهنا دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط : 2 سنة 1412 هــ ، 1992 م ، ج : 1 .

39 ــ القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي (ت : 891 هــ) رحلة القلصادي تحقيق محمد أبوالأجفان ، مصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع ، ط : 2 1985م ،254 ص

40 ــ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة ، د ط .

41 ــ ابن قتيبة الدينوري أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت 276 هــ) الإمامة والسياسة علق عليه خليل المنصق ، دار الكتب العلمية بيروت ط / 1 (1422 هــ – 2001 م) 358 ص .

42 ــ زروق أحمد بن أحمد بن محمد (899 هــ / 1494م) قواعد التصوف تصحيح محمد الزهري النجار ، القاهرة : المكتبة الأزهرية لتراث ط 3 ، 1989م ، 139 ص.

43 ـــ المديوني ، ابن مريم المليتي المديوني التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد (ت1020 هـــ / 1611 م) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان مراجعة : محمد أبي شنب ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1986 248 ص .

44 ـــ ابن الرشيق ، أبو علي حسن القيرواني ، العمدة ، شرح وظبط : عفيف نايف حاطوم ، ط : 1 ، 2003 ، دار صادر بيروت ، لبنان .

45 ـــ التلمساني أحمد بن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ودراسة : ماريا خيموس بيغيرا ، تقديم محمود بوعياد ،الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط: 1401هـــ ، 1981م ، 603 ص .

46 ـــ الروداني أحمد بن سليمان ، صلة الخلف بموصول السلف ، بيروت لبنان دار الغرب الإسلامي ط 1 – 1408هـــ – 1988م ، ج : 1 ، 588 ص .

47 ـــ التنبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج . تحقيق ، علي عمر مكتبة الثقافة الدينية ، ط : 1 ، 2004 م ، ج 1 ، ص : 400 ص ، ج : 2 ص : 408 .

48 ـــ التنبكتي أحمد بابا ،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، تحقيق: علي عمر المغرب : مكتبة الثقافة الدينية ، ط : 1 ، 2004 ، ج : 2 ، ص : 346.

49 ـــ التنسي محمد بن عبد الله (ت: 889هـــ /1493م) ، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق محمود بوعياد . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م . 356 ص .

50 ـــ التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط/ 1984 م.

51 ـــ التنسي محمد بن عبد الله ، نظم الدر والعقيان ، تح : بوطالب محي الدين منشورات دحلب ، 355 ص .

52 ـــ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت دار الكتب العلمية 1417 هــ / 1997 م .

53 ـــ ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد أبو زيد (ت808هــ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، مج : 6 ، 7 ، دار الكتب العلمية ، ط: 1، 1992 م

54 ـــ ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد أبو زيد ، المقدمة ، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2007 .

55 ـــ ابن خلدون يحي أبو زكريا ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد . تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات الجزائر : المكتبة الوطنية 1400هــ/1980م ، ج : 1 ، 325 ص.

56 ـــ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، بيروت : دار صادر ، ط : 1397 هــ 1977 م ج : 5 ، 337 ص .

57 ـــ أبوحامد الأندلسي الغرناطي ، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح : اسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989 م ،169 ص

58 ـــ ألف سنة من الوفيات ويشمل ثلاث كتب : أحمد بن قنفد ، شرف الطالب في أسنى المطالب – أحمد الونشريسي ، وفيات الونشريسي – أحمد بن القاضي ، لقط الفرائد من لفاظة حقق الموائد – جمع و تحقيق محمد حجي الرباط دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، 1396 هــ ، 1976 م ، 333 ص

ج / قائمة المراجع :

59 ـــ بوعزيز يحي : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، الجزء الثاني بيروت ، دار الغرب الأسلامي ، 1995م ، 270 ص .

60 ــ بوعياد محمود : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، الجزائر : الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، 1982، 182 ص .

61 ــ بلغيث محمد الأمين ، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التنوير لنشر والتوزيع ، 1426 هــ ، 2006 م ، 184 ص .

62 ــ بلغيث محمد الأمين ، النظرية السياسية عند المرادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989 م ، 95 ص .

63 ــ الجيلالي عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام ، الجزء الثاني : الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، ط : 1 ، 1993م ، 302 ص .

64 ــ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ، 1967 م ، مج : 2 ، ج : 3 ، 711 ص .

65 ــ بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، ط : 1993 م ص 344 .

66 ــ حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره ، الجزائر : الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، ط : 2، 1982 ، 395 ص .

67 ــ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط : 15 1422 هــ ، 2001 م ،ج: 2 ، 439 ص .

68 ــ حلاق حسان ، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1986 م بيروت .

69 ــ محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية ، لبنان ، دار الفكر العربي ط : 1421 هــ / 2001 م ، ج : 1 ، 906 ص .

70 ــ الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981 ، 323 ص .

71 ــ علال خالد كبير ، أخطاء المؤرخ بن خلدون في كتابه المقدمة ، ط : 1 ، 2005م دار الإمام مالك ، الجزائر .

72 ــ عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . بيروت : دار العلم للملايين 1388 هـ / 1968 م ،ج :3 .

73 - مقدم مبروك مقدم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والواثق التارخية الجزائر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ط : 1 (1422هـ ، 2002) ،196ص.

74 ــ إبراهيم مقلاتي ، الدلالة في تاريخ علماء امشدالة ، ط : 1 ، 2005 37 ص .

75 – ابن عبد الكريم محمد ، المقري وكتابه نفح الطيب ، بيروت دار مكتبة الحياة د ط (518) .

76 ــ محمد فاروق نبهان ، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة ، مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر بيروت لبنان ط : سنة 1418هـ ، 1998م .

77 ــ نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 2002 م ، 396 ص .

78 ــ نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر ، بيروت : مؤسسة نويهض الثقافية الطبعة الثانية ، 1980م ، 430 ص .

79 ــ سالم عبد العزيز ، تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية لطباعة والنشر بيروت 1981م ، 969 ص .

80 ــ سالم عبد العزيز ، التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981 م

81 ــ السيد محمود ، تاريخ الدولة الأموية ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية 2002 192 ص .

82 ــ سعيدوني ناصر الدين ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط : 1 ، 1999 م ، 699 ص .

83 ــ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، بيروت دار الغرب الإسلامي ط :1 1998م ، ج:1 .

84 ــ سعد الله فوزي ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، الجزائر : دار قرطبة لنشر والتوزيع ، ط : 2 ، 1426 هــ ، 2005 م ج : 2 .

85 ــ سعدون عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب ، دار النهظة العربية لطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط : 1 ، 1408 هــ ، 1987 م ، 208 ص .

86 ــ عباس عباس ، موسوعة الحضرات ، دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع ط : 1 ، 2005م – 2006م ، 200 ص .

87 ــ رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي ، مكتبة لبنان ط : 1 ، 2000 م ، 787 ص .

88 ــ عمارة محمد ، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية ، نهضة مصر لطباعة والنشر ، بيروت 1981 م .

89 ــ الصلابي علي محمد ، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، مصر : دار الإيمان ، الإسكندرية ، 2003 م ، ج : 2 .

90 – قايد مولود ، البربر عبرالتاريخ دار النشر ميموني،الجزائر،2007م262 ص.

91 ــ أبو ضيف مصطفى ، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين . الدار البيضاء : مطبعة دار النشر المغربي ، ط : 1 1982م

92 ــ ظاظا حسن ، الشخصية الإسرائلية ، ، دارالقلم ، دمشق ، ط :3 ، 1999 م

د / الدراسات والمجلات :

93 ــ المهدي بوعبدلي ، أضواء على مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات ، مجلة الثقافة العدد 94 ، أوت 1406 هــ ، 1986 م .

94 ــ بوعزيز يحي : المراحل والأدوار التارخية لدولة بني عبد الواد الزيانية مجلة الأصالة ، الجزائر ، العدد 26 ، 1975 .

95 ــ محمود بوعياد " زهر البستان في دولة بني زيان " مجلة الثقافة عدد 13 ، مارس 1973 م .

96 ــ حاجيات عبد الحميد : الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان ، الأصالة الجزائر ، العدد 26 ، 1975م.

97 ــ زكريا مفدي : النشاط العقلي والتقدم الحضاري للجزائر في عهد الزيانين الأصالة ، الجزائر ، العدد 26 ، 1975 م .

هــ / المعاجم :

98 ــ ياقوت الحموي ، معجم البلدان . دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان . 1984م ج : 4 ، 501 ص .

99 – الرازي زين الدين محمد (ت ، 666 هــ) ، تحقيق : حمزة فتح الله مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 م.

100 ــ ابن منظور ، لسان العرب ، تح : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط / 1 ، 1424 هــ 2003 م

و / الرسائل الجامعية :

101 - أحمد الحمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره (870 ، 909 هــ/ 1465 ــ 1503 م) وهران : كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية، 1990،2000 م.

ز / المراجع باللغة الأجنبية :

102 Attallhah Dhina - Le Royaume Abdlouadide a l'epoque d'abou hammou moussa 1er et d'abou tachfin 1er .office des publications universitaires , alger.

103 A.G.P. Martin, A La frontiere du maroc les oasis sahariennes Alger edition de limpremerie Alerienne 1908 .

104 Charles Emmanuel Dufourq – L' Espagne Catalane et le Maghreb Aux XIII – XIV siécles . presses universitaire de France .paris 1966.

105 : Jacob oleil , les juifs au sahara , le touat au moyen age parais : CNRS Edition 1994.

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني : محتوى المخطوط